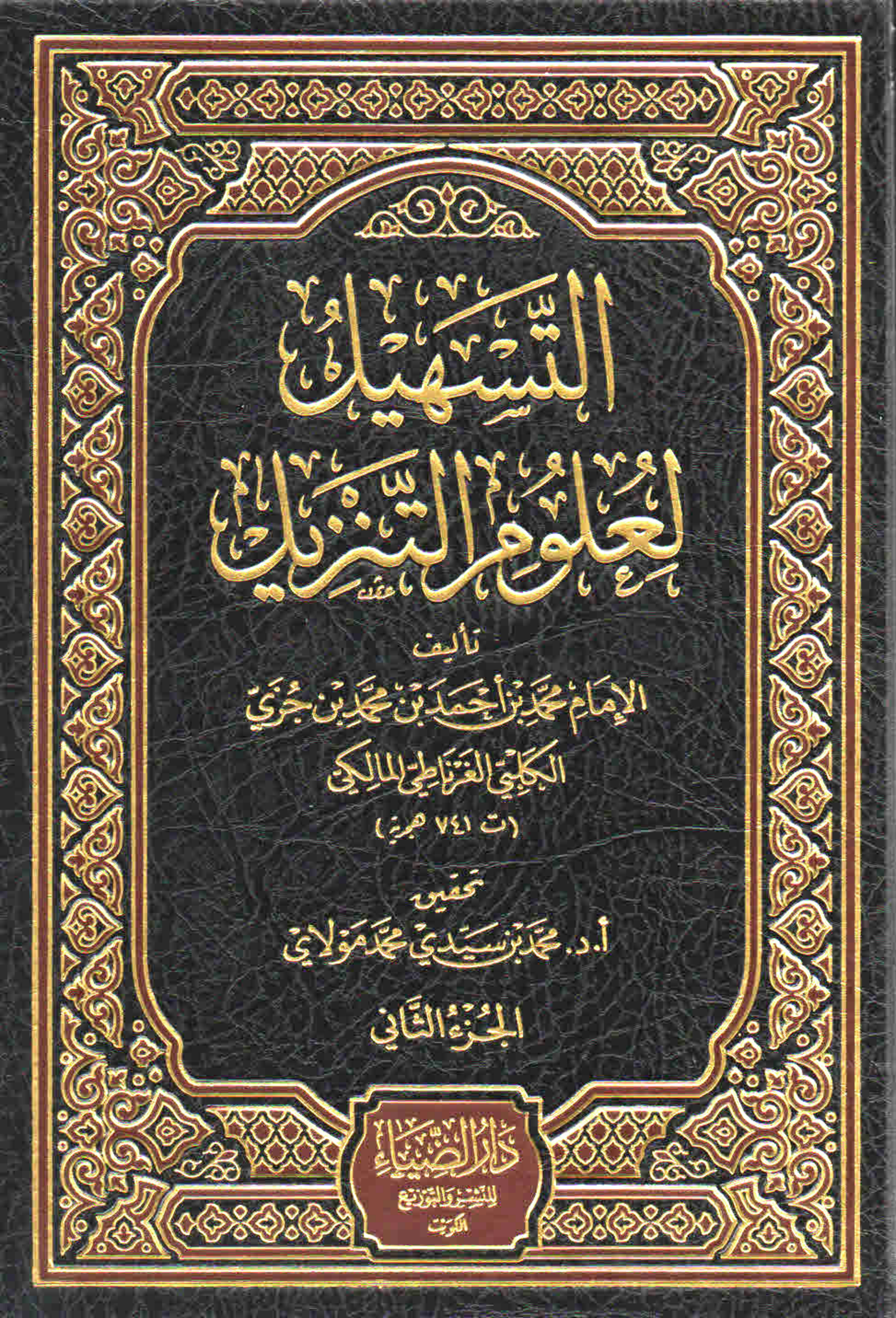


التسهيل
لعلوم التنزيل
تأليف
الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي
الكلبي الغرناطي المالكي
(ت ٧٤١ هجرية)
تحقيق
أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي
الجزء الثاني
دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

دار الضياء
للنشر والتوزيع - الكويت
الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص.ب: ١٣٤٦ حولي
الرمز البريدي: ٣٢٠١٤
تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠ (٩٦٥+)
نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠ (٩٦٥+)



الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م
التجليد الفني
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد
بيروت

dar_aldheyaa@yahoo.com

www.daraldheya.com



الموزعون المعتمدون

دولة الكويت:

دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي	تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠	نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠

المملكة العربية السعودية:

دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة	هاتف: ٦٣١١٧١٠	فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض	هاتف: ٤٩٢٥١٩٢	فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
المكتبة المكية - مكة المكرمة	هاتف: ٥٣٤٠٨٣٢	فاكس: ٥٣٦٦٢٩٩٠
مكتبة العبيكان - جميع فروعها في المملكة	هاتف: ٩٠٠٢٠٠٢٠٢٠٩	

الجمهورية التركية:

مكتبة الارشاد - اسطنبول	هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٣٤	فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠
المكتبة الهاشمية - اسطنبول	هاتف: ٠٢١٢٥٢٠٢٥٣٣	فاكس: ٠٢١٢٥٢٠١٥٩٦

الجمهورية اللبنانية:

دار إحياء التراث العربي - بيروت	هاتف: ٥٤٠٠٠٠	فاكس: ٨٥٠٧١٧
شركة دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان	هاتف: ٧٠٢٨٥٧	فاكس: ٧٠٤٩٦٣
شركة التمام - بيروت - كورنيش المزرعة	هاتف: ١٧٠٧٠٣٩	

الجمهورية العربية السورية:

دار الفجر - دمشق - حلبوني	هاتف: ٢٢٢٨٣١٦	فاكس: ٢٤٥٣١٩٣
دار الكلم الطيب - دمشق - حلبوني	هاتف: ٢٤٥١٢٢٦	فاكس: ٢٢٢٧٦٠٢

جمهورية مصر العربية:

دار البصائر - القاهرة - زهراء مدينة نصر	تلفاكس: ٠٢٢٤١١١٤٤١	محمول: ٠١٠٠٢٤٣٦٢٦٣

المملكة الأردنية الهاشمية:

دار الرازي - عمان - العبدلي	تلفاكس: ٤٦٤٦١١٦	
دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان	هاتف: ٦٤٦٥٣٣٩٠	تلفاكس: ٦٤٦٥٣٣٨٠

الجمهورية اليمنية:

مكتبة تريم الحديثة - تريم	هاتف: ٤١٧١٣٠	فاكس: ٤١٨١٣٠

الجمهورية الإسلامية الموريتانية:

شركة الكتب الإسلامية - نواكشوط	هاتف: ٠٠٢٢٢٥٢٥٣٤٦١	

مملكة البحرين:

جمعية الإمام مالك بن أنس - المحرق	هاتف: ١٧٣٣٤٣٥٠	فاكس: ١٧٢٢٤٣٦٠



التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي

الكلبي الغرناطي المالكي

(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

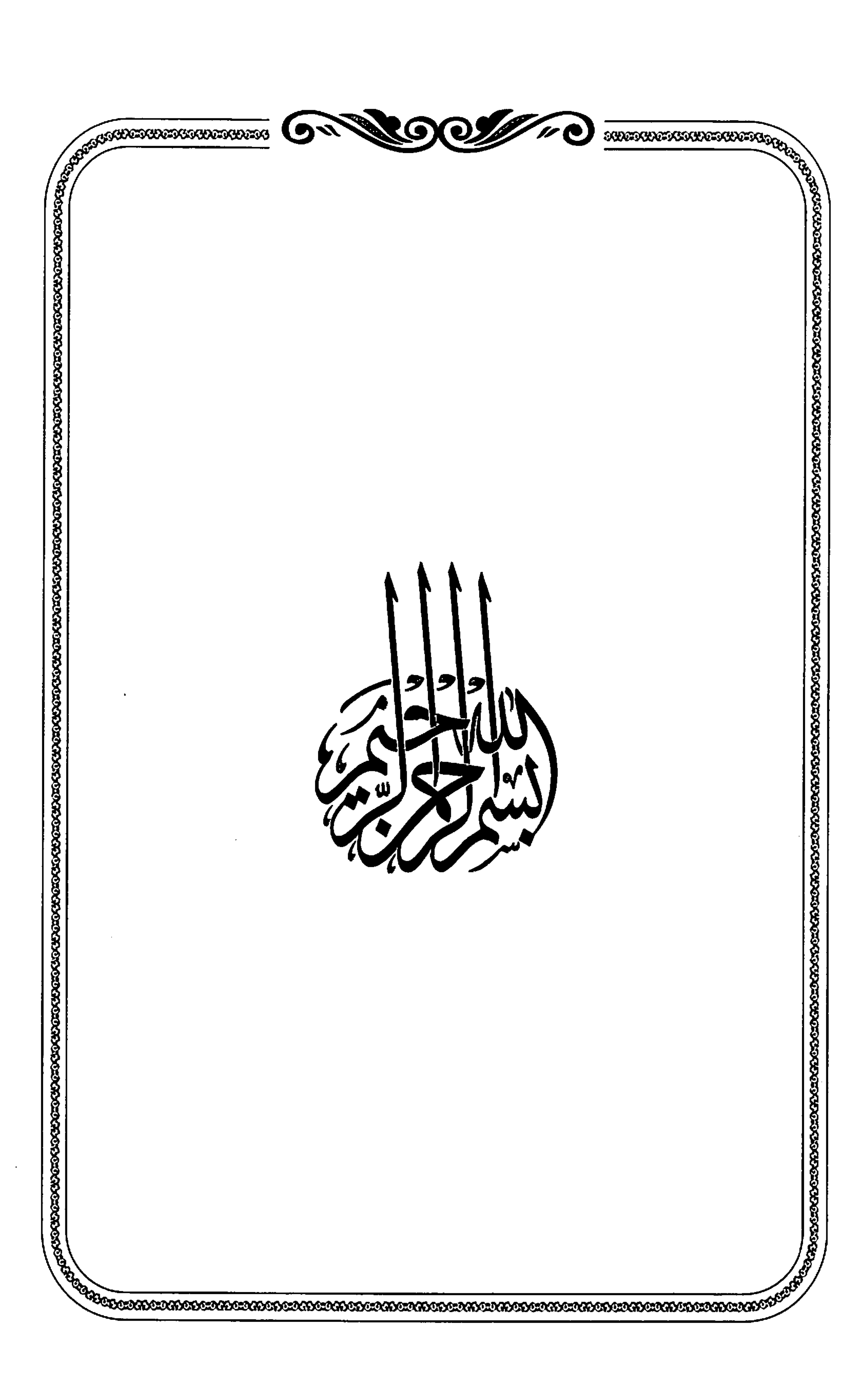
أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الثاني

دار الضياء

للنشر والتوزيع

الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الأَعْرَافِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

سورة الأعراف

﴿الٓمٓصٓ﴾ تكلمنا على حروف الهجاء في البقرة. ﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ أي ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك، وقيل: الحرج هنا الشك فتأويله كقوله: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق بأنزل. ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ منصوب على المصدرية بفعل مضمر، تقديره: لتنذر وتذكر ذكرى؛ لأن الذكر بمعنى التذكير، أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر، أو مخفوض عطفا على موضع لتنذر أي للإنذار والذكرى.

﴿قَلِيلًا﴾ انتصب قليلا بتذكرون أي تذكرون تذكرا قليلاً، وما زائدة للتوكيد.

﴿أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ قيل: إنه من المقلوب تقديره: جاءها بأسنا فأهلكناها، وقيل: المعنى أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا؛ لأن مجيء البأس قبل الإهلاك فلا يصح عطفه عليه بالفاء، ويحتمل أن يكون: فجاءها بأسنا استئنافا على وجه التفسير للإهلاك، فلا يحتاج إلى تكلف، والمراد أهلكنا أهلها فجاءهم ثم حذف المضاف بدليل: أو هم قائلون. ﴿بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ بياتا مصدر في موضع الحال بمعنى بائتين أي بالليل وقائلون من القائلة أي بالنهار، وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل وبعضهم بالنهار، وأو هنا للتنويع.

﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ أي ما كان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون، وقيل:

المعنى أن دعواهم هنا ما كانوا يدعونه من دينهم فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين في ذلك.

﴿أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أسند الفعل إلى الجار والمجرور، ومعنى الآية: أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم، ويسأل الرسل عما أجيبوا به.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ أي على الرسل والأمم.

﴿وَالْوَزْنُ﴾ يعني وزن الأعمال. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم يسئل الرسل وأممهم، وهو يوم القيامة.

﴿بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أي يكذبون بها ظلما.

﴿خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾ قيل: المعنى أردنا خلقكم وتصويركم. ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ اسْجُدُواْ ءَلِادَمَ﴾ وقيل: خلقنا أباكم آدم ثم صورناه، وإنما احتيج إلى التأويل ليصح العطف.

﴿أَلاَّ تَسْجُدَ﴾ لا زائدة للتوكيد. ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ استدل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضي الوجوب والفور، ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة للسجود. ﴿قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود، وهو يقتضي الاعتراض على الله تعالى في أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه، وبهذا الاعتراض كفر إبليس إذ ليس كفره كفر جحود.

﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي من السماء.

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ الفاء للتعليل وهي تتعلق بفعل قسم محذوف، تقديره: أقسم بالله بسبب إغوائك لي لأغوين بني آدم، وما مصدرية وقيل استفهامية، ويبطله ثبوت الألف في ما مع حرف الجر. ﴿صِرَاطَكَ﴾ يريد طريق الهدى والخير وهو منصوب على الظرفية.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ • وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

﴿ثُمَّ ءَلَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية أي من الجهات الأربع، وذلك عبارة عن تسليطه على بني آدم كيفما أمكنه، وقال ابن عباس[1]: من بين أيديهم الدنيا، ومن خلفهم الآخرة، وعن أيمانهم الحسنات، وعن شمائلهم السيئات.

﴿مَذْءُوماً﴾ من ذأمه بالهمز إذا ذمه. ﴿مَّدْحُوراً﴾ أي مطرودا حيث وقع.

﴿فَوَسْوَسَ﴾ إذا تكلم كلاما خفيا يكرره، فمعنى وسوس لهما ألقى لهما هذا الكلام. ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا﴾ أي ليظهر ما ستر من عوراتهما، واللام في قوله ليبدي للتعليل إن كان في انكشافهما غرض لإبليس، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه إليه. ﴿الشَّجَرَةِ﴾ ذكرت في البقرة. ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أي كراهة أن تكونا ملكين، واستدل به من قال: إن الملائكة أفضل من الأنبياء، وقرئ[2] ملكين بكسر اللام ويقوي هذه القراءة قوله: ﴿وَمُلْكٍ لاَّ يَبْلَى﴾.

﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي حلف لهما إنه لمن الناصحين وذكر قسم إبليس بصيغة المفاعلة التي تكون بين الاثنين؛ لأنه اجتهد فيه أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبلا نصيحته.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٢/١٤٣٧٠ بسند حسن إلى ابن عباس.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ ابن عباس ويحيى بن أبي كثير والضحاك «ملكين» بكسر اللام، المحرر الوجيز: ٢/٤٥٠.

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦) يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨) ۞ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ (٢٩)

ربع

﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ أي أنزلهما إلى الأكل من الشجرة. ﴿بِغُرُورٍ﴾ أي غرهما بحلفه لهما؛ لأنهما ظنا أنه لا يحلف كاذبا. ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ أي زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما، ولا لأحدهما من الآخر، وقيل: كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر. ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ أي يصلان بعضه ببعض ليستترا به. ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك أو بغير واسطة.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة، وتلك هي الكلمات التي تاب الله عليه بها.

﴿اهْبِطُوا﴾ وما بعده مذكور في البقرة.

﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ أي في الأرض.

﴿لِبَاسًا﴾ أي الثياب التي تستر، ومعنى أنزلنا خلقنا، وقيل: المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة. ﴿وَرِيشًا﴾ أي لباس الزينة، وهو مستعار من ريش الطائر. ﴿وَلِبَاسَ التَّقْوَىٰ﴾ استعار للتقوى لباسا كقولهم: ألبسك الله قميص تقواه، وقيل: لباس

التقوى ما يتقي به في الحرب من الدروع وشبهها، وقرئ[1] بالرفع على الابتداء وخبره الجملة، وهي: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾. ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلى ما أنزل من اللباس وهذه الآية واردة على وجه الاستطراد عقب ما ذكر من ظهور السوآت وخصف الورق عليهما وإنعامه على ما خلق من اللباس.

﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ أي كان سببا في نزع لباسهما عنهما. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ يعني في غالب الأمر، وقد استدل به من قال: إن الجن لا يرون، وقد جاءت في رؤيتهم أحاديث صحيحة[2]، فتحمل الآية على الأكثر جمعا بينها وبين الأحاديث.

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً﴾ قيل هي ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة، الرجال والنساء، ويحتمل العموم في الفواحش. ﴿قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ اعتذروا بعذرين باطلين: أحدهما: تقليد آبائهم. والآخر: افتراؤهم على الله.

﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ قيل: المراد إحضار النية والإخلاص لله، وقيل فعل

---

(١) ﴿وَلِبَاسَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قرأ المدنيان وابن عامر والكسائي بنصب السين، وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢/٣٠٣.

(٢) من ذلك ما جاء في صحيح مسلم: «حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمُرَادِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ وَهْبٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ صَالِحٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي رَبِيعَةُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِيِّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ». ثُمَّ قَالَ: «أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ الله». ثَلاَثًا. وَبَسَطَ يَدَهُ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلاَةِ، قُلْنَا يَا رَسُولَ الله: قَدْ سَمِعْنَاكَ تَقُولُ فِي الصَّلاَةِ شَيْئًا لَمْ نَسْمَعْكَ تَقُولُهُ قَبْلَ ذَلِكَ، وَرَأَيْنَاكَ بَسَطْتَ يَدَكَ. قَالَ: «إِنَّ عَدُوَّ اللهِ إِبْلِيسَ جَاءَ بِشِهَابٍ مِنْ نَارٍ لِيَجْعَلَهُ فِي وَجْهِي فَقُلْتُ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ الله التَّامَّةِ فَلَمْ يَسْتَأْخِرْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَرَدْتُ أَخْذَهُ، وَاللهِ لَوْلاَ دَعْوَةُ أَخِينَا سُلَيْمَانَ لأَصْبَحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ بِهِ وِلْدَانُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ». الحديث رقم: (١٢٣٩)، والنسائي في سننه: ٣/١٣، وابن خزيمة في صحيحه الحديث رقم: (٨٩١).

يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧)

الصلاة والتوجه فيها. ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي في كل مكان سجود أو في وقت كل سجود والأول أظهر والمعنى إباحة الصلاة في كل موضع كقوله ﷺ: «جعلت لي الأرض مسجدا»[١]. ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ احتجاج على البعث الأخروي بالبداة الأولى ﴿فَرِيقاً﴾ الأول منصوب بهدى والثاني منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده.

﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ قيل: المراد به الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة في الصلاة، وقيل: المراد به الزينة زيادة على الستر، كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب، وبالسواك، والطيب. ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ الأمر فيهما للإباحة لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل. ﴿وَلاَ تُسْرِفُواْ﴾ أي لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجموع في هذه الآية، وقيل: لا تسرفوا بأكل الحرام.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ إنكار لتحريمها، وهي: ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل، وكان بعض العرب إذا حجوا يجردون الثياب ويطوفون عراة، ويحرمون الشحم واللبن فنزل ذلك ردا عليهم[٢] ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي الزينة والطيب

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٤٢٧٣)، ومسلم الحديث رقم: (٨١٢)، وقد سبق تخريجه في آل عمران عند حديث نصرت بالرعب.

(٢) هو من حديث ابن عباس ولفظه: كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون،=

في الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة خالصة لهم دون غيرهم، وقرئ خالصة[1] بالنصب على الحال والرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿وَالإِثْمَ﴾ عام في كل ذنب. ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي تفتروا عليه في التحريم وغيره.

﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد ولزمتها النون الشديدة المؤكدة وجواب الشرط ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ﴾ الآية.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ذكر في الأنعام. ﴿أُوْلَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَٰبِ﴾ أي يصل إليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها. ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ أي غابوا عنا.

﴿ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ﴾ أي ادخلوا النار في جملة أمم أي مع أمم. ﴿ادَّارَكُواْ﴾ تلاحقوا واجتمعوا. ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾ المراد بأولاهم الرؤساء والقادة، وأخراهم الأتباع والسفلة، والمعنى: أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم لأنهم أضلوهم، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابا لهم إنما هو

= فأنزل الله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ...﴾ فأمروا بالثياب أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١١/١٢، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم: (٨٣٩١) بسند ضعيف.

وأخرج الحاكم في المستدرك:.. كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ...﴾ وعند ابن أبي حاتم فنزلت: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ و﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

والحديث في الصحيح وغيره إن الذي نزل هو قوله ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٠٢٨)، والنسائي الحديث رقم: (٢٩٥٦)، والطبري في جامع البيان: ١٤٥٠٣/١٢.

(١) ﴿خالصة يوم القيامة﴾ قرأ نافع بالرفع وقرأ الباقون بالنصب. النشر ٣٠٣/٢.

ثمن

• قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ﴿٣٦﴾ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٩﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤١﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾

كقولك: قال فلان لفلان كذا، أي قاله عنه وإن لم يخاطبه به.

﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي لم يكن لكم علينا فضل في الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم، بل نحن وأنتم سواء. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ من قول أولاهم لأخراهم، أو من قول الله تعالى لجميعهم.

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يصعد عملهم إلى السماء.

والثاني: لا يدخلون الجنة فإن الجنة في السماء.

والثالث: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين.

﴿حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ أي حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة، والمعنى: لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبدا فلا يدخلونها أبدا.

﴿مِهَادٌ﴾ فراش. ﴿غَوَاشٍ﴾ أغطية.

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ جملة اعتراض بين المبتدإ والخبر ليبين أن ما يطلب من الأعمال الصالحة ما في الوسع والطاقة.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أي من كان في صدره غل لأخيه في الدنيا

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا۟ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

ربع

ننزعه منه في الجنة وصاروا إخوانا أحبابا، وإنما قال نزعنا بلفظ الماضي وهو مستقبل لتحقق وقوعه في المستقبل حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع، وكذلك كل ما جاء بعد هذا من الأفعال الماضية في اللفظ وهي تقع في الآخرة كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ وغير ذلك. ﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ إشارة إلى الجنة أو إلى ما أوجبها من الإيمان والتقوى ﴿أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ﴾ و﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا﴾ و﴿أَن لَّعْنَةُ﴾ و﴿أَن سَلَٰمٌ﴾: يحتمل أن تكون أن في كل واحدة منها مخففة من الثقيلة، فيكون فيها ضمير، أو حرف عبارة وتفسير لمعنى القول.

﴿مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ حذف مفعول (وعد) استغناء عنه بمفعول وعدنا، أو لإطلاق الوعد فيتناول الثواب والعقاب. ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي أعلم معلم وهو ملك.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ أي بين الجنة والنار أو بين أصحابهما وهو أرجح؛ لقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾. ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾ قال ابن عباس[1]: هو تل بين الجنة والنار، ومجاهد[2]: حجاب بين الجنة والنار، وقيل: سور الجنة. ﴿رِجَالٌ﴾ هم أصحاب

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٤٦٧٧/١٢ بسند حسن وتمامه: «حبس عليه ناس من أهل الذنوب».

(٢) ذكره الطبري: ٤٤٩/١٢ بصيغة التمريض، وذكره أبو حيان في البحر المحيط بدون سند: ٣٠٣/٤، وكذلك المحرر الوجيز: ٤٧٠/٢.

الأعراف، ورد في الحديث[(١)]: أنهم قوم من بني آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم يدخلوا الجنة ولا النار، وقيل:[(٢)] هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم فاستشهدوا فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ونجوا من النار للشهادة. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ﴾ أي يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من بياض وجوههم، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم، أو غير ذلك من العلامات. ﴿وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي سلم أصحاب الأعراف على أهل الجنة. ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ أي أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون في دخولها من بعد.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾ الضمير لأصحاب الأعراف أي إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لا يجعلهم منهم.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ يعني من الكفار الذين في النار قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ. ﴿جَمْعُكُمْ﴾ يحتمل أن يريد جمعهم للمال أو كثرتهم. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي استكباركم على الناس، أو استكباركم على الرجوع إلى الحق، فما ها هنا مصدرية وما في قوله ما أغنى استفهامية أو نافية.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ من كلام أصحاب الأعراف خطابا لأهل النار والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة، وذلك أن الكفار كانوا في الدنيا يقسمون أن الله لا يرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم، فظهر خلاف ما قالوا، وقيل: هي من كلام الملائكة خطابا لأهل النار، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب الأعراف. ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ خطاب لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف تقديره: قد قيل لهم ادخلوا الجنة، أو خطاب لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة.

(١) الطبري في جامع البيان: ٤٥٣/١٢، وابن كثير في تفسيره: ٥١١/٣ بسند ضعيف.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٥٨/١٢، وابن كثير في تفسيره: ٥١٢/٣ بسند ضعيف.

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُومِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ • ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَٰحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

ثمن

﴿أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ دليل على أن الجنة فوق النار. ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من سائر الأطعمة والأشربة.

﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ أي نتركهم. ﴿كَمَا نَسُواْ﴾ الكاف للتعليل. ﴿وَمَا كَانُواْ﴾ عطف على كما نسوا أي لنسيانهم وجحودهم.

﴿جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ يعني القرآن. ﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ أي علمنا كيف نفصله.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ أي هل ينتظرون إلا عاقبة أمره، وما يؤول إليه من ظهور ما نطق به من الوعد والوعيد. ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ أي قد تبين وظهر الآن أن الرسل جاؤوا بالحق.

﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ حيث وقع، حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبي زيد[1] وغيره، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش وتأولها الأشعرية أن معنى استوى استولى بالملك والقدرة. والحق الإيمان به من غير تكييف، فإن السلامة في التسليم ولله در مالك بن أنس[2] في قوله للذي سأله عن ذلك: الاستواء معلوم، والكيفية مجهولة،

(١) انظر مقدمة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني ص: ٥.

(٢) هذا الأثر مشهور عن الإمام مالك، أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٣/٣٩٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء: ٦/٣٢٥.

والسؤال عن هذا بدعة، وقد روي مثل قول مالك عن أبي حنيفة وجعفر الصادق والحسن البصري[١]، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون في معنى الاستواء بل أمسكوا عنه، ولذلك قال مالك: السؤال عنه بدعة. ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ أي يلحق الليل بالنهار أو يلحق النهار بالليل، ويحتمل الوجهين هكذا قال الزمخشري، وأصل اللفظة من الغشاء أي يجعل أحدهما غشاء للآخر يغطيه، فتغطي ظلمة الليل ضوء النهار ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ أي سريعا والجملة في موضع الحال من الليل أي يطلب الليل النهار فيدركه. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ قيل: الخلق المخلوقات، والأمر مصدر أمر يأمر، وقيل: الخلق مصدر خلق والأمر واحد الأمور، كقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ والكل صحيح. ﴿تَبَارَكَ﴾ من البركة وهو فعل غير منصرف ولم تنطق له العرب بمضارع.

﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ مصدر في موضع الحال، وكذلك ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ وخفية من الإخفاء، وقرئ[٢] خيفة من الخوف. ﴿ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين للحد، وقيل: هنا هو رفع الصوت بالدعاء والتشطط فيه.

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا كما قال الله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾، ومن عرف فضل الله رجاه، ومن عرف عذابه خافه، ولذلك جاء في الحديث: «ولو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»[٣] إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه

---

(١) لم أعثر عليه.

(٢) ﴿وَخُفْيَةً﴾ روى أبو بكر بكسر الخاء، وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٢/٢٩٢.

(٣) هذا اللفظ لا أصل له في الحديث المرفوع كما قال السخاوي في المقاصد الحسنة، ولكنه ثابت عن بعض السلف، انظر كشف الخفاء للعجلوني: ٢/١١٢٧، ولكن المعنى وارد في الأحاديث=

الخوف، ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات، وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله ﷺ: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى**»[1]، واعلم أن الخوف على ثلاث درجات:

الأولى: أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر في الباطن ولا في الظاهر فوجود هذا كالعدم.

والثانية: أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة.

والثالثة: أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز وخير الأمور أوسطها.

والناس في الخوف على ثلاث مقامات: فخوف العامة من الذنوب، وخوف الخاصة من الخاتمة، وخوف خاصة الخاصة من السابقة، فإن الخاتمة مبنية عليها.

والرجاء على ثلاث درجات:

الأولى: رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعته وترك معصيته، فهذا هو الرجاء المحمود.

والثانية: الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور.

والثالثة: أن يقوى الرجاء حتى يبلغ إلى الأمن فهذا حرام.

والناس في الرجاء على ثلاث مقامات: فمقام العامة رجاء ثواب الله، ومقام

= الصحيحة، ففي البخاري: أن رسول الله ﷺ قال: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك»، رواه البخاري الحديث رقم: (٦١٢٣) قال العلماء: الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطائر وتم طيرانه، وإذا انتقص واحد منهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا جميعا صار الطائر في حد الموت. كشف الخفاء: ٢/١١٢٧.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٨٧٧) كتاب الجنة وصفة نعيمها، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٣١١٣).

الخاصة رجاء رضوان الله، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه.

﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ حذفت تاء التأنيث من قريب وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم، أو الترحم، أو العفو، أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي، أو لأنه صفة موصوف محذوف تقديره: شيء قريب، أو على تقدير النسب أي ذات قرب، وقيل: قريب هنا ليس خبرا عن الرحمة وإنما هو ظرف لها.

﴿ٱلرِّيَاحَ نُشْرًا﴾ قرئ[1] الرياح بالجمع لأنها رياح المطر وقد اطرد في القرآن جمعها إذا كانت للرحمة وإفرادها إذا كانت للعذاب، ومنه ما ورد في الحديث: «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا»[2]. وقرئ بالإفراد والمراد الجنس، وقرئ[3] نشرا بفتح النون وإسكان الشين وهو على هذا مصدر في موضع الحال، وقرئ بضمها وهو جمع ناشر، وقيل: جمع منشور وقرئ: بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف

---

(١) ﴿ٱلرِّيَاحَ﴾ قرأ المكي والأخوان وخلف بإسكان الياء التحتية من غير ألف بعدها على الإفراد، والباقون بفتحها وألف بعدها على الجمع. النشر: ٢/٢٥٠.

(٢) ضعيف جدا وهو جزء من حديث ابن عباس يرويه عنه عكرمة: ما هبت الريح إلا جثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال: اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا، قال ابن عباس في كتاب الله تعالى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ فصلت: ١٦، وقال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾ الذاريات: ٤١، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ الروم: ٤٦ المسند: ١/١٩٩، والبغوي في معالم التنزيل: ٤/٣٧٦، وفي رواية أخرى كان النبي ﷺ إذا هاجت ريح استقبلها بوجهه وجثا على ركبتيه ويديه وقال: «اللهم إني أسألك خير هذه الريح وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا». الطبراني في الكبير: ١١/١٧٠، وكل هذه الروايات واهية، وأخرجه النووي في الأذكار: ١/٣١٤.

(٣) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿نُشْرًا﴾ هنا والفرقان والنمل فقرأ عاصم بالباء الواحدة وضمها إسكان الشين في المواضع الثلاثة، وقرأ ابن عامر بالنون وضمها إسكان الشين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالنون وفتحها وإسكان الشين، وقرأ الباقون بالنون وضمها وضم الشين النشر: ٢/٣٠٤.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ • وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

ربع

من الضم كرسل ورسل، وقرئ بالباء في موضع النون من البشارة. ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي قبل المطر. ﴿أَقَلَّتْ﴾ حملت. ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ لأنها تحمل الماء فتثقل به. ﴿سُقْنَاهُ﴾ الضمير للسحاب. ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ يعني لا نبات فيه من شدة القحط وكذلك معناه حيث وقع. ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ الضمير للسحاب أو البلد على أن تكون الباء ظرفية. ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ تمثيل لإخراج الموتى من القبور بإخراج الزرع من الأرض، وقد وقع ذلك في القرآن في مواضع منها: ﴿كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ و﴿كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ هو الكريم من الأرض الجيد التراب. ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها. ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ عبارة عن السهولة والطيب، والنكد بخلاف ذلك، فيحتمل أن يكون المراد ما يقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متممة للمعنى الذي قبلها في المطر، أو تكون تمثيلا للقلوب، فقيل: على هذا: الطيب قلب المؤمن، والخبيث قلب الكافر، وقيل: هما الفهم والبليد.

﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ قرأ الكسائي بالخفض[1] حيث وقع على اللفظ، وقرأ غيره بالرفع على الموضع. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة، أو يوم هلاكهم.

---

(١) ﴿مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ قرأ أبو جعفر والكسائي بخفض الراء وكسر الهاء بعدها، وقرأ الباقون برفع الراء وضم الهاء. النشر: ٢/٣٠٥.

﴿ٱلْمَلَأُ﴾ أشراف الناس.

﴿لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾ إنما قال ضلالة ولم يقل ضلال كقولهم؛ لأن الضلالة أخص من الضلال، كما إذا قيل لك: أعندك تمر؟ فنقول: ما عندي تمرة، فتعم بالنفي.

﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ قرئ(١) بالتشديد والتخفيف والمعنى واحد وهو في موضع رفع صفة لرسول، أو استئناف. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي من صفاته ورحمته وعذابه.

﴿أَوَ عَجِبْتُمْ﴾ الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قال: أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾، أي على لسان رجل منكم.

﴿فِي ٱلْفُلْكِ﴾ يتعلق بمعه، والتقدير: استقروا معه في الفلك، ويحتمل أن يتعلق بأنجيناه. ﴿عَمِينَ﴾ جمع عم، وهو من عمى القلب.

﴿أَخَاهُمْ﴾ أي واحد من قبيلتهم وهو معطوف على ﴿نُوحًا﴾، و﴿هُودًا﴾ بدل منه، أو عطف بيان، وكذلك أخاهم صالحا وما بعده، وما هو مثله حيث وقع.

﴿ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قيد هنا بالكفر لأن في الملإ من قوم هود من آمن وهو مرثد بن سعيد، بخلاف قوم نوح فإنهم لم يكن فيهم مؤمن، فأطلق لفظ الملإ.

﴿أَمِينٌ﴾ يحتمل أن يريد أمانته على الوحي، أو أنهم كانوا قد عرفوه بالأمانة والصدق.

﴿خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ أي خلفتموهم في الأرض أو جعلكم ملوكا ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً﴾ كانوا عظام الأجسام فكان أقصرهم ستون ذراعا وأطولهم مائة ذراع ﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعمه حيث وقع.

---

(١) أبلغكم: قرأ أبو عمرو بإسكان الباء وتخفيف اللام، والباقون بفتح الباء وتشديد اللام. التيسير: ٨١.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾ استبعدوا توحيد الله مع اعترافهم بربوبيته، ولذلك قال لهم هود: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ أي حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب. ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ يعني الأصنام أي تجادلونني في عبادة مسميات أسماء، ففي الكلام حذف، وأراد بقوله: ﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾: جعلتم لها أسماء، فدل ذلك على أنها محدثة فلا يصح أن تكون آلهة، أو سميتموها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فقولكم باطل، فالجدال على القول الأول في عبادتها، وعلى القول الثاني في تسميتها آلهة، والمراد بالأسماء على القول الأول المسمى، وعلى القول الثاني التسمية.

﴿دَابِرَ﴾ ذكر في الأنعام.

﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي آية ظاهرة وهي الناقة، وأضيفت إلى الله تشريفا لها، أو لأنه خلقها من غير فحل، وكانوا قد اقترحوا على صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يخرجها لهم من صخرة وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون، ثم نتجت ولدا، فآمن به قوم منهم وكفر به آخرون. ﴿لَكُمْ ءَايَةً﴾ أي معجزة تدل على صحة نبوءة صالح، والمجرور في موضع الحال من آية لأنه لو تأخر لكان صفة. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ أي لا تضربوها ولا تطردوها.

وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

ثمن

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كانت أرضهم بين الشام والحجاز، وقد دخلها رسول الله ﷺ وأصحابه فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم باكون مخافة أن يصيبكم مثل الذي أصابهم**»[1].

﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي تبنون قصورا في الأرض البسيطة ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ أي تنجرون بيوتا في الجبال، وكانوا يسكنون القصور في الصيف والجبال في الشتاء، وانتصب بيوتا على الحال وهو كقولك: خطت هذا الثوب قميصا.

﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من الذين استضعفوا.

﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ إنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كما قال الآخرون؛ لئلا يكون اعترافا برسالته.

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ نسب العقر إلى جميعهم لأنهم رضوا به، وإن لم يفعله إلا واحد منهم، وهو الأحيمر[2].

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٤٢٣)، والحديث رقم: (٤١٥٨)، وهو في مسلم بلفظ «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم» الحديث رقم: (٢٩٨٠)، والمسند الحديث رقم: (٥٧٠٥)، وابن حبان الحديث رقم: (٦١٩٩).

(٢) وهو أشقى الأولين ففي الحديث، قال رسول الله ﷺ لعلي: من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك، المعجم الكبير رقم: (٧٣١١)، وكنز العمال رقم: (٣٦٤٢٩).

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٣﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٦﴾

﴿الرَّجْفَةُ﴾ الصيحة حيث وقعت، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحة بين السماء والأرض فماتوا منها. ﴿جَاثِمِينَ﴾ حيث وقع أي: قاعدين لا يتحركون.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ الآية يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم، لأنه روي[1] أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم، أو يكون ذلك بعد أن هلكوا وهو ظاهر الآية، وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم، وقوله: ﴿لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ حكاية حال ماضية.

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ العامل في إذ أرسلنا المضمر، أو يكون بدلا من لوط. ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم، ومن الأولى زائدة والثانية للتبعيض أو للجنس.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ الآية أي: أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله. ﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي يتنزهون عن الفاحشة.

﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي من الهالكين، وقيل: من الذين غبروا في ديارهم فهلكوا، أو من الباقين من أترابها، يقال: غبر بمعنى مضى وبمعنى بقي، وإنما قال من الغابرين بجمع المذكر تغليبا للرجال الغابرين.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ يعني الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن

---

(١) المحرر الوجيز ٢/٤٩١.

حزب

• قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

بلادهم وقلبت البلاد بمن كان فيها.

﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي آية ظاهرة، ولم تعين في القرآن آية شعيب. ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ كانوا ينقصون في الكيل والوزن فبعث شعيب ينهاهم عن ذلك، والكيل هنا بمعنى المكيال الذي يكال به مناسبة للميزان كما جاء في هود المكيال والميزان، ويجوز أن يكون الكيل والميزان مصدرين.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ قيل: هو نهي عن السلب وقطع الطريق، وكان ذلك من فعلهم، وقيل: كانوا يقعدون على الطريق يردون الناس عن اتباع شعيب، ويوعدونهم إن اتبعوه. ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ أي تمنعون الناس عن سبيل الله وهو الإيمان والضمير في به للصراط أو لله. ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ ذكر في آل عمران.

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ أي ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم أو عودكم إلى ملة الكفر، فإن قيل: إن العود إلى الشيء يقتضي أنه قد كان فعل قبل ذلك، فيقتضي قولهم لتعودن في ملتنا أن شعيبا ومن كان معه كانوا أولا على ملة قومهم، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا إليها وذلك محال؛ فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوءة وبعدها، **فالجواب**: من وجهين:

أحدهما: قاله ابن عطية، وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار فلا تقتضي تقدم ذلك الحال الذي صار إليه.

والثاني: قاله الزمخشري، وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب، وإنما أدخلوه في الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه في الخطاب معهم في قولهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ﴾ فغلبوا في الخطاب بالعود الجماعة على الواحد، وبمثل ذلك يجاب عن قوله: ﴿إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾، ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا﴾.

﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ الهمزة للاستفهام والإنكار، والواو للحال تقديره: أنعود في ملتكم وما يكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون.

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم﴾ أي إن عدنا فيها فقد وقعنا في أمر عظيم من الافتراء على الله، وذلك تبرأ من العود فيها ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدب مع الله وإسناد الأمور إليه، وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه؛ فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء. فإن قلت: إن ذلك يصح في حق قومه وأما في حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر، فالجواب: أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا مع الله تعالى واستسلاما لأمره، كقول نبينا ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»[1] مع أنه قد علم أنه يثبته ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ أي احكم.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا﴾ أي كأن لم يقيموا في ديارهم.

﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ أي كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم.

﴿بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ﴾ قد تقدم. ﴿بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ أي أبدلنا البأساء

---

(١) صحيح أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٥٢٢)، وأحمد: ٦/٢٩٤، والطبري في جامع البيان: ٦/رقم: (٦٦٥٠)..

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ • أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

والضراء بالنعيم اختبارا لهم في الحالتين. ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ أي كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم. ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ أي قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضرهم فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار.

﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي بالمطر والزرع.

﴿أَوَ أَمِنَ﴾ من قرأ[1] بإسكان الواو فهي أو العاطفة، ومن قرأ بفتحها فهي واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ، كما دخلت على الفاء في قوله:

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ أي استدراجه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ أي أولم يتبين. ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ﴾ أي يسكنونها. ﴿أَن لَّوْ نَشَاءُ﴾ هو فاعل أولم يهد، ومقصود الآية الوعيد. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ عطف على أصبناهم لأنه في معنى المستقبل، أو منقطع على معنى الوعيد، وأجاز الزمخشري أن يكون عطفا على يرثون الأرض، أو على ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قال: يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ الضمير لأهل القرى، والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود.

---

(١) ﴿أَوْ أَمِنَ﴾ قرأ المدنيان والمكي والشامي بإسكان الواو، وورش على أصله من نقل حركة الهمزة إلى الواو مع حذف الهمزة. النشر: ٣٠٥/٢، والبدور الزاهرة في القرآت العشر المتواترة ص: ١٣٤، وانظر التيسير، ص: ٨١.

حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ ﴿١٠٤﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٥﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٦﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٨﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٠٩﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٠﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١١﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٢﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٥﴾ ● وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٦﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٧﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٨﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١١٩﴾

ربع

﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ من قرأ[1] علي بالتشديد على أنها ياء المتكلم، فالمعنى ظاهر وهو أن موسى قال: حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق، وموضع أن لا أقول على هذا رفع على أنه خبر حقيق، وحقيق مبتدأ أو بالعكس، ومن قرأ على بالتخفيف فموضع أن لا أقول خفض بحرف الجر، وحقيق صفة لرسول، وفي المعنى على هذا وجهان:

أحدهما: أن على بمعنى الباء فمعنى الكلام رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق.

والثاني: أن معنى حقيق حريص، ولذلك تعدى بعلى.

﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي بمعجزة تدل على صدقي وهي العصا، أو جنس المعجزات. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَاءِيلَ﴾ أي خلهم يذهبوا معي إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم، وذلك أنه لما توفي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ غلب فرعون على بني إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى، وكان بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخلها فيه موسى أربعمائة عام.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ﴾ وكان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ شديد الأدمة فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها في جيبه ثم أخرجها وهي بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد

(١) ﴿حقيق على﴾ قرأ نافع بالياء المشددة المفتوحة بعد اللام، والباقون بألف بعد اللام. المصادر السابقة.

بياضا، وقيل: إنها كانت منيرة شفافة كالشمس، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه. ﴿لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ مبالغة في وصف يده بالبياض، وكان الناس يجتمعون للنظر إليها والتعجب منها.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ حكي هذا الكلام هنا عن الملإ، وفي الشعراء عن فرعون كأنه قد قاله هو وهم، أو قاله هو ووافقوه عليه كعادة جلساء الملوك في اتباعهم لما يقول الملك.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ أي: يخرجكم منها بالقتال أو بالحيل، وقيل: المراد إخراج بني إسرائيل، وكانوا خداما لهم فتخرب الأرض بخروج الخدام والعمار منها. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ من قول الملإ أو من قول فرعون وهو من معنى المؤامرة أي المشاورة، أو من الأمر وهو ضد النهي.

﴿أَرْجِهِ﴾ من قرأه[1] بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته، فمعناه أخرهما حتى ننظر في أمرهما، وقيل: المراد بالإرجاء هنا السجن، ومن قرأ بغير همز فتحتمل أن تكون بمعنى المهموز وسهلت الهمزة، أو يكون بمعنى الرجاء أي أطمعه، وأما ضم الهاء وكسرها فلغتان، وأما إسكانها فلعله أجرى فيها الوصل مجرى الوقف. ﴿حَـٰشِرِينَ﴾ يعني الشرط، أي جامعين للسحرة.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هنا محذوف يدل عليه سياق الكلام، وهو أنه بعث إلى السحرة.

﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ من قرأه بهمزتين فهو استفهام، ومن قرأه[2] بهمزة واحدة

---

(١) قال الداني: ابن كثير وهشام ﴿أرجئه﴾ هنا وفي الشعراء بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو بالهمز والضم من غير صلة، وابن ذكوان بالهمز ويكسر الهاء ولا يصلها بياء، وقالون بغير همز ويختلس الكسرة، وورش والكسائي بغير همز ويصلان الهاء بياء، وعاصم وحمزة بغير همز ويسكنان الهاء، والهاء في الوقف ساكنة بلا خلاف إلا في مذهب من ضمها سواء وصلها أو لم يصلها فإن الروم والإشمام جائزان فيها. التيسير، ص: ٨١.

(٢) قرأ المدنيان والمكي وحفص بهمزة واحدة مكسورة على الخبر والباقون بهمزتين الأولى=

فيحتمل أن يكون خبرا أو استفهاما حذفت منه الهمزة، والأجر هنا الأجرة طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى فأنعم لهم فرعون بها، وزادهم التقريب منه والجاه عنده.

﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عطف على معنى نعم كأنه قال: نعطيكم أجرا ونقربكم، واختلف في عدد السحرة اختلافا متباينا من سبعين رجلا إلى سبعين ألفا، وكل ذلك لا أصل له في صحة النقل.

﴿يَامُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤوا هم بإلقاء سحرهم، فأمرهم أن يلقوا، وانظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه.

﴿وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أي خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر.

﴿أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ لما ألقاها صارت ثعبانا عظيما على قدر الحبل، وقيل: إنه طال حتى جاوز النيل. ﴿تَلْقَفُ﴾ أي تبتلع. ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ أي ما صوروا من إفكهم وكذبهم، وروي: أن الثعبان أكل ملء الوادي من حبالهم وعصيهم ومد موسى يده إليه فصار عصا كما كان، فعلم السحرة أن ذلك ليس من السحر، وليس في قدرة البشر فآمنوا بالله وبموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ﴾ الآية وعيد من فرعون للسحرة، وليس في القرآن أنه أنفذ ذلك، لكن روي: أنه أنفذه عن ابن عباس[1] وغيره، وقد ذكر معنى من خلاف في العقود.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ أي لا نبالي بالموت لانقلابنا إلى ربنا.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا﴾ أي ما تعيب منا إلا إيماننا.

= مفتوحة والثانية مكسورة. البدور الزاهرة ص١٣٥.

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٤/١٣ رقم: (١٣٩٥٦).

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٠﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢١﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٢﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٣﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٤﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٧﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٩﴾

﴿لِيُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي يخربوا ملك فرعون وقومه ويخالفوا دينه ﴿وَيَذَرَكَ﴾ معطوف على ليفسدوا، أو منصوب بإضمار أن بعد الواو ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾ قيل: إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما يعبدونها وجعل نفسه الإله الأكبر، فلذلك قال: أنا ربكم الأعلى، فآلهتك على هذا هي تلك الأصنام، وقرأ علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن عباس[1]: وإلهتك أي عبادتك والتذلل لك.

﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ تعليل للصبر الذي أمرهم به يعني أرض الدنيا هنا وفي قوله: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، وقيل: يعني أرض فرعون فأشار لهم موسى أولا بالنصر في قوله: ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ ثم صرح في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ الآية. ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ حض على الاستقامة والطاعة.

﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ أي الجدب والقحوط.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الآية إذا جاءهم الخصب والرخاء قالوا هذه لنا ويسعدنا ونحن مستحقون له، وإذا جاءهم الجدب والشدة تطيروا بموسى، أي قالوا

---

(١) صحيح عن ابن عباس الطبري في جامع البيان: ٣٩/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٥٣٨/٥ أما قراءة علي وابن مسعود فذكرها ابن حيان في البحر المحيط، بدون سند: ٣١٧/٤، وقال: إنها قراءة جماعة من الصحابة، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٥٠٨/٢.

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ ۞ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

ثمن

هذا بشؤمه. فإن قيل: لم قال إذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة، وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة؟ فالجواب: أن وقوع الحسنة كثير والسيئة وقوعها نادر، فعرف الكثير الوقوع باللام التي للعهد وذكره بإذا لأنها تقتضي التحقيق وذكر السيئة بإن لأنها تقتضي الشك ونكرها للتعليل. ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي إنما حظهم ونصيبهم الذي قدر لهم من الخير والشر عند الله وهو مأخوذ من زجر الطير، ثم سمى به ما يصيب الإنسان، ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم.

﴿مَهْمَا﴾ هي ما الشرطية ضمت إليها ما الزائدة، نحو: أينما، ثم قلبت الألف هاء، وقيل: هي اسم بسيط غير مركب والضمير في به عائد على مهما، وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها آية، أو على وجه التهكم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ روي[1] أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم، وكادوا يهلكون وامتنعوا من الزراعة، وقيل: هو الطاعون. ﴿وَالْجَرَادَ﴾ هو المعروف أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم وأبوابهم وسقف بيوتهم. ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ قيل: هي صغار الجراد، وقيل: البراغيث، وقيل: السوس، وقرئ[2]

---

(١) أثر حسن أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦١/١٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٥٤٥/٥.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ الحسن ﴿القمل﴾ بفتح القاف وسكون الميم فهي على هذا القمل المعروف. المحرر الوجيز: ٥١١/٢.

القمل بفتح القاف والتخفيف فهي على هذا القمل المعروف، وكانت تتعلق بلحومهم وشعرهم. ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ هي المعروفة كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم، وإذا تكلم أحدهم وثب الضفدع إلى فمه. ﴿وَالدَّمَ﴾ صارت مياههم دما فكان يستقي من البئر القبطي والإسرائيلي في إناء واحد فيخرج ما يلي القبطي دما وما يلي الإسرائيلي ماء.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ أي العذاب وهي الأشياء المتقدمة وكانوا مهما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم، فلما كشفه عنهم نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم. ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بدعائك إليه ووسائلك، والباء تحتمل أن تكون للقسم وجوابه لنؤمنن لك، أو يتعلق بادع لنا أي توسل إليه بما عهد عندك.

﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر حيث وقع.

﴿الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ هم بنو إسرائيل. ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ الشام ومصر. ﴿بَارَكْنَا فِيهَا﴾ أي بالخصب وكثرة الأرزاق. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي تمت لهم واستقرت والكلمة هنا ما قضى لهم في الأزل، وقيل: هي قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ أي يبنون، وقيل: هي الكروم وشبهها، فهو على الأول من العرش، وعلى الثاني من العريش.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا﴾ أي اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم. ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتدأ خبره مع بني إسرائيل من هنا إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ﴾.

﴿مُتَبَّرٌ﴾ من التبار وهو الهلاك.

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَاءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

ربع

﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وما بعده مذكور في البقرة.

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ روي أن الثلاثين هي شهر ذي القعدة، وأن العشر بعدها هي العشر الأول من ذي الحجة، وذلك تفصيل الأربعين المذكورة في البقرة. ﴿مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ أي ما وقت له من الوقت لمناجاته في الطور. ﴿اخْلُفْنِي﴾ أي كن خليفتي على بني إسرائيل مدة مغيبي.

﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ لما سمع موسى كلام الله طمع في رؤيته فسألها كما قال الشاعر(١):

وأبرح ما يكون الشوق يوما ... إذا دنت الديار من الديار

واستدل الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلا وأنها لو كانت محالا لم يسألها موسى، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون ما يجوز على الله وما يستحيل عليه، وتأول الزمخشري طلب موسى للرؤية بوجهين:

أحدهما: أنه إنما سأل ذلك تبكيتا لمن خرج معه من بني إسرائيل الذين طلبوا

---

(١) نسبه أبو الفرج الأصبهاني لإسحاق الموصلي: ومعه هذا البيت:

حَنَنْتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغار ... وشاقك منهمُ قربُ المَزَارِ

وأَبْرحُ ما يكون الشوقُ يوماً ... إذا دَنَتِ الدِّيارُ من الديار

الأغاني: ١/٤٥٣ ط دار الفكر.

الرؤية ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾، فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب في المنع فيتأدبوا.

والآخر: أن معنى أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا، وكلا الوجهين بعيد والثاني أبعد وأضعف؛ فإنه لو لم يكن المراد الرؤية لم يقل له: ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ الآية.

﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ قال مجاهد[1] وغيره: إن الله قال لموسى لن تراني؛ لأنك لا تطيق ذلك، ولكن سأتجلى للجبل الذي هو أقوى منك وأشد فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتي أمكن أن تراني أنت، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق أنت، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالا لموسى، وقال قوم: المعنى: سأتجلى لك على الجبل، وهو ضعيف يبطله قوله: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾.

فإذا تقرر هذا: فقوله تعالى: لن تراني نفي للرؤية وليس فيه دليل على أنها محال، فإنه إنما جعل علة النفي عدم إطاقة موسى الرؤية لا استحالتها، ولو كانت الرؤية مستحيلة لكان في الجواب زجر وإغلاظ، كما قال الله لنوح ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ فهذا المنع من رؤية الله إنما هو في الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك، وأما في الآخرة فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا ينكرها إلا مبتدع، وبين أهل السنة والمعتزلة في مسألة الرؤية نزاع طويل، وفي هذه القصة قصص كثيرة تركته لعدم صحته، ولما فيه من الأقوال الفاسدة.

﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ أي مدكوكا فهو مصدر بمعنى مفعول، كقولك: ضرب الأمير، والدك والدق: أخوان وهو التفتت. وقرئ[2]: دكاء بالمد والهمز أي أرضا دكاء، قيل: ذهب أعلى الجبل وبقي أكثره، وقيل: تفتت حتى صار غبارا، وقيل: ساخ في الأرض

---

(١) ضعيف جدا أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣/١٥٠٩٠.

(٢) الداني: الكوفيون ﴿جعله دكاء﴾ بالمد والهمز من غير تنوين والباقون بالتنوين من غير همز. التيسير، ص: ١٠١.

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ (١٤٤) وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ (١٤٥) سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ (١٤٦) وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٤٧) ۞ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ (١٤٩)

ثمن

وأفضى إلى البحر ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أي مغشيا عليه. ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ معناه تبت من سؤال الرؤية في الدنيا وأنا لا أطيقها. ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي أول قومه أو أول زمانه، أو على وجه المبالغة في السبق إلى الإيمان.

﴿ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ هو عموم يراد به الخصوص، فإن جميع الرسل قد شاركوه في الرسالة، واختلف: هل كلم الله غيره من الرسل، أم لا؟ والصحيح أنه كلم نبينا محمدا ﷺ ليلة الإسراء. ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ تأديبا أي اقنع بما أعطيتك من رسالتي وكلامي ولا تطلب غير ذلك.

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ أي ألواح التوراة وكانت سبعة، وقيل: عشرة وقيل: اثنان وقيل: كانت من زمرد، وقيل: من ياقوت، وقيل: من خشب. ﴿مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه في دينهم، وكذلك تفصيلا لكل شيء، وموضع من كل شيء نصب على أنه مفعول كتبنا، وموعظة بدل منه. ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ أي بجد وعزم والضمير للتورية. ﴿يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ أي فيها ما هو حسن وأحسن منه، كالقصاص مع العفو، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات. ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي دار فرعون وقومه وهو مصر، والمعنى: أريكم كيف أقفرت منهم لما هلكوا، وقيل: منازل عاد وثمود ومن هلك

من الأمم المتقدمة ليعتبروا بها، وقيل: جهنم وقرأ ابن عباس[1] سأورثكم بالثاء المثلثة من الوراثة، وهي على هذا مصدر، لقوله: ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الآيات يحتمل هنا أن يراد بها القرآن وغيره من الكتب، أو العلامات والبراهين، والصرف يراد به صدهم عن فهمها وعن الإيمان بها عقوبة لهم على تكبرهم، وقيل: الصرف: منعهم من إبطالها.

﴿وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ﴾ يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به، أي ولقاؤهم الآخرة، أو من إضافة المصدر إلى الظرف.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾ هم بنو إسرائيل. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي من بعد غيبته في الطور. ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ بضم الحاء والتشديد جمع حلي، نحو ثَدي وثُدى، وقرئ[2] بكسر الحاء للإتباع، وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام، والحلي هو: ما يتزين به من الذهب والفضة. ﴿جَسَدًا﴾ أي جسما دون روح، وانتصابه على البدل. ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ الخوار هو صوت البقر، وكان السامري قد قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر، فقذفه في العجل فصار له خوار، وقيل: كان إبليس يدخل في جوف العجل فيصيح فيه فيسمع له الخوار. ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ رد عليهم وإبطال لمذهبهم الفاسد في عبادته. ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ أي اتخذوه إلها فحذف المفعول الثاني للعلم به، وكذلك حذف من قوله: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾.

﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا، يقال: سقط في يد فلان إذا عجز عما يريد، أو وقع فيما يكره.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ قسامة بن زهير «سأورثكم» قاله أبو حاتم، ونسبها المهدوي إلى ابن عباس. المحرر الوجيز: ٢/٥٢١.

(٢) ﴿حليهم﴾ قرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء واللام وتشديد الياء وكسرها، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وإسكان اللام وكسر الياء مخففة، والباقون بضم الحاء وكسر اللام والياء مشددة. النشر: ٢/٣٠٦، وانظر التيسير، ص: ٨٢، والبدور، ص: ١٣٨.

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا
خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ
ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا
تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى
وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾
وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا
هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ
قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ
شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ
إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ
وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن على ما فعلوه، وقيل: شديد الغضب، كقوله: فلما آسفونا. ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى﴾ أي قمتم مقامي، وفاعل بئس مضمر يفسره ما، واسم المذموم محذوف، والمخاطب بذلك: إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامري حيث عبدوا غير الله في غيبة موسى عنهم، أو رؤساء بني إسرائيل كهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث لم يكفوا الذين عبدوا العجل. ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ معناه أعجلتم عن أمر ربكم، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور فإنهم لما رأوا أن الأمر قد تم ظنوا أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد مات فعبدوا العجل. ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ طرحها لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله من عبادة العجل. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي شعر رأسه. ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ لأنه ظن أنه فرط في كف الذين عبدوا العجل. ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ كان هارون شقيق موسى، وإنما دعاه بأمه لأنه أدعى إلى العطف والحنو وقرئ:[1] ابن أم بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم وحذفت الياء، وبالفتح تشبيها بخمسة عشر جعل الاسمان اسما واحدا فبني. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي لا تظن أني منهم، أو لا تجد علي في نفسك ما تجد عليهم، يعني أصحاب العجل.

﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ﴾ أي غضب في الآخرة، وذلة في الدنيا.

---

(١) ﴿ابن أم﴾ قرأ ابن عامر وشعبة والأخوان وخلف بكسر الميم، والباقون بفتحها، ووقف عليه حمزة بالتحقيق فقط من طريق الحرز لفصل ابن عن أم. النشر ٢/٣٠٦.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ﴾ أي سكن، وكذلك قرأ بعضهم، وقال الزمخشري[١]: قوله سكت مثل، كأن الغضب كان يقول له: ألق الألواح، وجر برأس أخيك، ثم سكت عن ذلك. ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي فيما ينسخ منها والنسخة فعلة بمعنى مفعول. ﴿لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ أي يخافون، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله: للرؤيا تعبرون، وقال المبرد: تتعلق بمصدر، تقديره: رهبتهم لربهم.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي من قومه. ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ حملهم معه إلى الطور فيسمعون كلام الله لموسى، فقالوا: أرنا الله جهرة، فأخذتهم الرجفة، عقابا لهم على قولهم، وقيل: إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل، أو لسكوتهم على عبادته والأول أرجح، لقوله: ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء، والأول أظهر، لقوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾. ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰيَ﴾ يحتمل أن تكون لو هنا للتمني أي تمنوا أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك؛ لأنه خاف من تشغيب بني إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله، كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت، فإنا عبيدك وتحت قهرك وأنت تفعل ما تشاء، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة، كأنه قال: لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت، لكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن ما وعدتنا، وأحي هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ أي أتهلكني وتهلك بني إسرائيل بما فعل السفهاء الذين طلبوا الرؤية والذين عبدوا العجل، فمعنى هذا إدلاء بحجته وتبرؤ من فعل السفهاء، ورغبة إلى الله أن لا يعم الجميع بالعقوبة. ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي الأمور كلها بيدك. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾ ومعنى هذا اعتذار عن فعل السفهاء، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته.

---

(١) الكشاف: ٢/١٥٤. وأضاف هذه القراءة الشاذة لمعاوية بن قرة.

• وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ أي تبنا وهذا الكلام الذي قاله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما هو كله استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه، ولا يقتضي شيئا مما توهم الجهال فيه من الجفاء في قوله: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾، لأنا قد بينا أنه إنما قال ذلك استعطافا لله وبراءة من فعل السفهاء. ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ قيل: الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة، والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم، وقرئ[1] من أساء بالسين وفتح الهمزة من الإساءة، وأنكرها بعض المقرئين وقال إنها تصحيف. ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتمل أن يريد رحمته في الدنيا فيكون خصوصا في الرحمة وعموما في كل شيء، لأن المؤمن والكافر والمطيع والعاصي تنالهم رحمة الله ونعمته في الدنيا، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة فيكون خصوصا في كل شيء لأن الرحمة في الآخرة مختصة بالمؤمنين، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق، فيكون عموما في الرحمة وفي كل شيء. ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة فهي بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتبها الله لهم وهم أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كانت رحمة الدنيا فهي أيضا مختصة بهم لأن الله نصرهم على جميع الأمم وأعلى دينهم على جميع الأديان، ومكن لهم في الأرض ما لم يمكن لغيرهم،

(١) قال ابن عطية: وقرأ الحسن وطاوس وعمرو بن فائد «من أساء» من الإساءة. المحرر الوجيز: ٥٣٠/٢.

وإن كانت على الإطلاق، فكقوله: سأكتبها، تخصيص للإطلاق. ﴿وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي يؤمنون بجميع الكتب والأنبياء، وليس ذلك لغير هذه الأمة.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ هذا الوصف خصص أمة محمد ﷺ قال بعضهم: لما قال الله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ طمع فيها كل أحد حتى إبليس، فلما قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يئس إبليس لعنه الله، وبقيت اليهود والنصارى، فلما قال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ الآية: يئس اليهود والنصارى. ﴿النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ﴾ أي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وذلك من أعظم دلائل نبوءته ﷺ؛ لأنه أتى بالعلوم الجمة من غير قراءة ولا كتابة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَـٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ قال بعضهم: الأمي منسوب إلى الأم، وقيل: إلى الأمة. ﴿الَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ ضمير الفاعل في يجدونه لبني إسرائيل، وكذلك الضمير في عندهم ومعنى يجدونه يجدون نعته وصفته، ولنذكر هنا ما ورد في التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد ﷺ:

فمن ذلك: ما ورد في البخاري وغيره أن في التوراة من صفة النبي ﷺ: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، لا تجزي بالسيئة السيئة، ولكن تعفو وتصفح، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح به عيونا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا»[(١)].

ومن ذلك: ما في التوراة، مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن: إن الملك نزل على إبراهيم فقال له: في هذا العام يولد لك غلام اسمه:

---

(١) البخاري في صحيحه: (٢١٢٥)، والطبري في جامع البيان: ١٣/١٦٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٣/٨٨.

إسحاق، فقال إبراهيم: يارب ليت إسماعيل يعيش يخدمك فقال الله لإبراهيم لك ذلك قد استجيب لك في إسماعيل، وأنا أباركه وأنميه وأكبره وأعظمه بماذ ماذ، وتفسير هذه الحروف محمد.

ومن ذلك: في التوراة: إن الرب تعالى جاء في طور سيناء، وطلع من صاعر، وظهر من جبال فاران، ويعني بطور سيناء: موضع مناجاة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وصاعر: موضع عيسى، وفاران هي مكة موضع مولد نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومبعثه، ومعنى ما ذكر من مجيء الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع، ويفسر ذلك ما في كتاب أشعيا خطابا لمكة: قومي فأزهري مصباحك، فقد دنا وقتك، وكرامة الله طالعة عليك، فقد تخلل الأرض الظلام وغلا على الأمم المصاب، والرب يشرق عليك إشراقا ويظهر كرامة عليك تسير الأمم إلى نورك، والملوك إلى ضوء طلوعك، ارفعي بصرك إلى ما حولك، وتأملي فإنهم مستجمعون عندك، وتحج إليك عساكر الأمم. وفي بعض كتبهم: لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود، وامتلأت الأرض من حمده، لأنه ظهر بخلاص أمته.

ومن ذلك: في التوراة أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك فقال لها: يا هاجر: أين تريدين؟ ومن أين أقبلت؟ فقالت: أهرب من سيدتي سارة، فقال لها: ارجعي إلى سارة وستحبلين وتلدين ولدا اسمه إسماعيل، وهو يكون عين الناس، وتكون يده فوق الجميع، وتكون يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، ووجه دلالة هذا الكلام على نبوءة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن هذا الذي وعدها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع، وأن يد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع، إنما ظهر بمبعث النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وظهور دينه وعلو كلمته، ولم يكن ذلك لإسماعيل ولا لغيره قبل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن ذلك في التوراة أيضا: أن الرب يقيم لهم نبيئا من إخوتهم، وأي رجل لم يسمع الكلام الذي يؤديه ذلك النبي عن الله فينتقم الله منه، ودلالة هذا الكلام

ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كبني قريظة، وبني قينقاع، وغيرهم.

ومن ذلك: في التوراة: إن الله أوحى إلى إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: وقد أجبت دعاءك في إسماعيل وباركت عليه، وسيلد اثني عشر عظيما، وأجعله لأمة عظيمة.

ومن ذلك: في الإنجيل: أن المسيح قال للحواريين إني ذاهب عنكم وسيأتيكم الفارقليط الذي لا يتكلم من قبل نفسه، إنما يقول كما يقال له، وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾، وتفسير الفارقليط: أنه مشتق من الحمد، واسم نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: محمد، وأحمد، وقيل: معنى الفارقليط الشافع المشفع.

ومن ذلك: في التوراة: أن مولده بمكة، ومسكنه بطيبة، وأمته الحمادون، وبيان ذلك: أن أمته يقرؤون الحمد لله في صلاتهم مرارا كثيرة في كل يوم وليلة.

وعن شهر بن حوشب مثل ذلك في إسلام كعب الأحبار، وهو من اليمن من حمير: أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك، وقال: كان أبوه من مؤمني أهل التوراة برسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان من عظمائهم وخيارهم.

قال كعب:[1] وكان من أعلم الناس بما أنزل الله على موسى من التوراة وبكتب الأنبياء، ولم يكن يدخر عني شيئا مما كان يعلم، فلما حضرته الوفاة دعاني فقال: يا بني قد علمت أني لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم إلا أني حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث، وقد أظل زمانه، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتي أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه، وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما في هذه الكوة التي ترى وطينت عليهما فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا، وأقرهما في موضعهما حتى يخرج ذلك النبي، فإذا خرج

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه: ١٦/١، ومعالم التنزيل: ٢٨٩/٣، وفي المصابيح: ٤٦/٤، وهو في الدر المنثور: ٥٧٦/٣.

فاتبعه وانظر فيهما فإن الله يزيدك بهذا خيرا، فلما مات والدي: لم يكن شيء أحب إلي من أن ينقضي المأتم حتى أنظر ما في الورقتين، فلما انقضى المأتم: فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيئين، لا نبي بعده مولده بمكة ومهاجره بطيبة، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يجزي بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف، وعلى كل حال، وتتذلل بالتكبير ألسنتهم، وينصر الله نبيئهم على كل من ناوأه، يغسلون فروجهم بالماء، ويأتزرون على أوساطهم وأناجيلهم في صدورهم، ويأكلون قربانهم في بطونهم ويؤجرون عليها، وتراحمهم بينهم تراحم بني الأم والأب، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، وهم السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم، فلما قرأت هذا قلت في نفسي: والله ما علمني شيئا خيرا لي من هذا، فمكثت ما شاء الله حتى بعث النبي ﷺ وبيني وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه، وبلغني أنه خرج في مكة فهو يظهر مرة ويستخفي مرة، فقلت: هو هذا، وتخوفت ما كان والدي حذرني وخوفني من ذكر الكذابين، وجعلت أحب أن أتبين وأتثبت فلم أزل بذلك حتى بلغني أنه أتى المدينة، فقلت في نفسي: إني لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل إليه، فلم يقدر لي حتى بلغني أنه توفي رسول الله ﷺ، فقلت في نفسي: لعله لم يكن الذي كنت أظن، ثم بلغني أن خليفة قام مقامه، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده، فقلت في نفسي لا أدخل في هذا الدين حتى أعلم: أهم الذين كنت أرجو وأنتظر، وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم، وإلى ما تكون عاقبتهم؟ فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وأتثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر، فحدثت نفسي بالدخول في دين الإسلام، فوالله إني ذات ليلة فوق سطح لي إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ

ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾، فلما سمعت هذه الآية خشيت والله ألا أصبح حتى يحول وجهي في قفاي، فما كان شيء أحب إلي من الصباح، فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت، وقال كعب لعمر عند انصرافهم إلى الشام: يا أمير المؤمنين إنه مكتوب في كتاب الله إن هذه البلاد التي كان فيها بنو إسرائيل وكانوا أهلها مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره، وقوله لا يخالف فعله، والقريب والبعيد عنده في الحق سواء، وأتباعه رهبان بالليل أسد بالنهار، متراحمون متواصلون متباذلون فقال له عمر: ثكلتك أمك، أحق ما تقول؟ قال: إي والذي أنزل التوراة على موسى، والذي يسمع ما تقول إنه لحق، فقال عمر: الحمد لله الذي أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد ﷺ برحمته التي وسعت كل شيء.

ومن ذلك[1] كتاب فروة بن عمر الجذامي إلى رسول الله ﷺ وكان من ملوك العرب بالشام فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله من فروة بن عمر إني مقر بالإسلام مصدق، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجنه، فقال: والله لا أفارق دين محمد أبدا فإنك تعرف إنه النبي الذي بشر به عيسى ابن مريم، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه، فقال قيصر: صدق والإنجيل.

ويشهد لهذا ما أخرجه البخاري ومسلم[2] من كتاب رسول الله ﷺ إلى

---

(١) منقطع ذكره ابن هشام في السيرة: ٢٣٨/٤، وابن كثير في البداية والنهاية: ٩١/٥ عن ابن إسحاق بدون إسناد.

(٢) هو جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي الحديث رقم: (٥)، وفي مواضع أخرى منه، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٧٧٣)، وأبو داود الحديث رقم: (٥١٣٦)، وأحمد: ٢٦٢/١، وغيرهم.

هرقل، وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه ﷺ فلما أخبر بها علم أنه رسول الله، وقال: إنه يملك موضع قدمي ولو خلصت إليه لغسلت قدميه.

ومن حديث زيد بن أسلم(١) عن أبيه وهو عندنا بالإسناد: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج في زمان الجاهلية مع ناس من قريش في التجارة إلى الشام، قال: فإني لفي سوق من أسواقها إذا أنا ببطريق قد قبض على عنقي، فذهبت أنازعه فقيل لي: لا تفعل فإنه لا نصف لك منه، فأدخلني كنيسة فإذا تراب عظيم ملقى فجاءني بزنبيل ومجرفة فقال: أنقل ما ههنا فجعلت أنظر كيف أصنع، فلما كان من الهاجرة وافاني وعليه ثوب أرى سائر جسده منه، فقال: أثنك على ما أرى ما نقلت شيئا، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغي فقلت: واثكل أمك يا عمر، أبلغت ما أرى؟ ثم وثبت إلى المجرفة فضربت بها هامته فنثرت دماغه ثم واريته في التراب وخرجت على وجهي لا أدري أين أسير، فسرت بقية يومي وليلتي من الغد إلى الهاجرة فانتهيت إلى دير فاستظللت بفنائه فخرج إلي رجل منه فقال لي: يا عبد الله ما يقعدك هنا، فقلت أضللت أصحابي فقال لي: ما أنت على طريق وإنك لتنظر بعيني خائف، فادخل فأصب من الطعام واسترح، فدخلت فأتاني بطعام وشراب وأطعمني ثم صعد في النظر وصوبه فقال: قد علم والله أهل الكتاب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب مني، وإني لأرى صفتك الصفة التي تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه، فقلت: يا هذا لقد ذهبت بي في غير مذهب، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت: عمر بن الخطاب، فقال: أنت والله صاحبنا فاكتب لي على ديري هذا وما فيه، فقلت: يا هذا إنك قد صنعت إلي صنيعة فلا تكدرها، فقال: إنما هو كتاب في رق فإن كنت صاحبنا فذلك، وإلا لم يضرك شيء، فكتب له على ديره وما فيه، فأتاني بثياب ودراهم فدفعها إلي ثم أوكف أتانا فقال لي: أتراها؟ فقلت: نعم، قال سر عليها فإنك لا تمر بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك فإذا بلغت مأمنك فاضرب

(١) ضعيف جدا أخرجه ابن عساكر كما في البداية والنهاية: ٧/٦٤.

وجهها مدبرة فانهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلي، قال: فركبتها فكان كما قال، حتى لحقت بأصحابي وهم متوجهون إلى الحجاز فضربتها مدبرة وانطلقت معهم فلما وافى عمر الشام في زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس فلما رآه عرفه فقال: قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال: هل عندكم من نفع للمسلمين؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، قال: إن أضفتم المسلمين ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك، قال: نعم يا أمير المؤمنين فوفى له عمر رضي الله عنه ورحمه.

وعن سيف يرفعه[1] إلى سالم بن عبد الله قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال: السلام عليك يا فاروق أنت صاحب إيلياء، والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء.

ومن ذلك[2] أن عمرو بن العاص قدم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ قد أرسله إلى عمان واليا عليها، فجاءه يوما يهودي من يهود عمان فقال له: أنشدك بالله من أرسلك إلينا؟ فقال له رسول الله ﷺ فقال اليهودي والله إنك لتعلم أنه رسول الله، قال عمرو اللهم نعم، فقال اليهودي: لئن كان حقا ما تقول لقد مات اليوم، فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذي قال له اليهودي: إن النبي ﷺ مات فيه. ثم خرج فأخبر بموت النبي ﷺ وهو في الطريق، ووجده قد مات في ذلك اليوم ﷺ وبارك وشرف وكرم.

ومن ذلك: أن وفد غسان[3] قدموا على رسول الله ﷺ فلقيهم أبو بكر

(١) ضعيف ذكره ابن كثير في البداية والنهاية: ٦٤/٧.

(٢) الطبقات: ٢٦٢/١، وابن الأثير: ٢٧٢/٢.

(٣) لم أجده.

الصديق، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: رهط من غسان، قدمنا على محمد لنسمع كلامه فقال لهم: انزلوا حيث تنزل الوفود، ثم ائتوا رسول الله ﷺ فكلموه فقالوا: وهل نقدر على كلامه كما أردنا؟ فتبسم أبو بكر وقال: إنه ليطوف بالأسواق ويمشي وحده ولا شرطة معه ويرغب من يراه منه، فقالوا لأبي بكر: من أنت أيها الرجل؟ فقال: أنا أبو بكر بن أبي قحافة، فقالوا أنت تقوم بهذا الأمر بعده، فقال أبو بكر: الأمر إلى الله، فقال لهم كيف تخدعون عن الإسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته، وأنه آخر الأنبياء؟ ثم لقوا رسول الله ﷺ فأسلموا.

﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ يحتمل أن يكون هذا من وصف النبي ﷺ في التوراة فتكون الجملة في موضع الحال من ضمير المفعول في يجدونه، أو تفسير لما كتب من ذكره، أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور في التوراة والإنجيل. ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ مذهب مالك أن الطيبات هي الحلال، وأن الخبائث هي الحرام، ومذهب الشافعي أن الطيبات هي المستلذات إلا ما حرمه الشرع منها كالخمر والخنزير، وأن الخبائث هي المستقذرات كالخنافس والعقارب وغيرها. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ وهو مثل لما كلفوا في شرعهم من المشقات، كقتل الأنفس في التوبة، وقطع موضع النجاسة من الثوب، وكذلك الأغلال عبارة عما منعت منه شريعتهم كتحريم الشحوم، وتحريم العمل يوم السبت، وشبه ذلك. ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي منعوه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدو. ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ هو القرآن أو الشرع كله ومعنى معه مع بعثه ورسالته.

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ تفسيره قوله ﷺ: «وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة»[1] فإعراب جميعا حال من الضمير

---

(١) جزء من حديث صحيح طويل أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٥٢١)، والنسائي: ٢٠٩/١، وأحمد: ٣٠٤/٣.

في اليكم ﴿الَّذِے لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ نعت لله أو منصوب على المدح بإضمار فعل أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر. ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ هي الكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ﴾ هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم في عصر موسى، أو الذين آمنوا بمحمد ﷺ في عصره.

> وَقَطَّعْنَٰهُمُ اُ۪ثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً اُمَماًۖ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اِ۪سْتَسْقَيٰهُ قَوْمُهُۥ أَنِ اِ۪ضْرِب بِّعَصَاكَ اَ۬لْحَجَرَۖ فَانۢبَجَسَتْ مِنْهُ اُ۪ثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناًۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ اُ۬لْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ اُ۬لْمَنَّ وَالسَّلْوَيٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اُ۟سْكُنُواْ هَٰذِهِ اِ۬لْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ اُ۬لْبَابَ سُجَّداً تُغْفَرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتُكُمْۖ سَنَزِيدُ اُ۬لْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ اَ۬لَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ اَ۬لَّذِے قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ اَ۬لسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ۞ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ اِ۬لْقَرْيَةِ اِ۬لَّتِے كَانَتْ حَاضِرَةَ اَ۬لْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي اِ۬لسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْۖ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ أي فرقناهم. ﴿أَسْبَاطاً﴾ السبط في بني إسرائيل كالقبيلة في العرب، وانتصابه على البدل من اثنتي عشرة لا على التمييز فإن تمييز اثنتي عشرة لا يكون إلا مفردا، وقال الزمخشري على التمييز لأن كل قبيلة أسباط لا سبط. ﴿فَانۢبَجَسَتْ﴾ أي انفجرت إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار، وقال القزويني: الانبجاس أول الانفجار. ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ اُ۬لْغَمَٰمَ﴾ وما بعده إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ مذكور في البقرة.

تنبيه: وقع الاختلاف في اللفظ بين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة البقرة في قوله: ﴿انفَجَرَتْ﴾ و﴿انۢبَجَسَتْ﴾ وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا اُ۟دْخُلُواْ﴾.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اُ۟سْكُنُواْ﴾ وقوله: ﴿وَكُلُواْ﴾ بالواو و﴿فَكُلُواْ﴾ بالفاء فقال الزمخشري: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض، وعللها شيخنا الأستاذ: أبو جعفر بن الزبير في كتاب «ملاك التأويل» وصاحب «الدرة» بتعليلات

وَإِذْ قَالَتُ اُمَّةٞ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اَ۬للَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداًۖ قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا اَ۬لذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ اِ۬لسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا اَ۬لذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۢ بِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ اِ۬لْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمُۥ سُوٓءَ اَ۬لْعَذَابِۖ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ اُ۬لْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِے اِ۬لْأَرْضِ أُمَماًۖ مِّنْهُمُ اُ۬لصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِالْحَسَنَٰتِ وَالسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٞ وَرِثُواْ اُ۬لْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا اَ۬لْأَدْنَيٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَّأْتِهِمْ عَرَضٞ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُۖ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ اُ۬لْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى اَ۬للَّهِ إِلَّا اَ۬لْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۖ وَالدَّارُ اُ۬لْأٓخِرَةُ خَيْرٞ لِّلذِينَ يَتَّقُونَۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ اَ۬لْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

منها قوية وضعيفة، وفيها طول، فتركناها لطولها.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ أي اسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ. ﴿عَنِ اِ۬لْقَرْيَةِ﴾ قيل: هي إيلياء، وقيل: هي طبرية، وقيل: مدين ﴿حَاضِرَةَ اَ۬لْبَحْرِ﴾ قريبة منه أو على شاطئه. ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِے اِ۬لسَّبْتِ﴾ أي يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم يوم السبت وقد نهوا عنه وموضع إذ بدل من القرية والمراد أهلها وهو بدل اشتمال أو منصوب بكانت أو بحاضرة. ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً﴾ كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم ابتلاء لهم إذ كان صيدها عليهم حراما في يوم السبت، وتغيب عنهم في سائر الأيام وسبتهم مصدر من قولك: سبت اليهودي يسبت إذا عظم يوم السبت، ومعنى شرعا: ظاهرة قريبة منهم، يقال: شرع منا فلان إذا دنا وإذ في قوله إذ تأتيهم منصوب بيعدون، أو بدل من إذ يعدون.

﴿وَإِذْ قَالَتُ اُمَّةٞ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً﴾ الآية افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق: فرقة عصت يوم السبت بالصيد، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم، وفرقة سكتت واعتزلت فلم تنه ولم تعص، وأن هذه الفرقة لما رأت مجاهرة الناهية وطغيان العاصي، قالوا للفرقة الناهية: لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم، فقالت الناهية ننهاهم معذرة إلى الله ولعلهم يتقون فهلكت الفرقة العاصية ونجت الناهية، واختلف في الثالثة هل هلكت لسكوتها أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان.

﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ أي شديد، وقرئ[1] بالهمز وتركه وقرئ على وزن فعيل وعلى وزن فيعل وكلها من معنى البؤس.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ﴾ أي لما تكبروا عن ما نهوا عنه. ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ ذكر في البقرة، والمعنى: أنهم عذبوا أولا بعذاب شديد فعتوا بذلك فمسخوا قردة، وقيل: فلما عتوا تكرار لقوله فلما نسوا، والعذاب البئيس هو المسخ.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ عزم وهو من الإيذان بمعنى الإعلام. ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ الآية أي يسلط عليهم ومن ذلك أخذ الجزية وهوانهم في جميع البلاد.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي فرقناهم في البلاد ففي كل بلدة فرقة منهم فليس لهم إقليم يملكونه. ﴿مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ﴾ هم من أسلم كعبد الله بن سلام، أو من كان صالحا من المتقدمين منهم ﴿بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ أي بالنعم والنقم.

﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي حدث بعدهم قوم سوء، والخلف بسكون اللام ذم وبفتحها مدح، والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين، وقيل: المراد النصارى. ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾ أي عرض الدنيا. ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ذلك اغترار منهم وكذب. ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم. ﴿مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ إشارة إلى كذبهم في قولهم سيغفر لنا، وإعراب أن لا يقولوا عطف بيان على ميثاق الكتاب أو تفسير له، أو تكون أن حرف عبارة وتفسير.

﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قرئ[2] بالتشديد والتخفيف وهما بمعنى

(١) ﴿بعذاب بئيس﴾ قرأ المدنيان وزيد عن الدجواني عن هشام بكسر الباء وياء ساكنة بعدها من غير همز، وقرأ ابن عامر إلا زيداً عن الدجواني كذلك إلا همز الياء. النشر ٢/٣٠٧.

(٢) ﴿يمسكون﴾ فروى أبو جعفر بتخفيف السين وقرأ الباقون بتشديدها. النشر: ٢/٣٠٨.

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

واحد، وإعراب الذين عطف على الذين يتقون أو مبتدأ وخبره ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ وأقام ذكر المصلحين مقام الضمير؛ لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ أي اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بني إسرائيل وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها، وقد تقدم في البقرة تفسير ﴿الظُّلَّةِ﴾ و﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الآية في معناها قولان:

أحدهما: أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم فأقروا بذلك والتزموه، روي هذا المعنى عن النبي ﷺ[1] من طرق كثيرة، ....

(١) هذا حديث صحيح، وقد تضمن هذا الحديث قضيتين:

١ ـ استخراج ذرية آدم من صلبه.

٢ ـ الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم.

الأولى: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان، يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا، قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا=

وقال به جماعة من الصحابة[١] وغيرهم.

والثاني: أن ذلك من باب التمثيل، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم في الدنيا، وأما إشهادهم فمعناه أن الله نصب لبني آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقال لهم: ألست بربكم فقالوا بلسان الحال: بلى أنت ربنا، والأول هو الصحيح لتواتر الأخبار به، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر، وإنما تطابقه بتأويل، وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم، ولفظ الآية يقتضي أن أخذ الذرية من بني آدم، والجمع بينهما أنه ذكر بني آدم في الآية والمراد آدم، كقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ الآية، وعلى تأويل لقد خلقنا أباكم آدم من صورته، وقال الزمخشري: إن المراد ببني آدم أسلاف اليهود، والمراد بذريتهم من كان في عصر النبي ﷺ، والصحيح المشهور أن المراد جميع بني آدم حسبما ذكرنا.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ قولهم بلى إقرار منهم بأن الله ربهم فإن تقديره: أنت ربنا، فإن بلى بعد التقرير تقتضي الإثبات بخلاف نعم فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضي الإيجاب، وإذا وردت بعد التقرير تقتضي النفي، ولذلك قال ابن عباس[٢] في هذه الآية: لو قالوا نعم لكفروا، وأما قولهم: شهدنا فمعناه شهدنا

= إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾» [سورة الأعراف آية ١٧٢، ١٧٣]، وصححه الحاكم انظر المستدرك. ٢٧/١، والطبري في جامع البيان: ٢٢/١٣، وأحمد في المسند: ٢٧٢/١

الثانية: قال الحاكم في الموضع الثاني: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع: ٢٥/٧ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وصحح إسناده أحمد شاكر، والألباني في الصحيحة: ١٨٤/٤.

(١) ممن قال بذلك ابن عباس وابن عمرو وأبي بن كعب، الطبري في جامع البيان: ٢٣٨/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٦١٣/٥.

(٢) لم أجده مسندا.

بربوبيتك فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عند الله، وقيل: إن شهدنا من قول الله والملائكة أي شهدنا على بني آدم باعترافهم. ﴿أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ في موضع مفعول من أجله أي فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا فهو من قول الله لا من قولهم. وقرئ[١] بالتاء على الخطاب لبني آدم وبالياء على الإخبار عنهم.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال ابن مسعود[٢] هو رجل من بني إسرائيل بعثه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ملك مدين داعيا إلى الله، فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل، وأضل الناس بذلك، وقال ابن عباس[٣]: هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون سألوا من بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى، فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا عليه موسى، فالآيات التي أعطيها على هذا القول هي: اسم الله الأعظم، وعلى قول ابن مسعود هي ما علمه موسى من الشريعة، وقيل: كان عنده من صحف إبراهيم، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص[٤]: هو أمية بن أبي الصلت، وكان قد أوتي علما وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ثم رجع عن ذلك ومات كافرا، وفيه قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»[٥] فالآية على هذا ما كان عنده من العلم والانسلاخ عبارة

---

(١) أن تقولوا أو قولوا، فقرأ أبو عمرو بالغيب فيهما، وقرأ الباقون بالخطاب. النشر ٢/٣٠٨.

(٢) صحيح، عن ابن مسعود وهو من الإسرائيليات أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣/٢٥٣.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٣/١٥٤١٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦١٦ بإسناد حسن.

(٤) أخرجه النسائي في تفسيره: ١/٥١١، والطبري في جامع البيان: ١٣/٢٥٥.

(٥) صحيح، وهو من حديث أبي هريرة يرويه عنه أبو سلمة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أصدق كلمة قالها شاعر كلمة الشاعر:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل...

وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم. البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٨٤١)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٢٥٦)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٨٤٩).

عن البعد والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أي لرفعنا منزلته بالآيات التي كانت عنده. ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله. ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ أي صفته كصفة الكلب وذلك غاية في الخسة والرداءة. ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ اللهث هو التنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان، وأكثر ما يعتري ذلك الحيوانات مع الحر والتعب، وهي حالة دائمة للكلب ومعنى: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ إن تفعل معه ما يشق عليه من طرد أو غيره، ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ دون أن تحمل عليه فهو يلهث على كل حال، ووجه تشبيه ذلك الرجل به: أنه إن وعظته فهو ضال، وإن لم تعظه فهو ضال، فضلالته على كل حال كما أن لهث الكلب على كل حال، وقيل: إن ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب في صورته ولهثه حقيقة. ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي صفة المكذبين كصفة الكلب في لهثه أو كصفة الرجل المشبه به؛ لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا وإن تركوا لم يهتدوا، وشبههم بالرجل في أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم، كما أن الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ﴾ الآية قدم هذا المفعول للاختصاص والحصر.

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء في قوله: **«هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي»**[1]. ﴿لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ليس المعنى نفي السمع والبصر جملة وإنما المعنى

---

(١) عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هَؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ وَلاَ أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي بِيَدِهِ الأُخْرَى: هَؤُلاءِ لِلنَّارِ وَلاَ أُبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ=

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا
يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا
يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ
خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ
كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ
حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

نفيها عما ينفع في الدين.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**»(١).

وسبب نزول الآية: أن أبا جهل لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة، والرحمن أخرى، فقال: يزعم محمد أن الإله واحد، وها هو يعبد آلهة كثيرة، فنزلت الآية(٢) مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمى واحد، والحسنى مصدر وصف به، أو تأنيث أحسن، وحسن أسماء الله هي أنها صفات مدح وتعظيم وتحميد ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ أي سموه بأسمائه، وهذا إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى، فأما ما ورد منها في القرآن أو الحديث فيجوز إطلاقه على الله إجماعا، وأما ما لم يرد وفيه مدح ولا تتعلق به شبهة فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله ومنع ذلك أبو الحسن الأشعري

= يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الآنَ. مسند البزار الحديث رقم: (٣٠٣٢)، وبمعناه رواه أبو داود الحديث رقم: (٣٥٢٥)، وضعفه الألباني.

(١) صحيح البخاري الحديث رقم: (٢٧٣٦)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٦٧٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٥٠٦).

(٢) ضعيف جدا وروي بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال وهو ساجد يا الله يا رحمن فسمعه أبو جهل وهو لا يعرف الرحمن، فقال: محمد ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلها مع الله آخر، يقال له الرحمن، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [سورة الإسراء آية ١٠٩] أخرجه أبو نعيم في الحلية رقم (٩٠).

وغيره ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد في القرآن والحديث، وقد ورد في كتاب الترمذي عدتها أعني تعيين التسعة والتسعين[1] واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبي ﷺ؟ أو موقوفة على أبي هريرة؟ وإنما الذي ورد في الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَآئِهِۦ﴾ قيل: معنى ذروا اتركوهم لا تحاجوهم ولا تتعرضوا لهم، فالآية على هذا منسوخة بالقتال، وقيل: معنى ذروا الوعيد والتهديد، كقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾، ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾، وهو الأظهر لما بعده، وإلحادهم في أسماء الله هو ما قال أبو جهل، فنزلت الآية بسببه[2]، وقيل: تسميته بما لا يليق به، وقيل: تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله، والعزى من العزيز.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ﴾ الآية روي أن النبي ﷺ قال: «**هذه الآية لكم، وقد تقدم مثلها لقوم موسى**»[3].

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ الاستدراج استفعال من الدرجة، أي نسوقهم إلى الهلاك شيئا بعد شيء وهم لا يشعرون، والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة.

﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ سمى فعله بهم كيدا لأنه شبيه بالكيد في أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ يعني بصاحبهم النبي ﷺ، فنفى عنه ما نسب له المشركون من الجنون، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ معمولا لقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ﴾ فيوصل به، والمعنى: أو لم يتفكروا فيعلمون أن ما بصاحبهم من جنة، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم في قوله: أو لم

---

(١) ضعيف، الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٥٠٧).

(٢) ضعيف سبق تخريجه.

(٣) ضعيف أخرجه ابن مردويه، الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف: ٤٧٧/١.

يتفكروا، ثم ابتدأ إخبارا مستأنفا بقوله: ما بصاحبهم من جنة، والأول أحسن.

﴿أَوَ لَمْ يَنظُرُوا۟﴾ يعني نظر استدلال. ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ﴾ عطف على الملكوت ويعني بقوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ يعني جميع المخلوقات، إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها. ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ أن الأولى مخففة من الثقيلة وهي عطف على الملكوت، وأن الثانية مصدرية في موضع رفع بعسى، وأجلهم يعني موتهم، والمعنى: لعلهم يموتون عن قريب، فينبغي لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل. ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ الضمير للقرآن.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ السائلون اليهود أو قريش، وسميت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾. ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ معنى أيان متى، ومرساها وقوعها وحدوثها، وهي من الإرساء بمعنى الثبوت. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ أي استأثر الله بعلم وقت وقوعها، ولم يطلع عليه أحدا. ﴿لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ معنى يجلبها يظهرها فهو من الجلاء ضد الخفاء، واللام في لوقتها ظرفية أي عند وقتها، والمعنى: لا يظهر الساعة عند مجيء وقتها إلا الله. ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ في معناه ثلاثة أقوال:

الأول: ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها.

والثاني: ثقلت على السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض.

والثالث: معنى ثقلت أي ثقل علمها أي خفي.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ الحفي بالشيء: هو المهتبل به المعتني به، والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفي بعلمها، وقيل: المعنى يسألونك عنها كأنك حفي بهم لقرابتك منهم، فعنها على هذين القولين يتعلق بيسئلونك، وقيل: المعنى يسألونك كأنك حفي بالسؤال عنها.

ربع

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ
ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ
مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا
خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا
صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا
لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا
لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ
نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ
لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ
صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ
أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ
بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ
قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ براءة من علم الغيب، واستدلال على عدم علمه. ﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ عطف على لاستكثرت من الخير، أي لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير واحترست من السوء، ولكن لا أعلمه فيصيبني ما قدر لي من الخير والشر، وقيل: إن قوله: ﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾ استئناف إخبار، و﴿ٱلسُّوٓءُ﴾ على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يجوز أن يتعلق ببشير ونذير معا، أي أبشر المؤمنين وأنذرهم، وخص بهم البشارة والنذارة؛ لأنهم الذين ينتفعون بها، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها، ويكون المتعلق بنذير محذوف، أي نذير للكافرين، والأول أحسن.

﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ يعني آدم. ﴿زَوْجَهَا﴾ يعني حواء. ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ يميل إليها ويستأنس بها. ﴿تَغَشَّىٰهَا﴾ كناية عن الجماع. ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ أي خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الأذى والكرب، وقيل: الحمل الخفيف المني في فرجها. ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ قيل: معناه استمرت به إلى حين ميلاده، وقيل: معناه قامت وقعدت. ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أي ثقل حملها وصارت به ثقيلة. ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ أي ولدا صالحا سالما في بدنه.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ أي لما آتاهما ولدا صالحا

كما طلبا جعل أولادهما له شركا، فالكلام على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذلك: ﴿فِيمَا ءَاتَىٰهُمَا﴾ أي فيما آتى أولادهما وذريتهما، وقيل: إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها: إن أطعتيني وسميت ما في بطنك عبد الحارث فسأخلصه لك، وكان اسم إبليس الحارث، وإن عصيتيني في ذلك قتلته فأخبرت بذلك آدم، فقال لها: إنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة، فلما ولدت مات الولد، ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك فعصته فمات الولد، ثم حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعا في حياته، فقوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شِرْكَآءَ فِيمَا ءَاتَىٰهُمَا﴾ أي في التسمية لا غير، لا في عبادة غير الله، والقول الأول أصح لثلاثة أوجه:

أحدها: أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والثاني: أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته، لقوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بضمير الجمع.

والثالث: أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح، وهو غير موجود في تلك القصة.

وقيل: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هو قصي بن كلاب وزوجته، و﴿جَعَلَا لَهُۥ شِرْكَآءَ﴾ أي سموا أولادهما عبد العزى، وعبد الدار، وعبد مناف، وهذا القول بعيد لوجهين:

أحدهما: أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصي من قريش، والظاهر أن الخطاب عام لبني آدم.

والآخر: قوله: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فإن هذا يصح في حواء لأنها خلقت من ضلع آدم، ولا يصح في زوجة قصي.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ هذه الآية رد على المشركين من بني آدم، والمراد بقوله: ﴿مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله، والمعنى: أنها مخلوقة غير خالقة والله تعالى خالق غير مخلوق، فهو الإله وحده.

﴿وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ المعني أن الأصنام لا ينصرون من عبدهم ولا ينصرون أنفسهم، فهم في غاية العجز والذلة، فكيف يكونون آلهة.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لاَ يَتَّبِعُوكُمْ﴾ المعني: أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدي، أو إلى أن تهتدى؛ لأنها جمادات. ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ تأكيد وبيان لما قبلها، فإن قيل: لم قال: ﴿أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾ فوضع الجملة الاسمية موضع الجملة الفعلية، وهلا قال: أو صمتم؟ **فالجواب:** أن صمتهم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة، فعبر عنها بجملة اسمية لتقتضي الاستمرار على ذلك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ رد على المشركين بأن آلهتهم عباد، فكيف يعبد العبد مع ربه؟. ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ﴾ أمر على جهة التعجيز.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ وما بعده، معناه: أن الأصنام جمادات عادمة للحس والجوارح والحياة والقدرة، ومن كان كذلك لا يكون إلها، فإن من وصف الإله: الإدراك، والحياة، والقدرة، وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام؛ لأن المشركين مقرون أن أصنامهم لا تمشي، ولا تبطش، ولا تبصر، ولا تسمع، فلزمتهم الحجة، والهمزة في قوله: ﴿أَلَهُمْ﴾ للاستفهام مع التوبيخ، وأم في المواضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة، ومعنى بل وليست عاطفة. ﴿قُلِ ادْعُواْ

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ۞ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ المعنى: استنجدوا أصنامكم لمضرتي والكيد علي ولا تؤخروني، فإنكم وأصنامكم لا تقدرون على مضرتي، ومقصد الآية: الرد عليهم ببيان عجز أصنامهم، وعدم قدرتها على المضرة، وفيها أيضا إشارة إلى أن التوكل على الله والاعتصام به وحده، وأن غيره لا يقدر على شيء، ثم أفصح بذلك في قوله:

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ الآية، أي هو حافظي وناصري منكم فلا تضروني ولو حرصتم أنتم وآلهتكم على مضرتي، ثم وصف الله بأنه الذي أنزل الكتاب وبأنه يتولى الصالحين، وفي هذين الوصفين استدلال على صدق النبي ﷺ بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولى حفظه ومن تولى حفظه فهو من الصالحين، والصالح لا بد أن يكون صادقا في قوله، ولا سيما فيما يقوله على الله.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ الآية، رد على المشركين وقد تقدم معناه.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ﴾ يحتمل أن يريد الأصنام فيكون تحقيرا لها وردا على من عبدها فإنها جمادات موات لا تسمع شيئا فيكون المعنى كالذي تقدم، أو يريد الكفار ووصفهم بأنهم لا يسمعون يعني سماعا ينتفعون به لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم. ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ إن كان هذا من وصف الأصنام، فقوله: ينظرون مجاز، وقوله: لا يبصرون حقيقة لأن

لهم صورة الأعين وهم لا يرون بها شيئا، وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ولا يبصرون مجاز على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لا يسمعون.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى خذ من الناس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما تيسر لا ما يشق عليهم؛ لئلا ينفروا فالعفو على هذا بمعنى السهل والسمح عنهم وهو ضد الجهل والتكليف كقول الشاعر: (خذي العفو مني تستديمي مودتي[١]

والآخر: أن المعنى خذ في الصدقات ما سهل على الناس من أموالهم، أو ما فضل لهم وذلك قبل فرض الزكاة، فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة. ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي بالمعروف وهو فعل الخير، وقيل: العفو الجاري بين الناس من العوائد، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ أي لا تكافئ السفهاء بمثل قولهم أو فعلهم واحلم عنهم، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله ﷺ جبريل عنها، فقال: لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يامحمد: إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك[٢]، وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيه ﷺ فيها بمكارم الأخلاق[٣]، وهي على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح، وقيل: كانت مداراة

---

(١) هذا شطر بيت، وهو بتمامه كما يلي:

خـذي العفـو منـي تسـتديمي مـودتي ... ولا تنطقـي فـي سـورتي حـين أغضـب

نسبه ابن عطية لحاتم الطائي، كما في المحرر الوجيز: ٥٦٣/٢، وبعده:

فإني وجدت الحب في الصدر والأسى ... إذا اجتمعـا لـم يلبـث الحـب يـذهب

والبيتان ينسبان أيضا لأبي الأسود الدؤلي، كما ينسبان لشريح بن الحارث القاضي.

(٢) شرح السنة للبغوي: ٢٧٦/٦، ومصنف عبد الرزاق الحديث رقم: (٢٠٢٣٧)..

(٣) قال ابن حجر في الفتح: ١٥٦/٨، وروي عن جعفر الصادق قال ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها، وذكره القرطبي في تفسيره: ٣٤٥/٧.

للكفار ثم نسخت بالقتال.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ﴾ نزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك في الحق والأمر بالمعاصي أو تحريك الغضب فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد في الحديث أن رجلا اشتد غضبه فقال رسول الله ﷺ: «**إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[1].

﴿طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ معناه لمة منه، كما جاء: «**إن للشيطان لمة وللملك لمة**»[2] ومن قرأ[3] طائف بالألف فهو اسم فاعل، ومن قرأ طيف بياء ساكنة فهو مصدر، أو تخفيف من طيف المشدد كميت وميت ﴿تَذَكَّرُوا۟﴾ حذف مفعوله ليعم كل ما يتذكر من خوف عقاب الله، أو رجاء ثوابه، أو مراقبته، أو الحياء منه، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه، والنظر والاعتبار، وغير ذلك. ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ هو من بصيرة القلب.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾ الضمير في إخوانهم للشياطين وأريد بقوله: طائف من الشيطان الجنس، فلذلك أعيد عليه ضمير الجماعة، وإخوانهم هم الكفار ومعنى يمدونهم: يكونون مددا لهم، أي يعضدونهم وضمير المفعول في يمدونهم للكفار، وضمير الفاعل للشيطان، ويحتمل أن يريد بالإخوان الشياطين ويكون الضمير في إخوانهم للكفار، والمعنى على الوجهين: أن الكفار يمدهم الشيطان، وقرئ يمدونهم بضم الياء وفتحها والمعنى واحد، و﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾ يتعلق بيمدونهم، وقيل: يتعلق بإخوانهم كما تقول إخوة في الله أو في الشيطان. ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ أي لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم من الكفار، أو لا يقصر الكفار عن غيهم،

---

(١) صحيح رواه البخاري الحديث رقم: (٦١١٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٩٦١٠)، والبغوي في شرح السنة: ١٣٣٣/٥.

(٢) سنن الترمذي الحديث رقم: (٢٩٨٨)، والنسائي في السنن الكبرى الحديث رقم: (١١٠٥١)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٩٩٧).

(٣) (طائف) قرأ البصريان وابن كثير والكسائي بياء ساكنة والباقون بألف بعد الطاء النشر ٣١٠/٢.

وفي الآية من أدوات البيان: لزوم ما لا يلزم من التزام، الصاد قبل الراء في ﴿مُّبْصِرُونَ﴾ و﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُواْ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ الضمير في لم تأتهم للكفار ولولا هنا عرض وفي معنى اجتبيتها قولان:

أحدهما: اخترعتها من قبل نفسك، فالآية على هذا من القرآن وكان النبي ﷺ يتأخر عنه الوحي أحيانا فيقول الكفار: هلا جئت بقرآن من قولك.

والآخر: معناه طلبتها من الله وتخيرتها عليه، فالآية على هذا معجزة، أي يقولون: اطلب المعجزة من الله.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ معناه لا أخترع القرآن على القول الأول، ولا أطلب آية من الله على القول الثاني. ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ﴾ أي علامات وهدى، والإشارة إلى القرآن.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام في الصلاة.

والثاني: أنه الإنصات للخطبة.

والثالث: أنه الإنصات لقراءة القرآن على الإطلاق وهو الراجح لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ عام، ولا دليل على تخصيصه.

والثاني: أن الآية مكية والخطبة إنما شرعت بالمدينة.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ قال بعضهم: الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية.

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان، أو

الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله: ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ عطف متغاير، أي حالة أخرى وعلى الثاني يكون بيانا وتفسيرا للأول. ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ أي في الصباح والعشي، والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل، قيل: المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل: صلاة المسلمين، وقيل: فرض الخمس، والأظهر الإطلاق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ هم الملائكة عليهم السلام، وفي ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض بالكفار. ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ قدم المجرور لمعنى الحصر أي لا يسجدون إلا له وحده.

❊❊ ❊❊ ❊❊

سُورَةُ الأَنفَال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ۞ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

ربع

سورة الأنفال

نزلت هذه السورة في غزوة بدر وغنائمها[1].

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والسائلون: هم الصحابة، والأنفال هي الغنائم وذلك أن الصحابة كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبي ﷺ في العريش تحرسه وتؤنسه، وفرقة اتبعوا المشركين يقتلونهم ويأسرونهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكره لما انهزموا، فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم فنزلت الآية، ومعناها: يسئلونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل: الأنفال هنا ما ينفله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء: هل يكون هذا التنفيل من الخمس؟ وهو قول مالك، أو من الأربعة الأخماس؟ أو من رأس الغنيمة قبل إخراج الخمس؟. ﴿قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ أي الحكم فيهما لله وللرسول لا لكم. ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي اتفقوا وائتلفوا ولا تنازعوا وذات هنا بمعنى الأحوال قاله الزمخشري[2]، وقال ابن

---

(١) صحيح من حديث عبادة أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (١٥٦١)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٨٥٢)، وأحمد في مسنده: ٣١٨/٥، وقال ابن شاكر في تعليقه على الطبري: ٣٦٨/١٣، وهو خبر صحيح الإسناد.

(٢) قال الزمخشري: فإن قلت: ما حقيقة قوله: ﴿ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾؟ قلت: أحوال بينكم، يعني ما بينكم من الأحوال، حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، كقوله: ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]،=

عطية[1]: يراد بها في هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته، وقال الزبيدي: إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب. ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يريد في الحكم في الغنائم، قال عبادة بن الصامت: نزلت فينا[2] أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله ﷺ فقسمها على السواء، فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية، أي الكاملوا الإيمان فإنما هنا للتأكيد والمبالغة والحصر. ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي خافت، وقرأ أبي بن كعب[3] فزعت. ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ أي قوي تصديقهم ويقينهم، خلافا لمن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وإن زيادته إنما هي بالعمل.

﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ يعني في الجنة.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون الكاف في موضع رفع على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره: هذه الحال كحال إخراجك، يعني أن حالهم في كراهة تنفيل الغنائم كحالهم في حالة خروجك للحرب.

والثاني: أن يكون في موضع الكاف نصب على أنه صفة لمصدر الفعل

= وهي مضمراتها. لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها: ذات البين، كقولهم: اسقني ذا إنائك، يريدون ما في الإناء من الشراب. الكشاف: ٢/١٨٥.

(١) قال ابن عطية: و﴿ذات﴾ في هذا الموضع يراد بها نفس الشيء وحقيقته، والذي يفهم من ﴿بينكم﴾ هو معنى يعم جميع الوصل والالتحامات والمودات، وذات ذلك هي المأمور بإصلاحها أي نفسه وعينه، فحض الله ﷻ على إصلاح تلك الأجزاء، فإذا صلحت تلك حصل إصلاح ما يعمها وهو البين الذي لهم.. المحرر الوجيز: ٢/٥٧٢.

(٢) قد مضى تخريجه قبل قليل.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢/٥٧٣.

المقدر في قوله الأنفال لله والرسول، أي استقرت الأنفال لله والرسول استقرارا مثل استقرار خروجك.

والثالث: أن تتعلق الكاف بقوله يجادلونك.

﴿مِنۢ بَيْتِكَ﴾ يعني مسكنه بالمدينة إذ أخرجه الله لغزوة بدر. ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ﴾ أي كرهوا قتال العدو، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة ومعها أربعون راكبا فأخبر بذلك جبريل النبي ﷺ فخرج بالمسلمين فسمع بذلك أهل مكة فاجتمعوا وخرجوا في عدد كثير ليمنعوا عيرهم فنزل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريش، فاستشار النبي ﷺ أصحابه فقالوا العير أحب إلينا من لقاء العدو، فقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل، فقال له سعد بن عبادة: امض لما شئت فإنا متبعوك[1]، وقال سعد بن معاذ: والذي بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك فسر بنا على بركة الله[2].

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ كان جدالهم في لقاء قريش بإيثارهم لقاء العير إذ كانت أكثر أموالا وأقل رجالا، وتبين الحق هو إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون. ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ تشبيه لحالهم في إفراط جزعهم من لقاء قريش.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ يعني قريشا أو عيرهم، والعامل في إذ محذوف تقديره: اذكروا. ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ بدل من إحدى الطائفتين. ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ

(١) قال الحافظ في الفتح: ٣٣٦/٧ سعد بن عبادة لم يشهد بدرا، وعليه فإن هذه المقالة لسعد بن معاذ، كما روي من طرق أخرجها البيهقي في دلائل النبوة: ٣١/٣، وتفسير ابن كثير: ٦٦٤/٣، وفيه: «ولئن سرت بنا حتى تأتي «بَرْك الغماد» من ذي يمن لنسيرن معك». الطبري في جامع البيان: ٣٩٩/١٣.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٤٠٠/١٣، وابن كثير في تفسيره: ١٧/٤.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغْشِيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ • إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

ثمن

﴿غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الشوكة: عبارة عن السلاح، سميت بذلك لحدتها، والمعنى: تحبون أن تلقوا الطائفة التي لا سلاح لها، وهي العير. ﴿أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ﴾ يعني يظهر الإسلام بقتل الكفار وإهلاكهم يوم بدر.

﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ متعلق بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك، وليس تكرارا للأول؛ لأن الأول مفعول يريد وهذا تعليل لفعل الله تعالى، ويحتمل أن يريد بالحق الأول الوعد بالنصرة وبالحق الثاني الإسلام، فيكون المعنى أنه نصرهم ليظهر الإسلام ويؤيد هذا قوله: ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ أي يبطل الكفر.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ إذ بدل من إذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق أو بفعل مضمر واستغاثتهم دعاؤهم بالغوث والنصر. ﴿مُمِدُّكُم﴾ أي مكثركم. ﴿مُرْدَفِينَ﴾ من قولك ردفه إذا تبعه وأردفته إياه إذا أتبعته إياه، والمعنى: يتبع بعضهم بعضا، فمن قرأه[1] بفتح الدال فهو اسم مفعول، ومن قرأه بالكسر فهو اسم فاعل، وصح معنى القراءتين لأن الملائكة المنزلين يتبع بعضهم بعضا، فمنهم تابعون ومتبوعون.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ الضمير عائد على الوعد، أو على الإمداد بالملائكة.

﴿إِذْ يُغْشِيكُمُ النُّعَاسَ﴾ إذ بدل من إذ يعدكم، أو منصوب بالنصر، أو بما

(١) مردفين قرأ المدنيان ويعقوب بفتح الدال والباقون بكسرها. النشر ٢/٣١٠

عند الله من معنى النصر، أو بإضمار فعل تقديره: اذكر، ومن قرأ[١] يغشاكم بضم الياء والتخفيف فهو من أغشى، ومن قرأ بالضم والتشديد فهو من غشي المشدد، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين، فنصب النعاس على أنه المفعول الثاني، والمعنى: يغطيكم به، فهو استعارة من الغشاء، ومن قرأ بفتح الياء والشين فهو من غشي المتعدي إلى واحد، أي ينزل عليكم النعاس. ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أي أمنا، والضمير المجرور يعود على الله تعالى، وانتصاب أمنة على أنه مفعول من أجله، قال ابن مسعود[٢]: النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو. ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ تعديد لنعمة أخرى، وذلك أنهم عدموا الماء في غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر، وقيل: بعد وصولهم فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية. ﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ﴾ كان منهم من أصابته جنابة فتطهر بماء المطر وتوضأ به سائرهم، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهر ولا للوضوء. ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ كان الشيطان قد ألقى في نفوس بعضهم وسوسة بسبب عدم الماء، فقالوا: نحن أولياء الله وفينا رسوله، فكيف نبقى بلا ماء؟ فأنزل الله المطر، وأزال عنهم وسوسة الشيطان. ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ أي يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها. ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ الضمير في به عائد على الماء وذلك أنهم كانوا في رملة دعصة لا يثبت فيها قدم، فلما نزل المطر: تلبدت وترمت الطريق، وسهل المشي عليها والوقوف، وروى: أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين فتبين أن ذلك من لطف الله.

﴿إِذْ يُوحِي﴾ يحتمل أن يكون ذلك بدلا من إذ المتقدمة، كما أنها بدل من

---

(١) واختلفوا في ﴿يغشيكم النعاس﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والشين وألف بعدها لفظاً ﴿النعاس﴾ بالرفع وقرأ المدنيان بضم الياء وكسر الشين، وياء بعدها ﴿النعاس﴾ بالنصب وكذلك قرأ الباقون إلا أنهم فتحوا الغين وشددوا الشين. النشر: ٢/٣١٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ١/٢٢٦ كما في الزيلعي: ٢/١٥، والطبري في جامع البيان: ١٣/١٥٧٥٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦٦٤ بإسناد ضعيف.

التي قبلها، أو يكون العامل فيه يثبت. ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يحتمل أن يكون التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين، أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوها إذ تصوروا بصور بني آدم، أو بإلقاء الأمن في نفوس المؤمنين. ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة في شأن غزوة بدر تكميلا لتثبيت المؤمنين أو استئناف إخبار عما يفعله الله في المستقبل. ﴿فَاضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ يحتمل أيضا أن يكون خطابا للملائكة أو للمؤمنين، ومعنى فوق الأعناق: أي على الأعناق حيث المفصل بين الرأس والعنق؛ لأنه مذبح، والضرب فيها يطير الرأس، وقيل: المراد الرؤوس؛ لأنها فوق الأعناق، وقيل: المراد الأعناق، وفوق زائدة. ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ قيل: هي المفاصل، وقيل: الأصابع وهو الأشهر في اللغة، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال، فأمكن أسره وقتله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الإشارة إلى ما أصاب الكفار يوم بدر، والباء للتعليل، وشاقوا من الشقاق، وهو العداوة والمقاطعة.

﴿ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ﴾ الخطاب هنا للكفار، وذلكم مرفوع تقديره: ذلكم العقاب أو العذاب، ويحتمل أن يكون منصوبا بقوله: فذوقوه، كقولك: زيدا فاضربه. ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ عطف على ذلكم على تقدير رفعه أو نصبه، أو مفعول معه والواو بمعنى مع.

﴿زَحْفاً﴾ حال من الذين كفروا أو من الفاعل في لقيتم، ومعناه: متقابلي الصفوف والأشخاص، وأصل الزحف الاندفاع. ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ نهي عن الفرار مقيد بأن يكون الكفار أكثر من مثلي المسلمين حسبما نذكره في موضعه.

﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم اللقاء في أي عصر كان. ﴿إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ﴾ هو الكر بعد الفر ليرى عدوه أنه منهزم، ثم يعطف عليه وذلك من الخداع في

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

ربع

الحرب. ﴿أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أي منحازا إلى جماعة من المسلمين، فإن كانت الجماعة حاضرة في الحرب فالتحيز إليها جائز باتفاق، واختلف في التحيز إلى المدينة والإمام والجماعة إذا لم يكن شيئا من ذلك حاضرا، وروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: «أنا فئة لكل مسلم»[1]، وهذا إباحة لذلك. والفرار من الذنوب الكبائر، وانتصب قوله متحرفا على الاستثناء من قوله: ومن يولهم، وقال الزمخشري[2]: انتصب على الحال، وإلا لغو، ووزن متحيز متفيعل، ولو كان على متفعل لقال متحوز؛ لأنه من حاز يحوز.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ أي لم يكن قتلهم في قدرتكم؛ لأنهم أكثر منكم وأقوى، ولكن الله قتلهم بتأييدكم عليهم وبالملائكة. ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى ورمى بها وجوه الكفار فانهزموا»[3] فمعنى الآية أن ذلك من الله في الحقيقة. ﴿بَلَآءً حَسَناً﴾ يعني الأجر والنصر والغنيمة.

﴿مُوَهِّنُ﴾ من الوهن وهو الضعف وقرئ[4] بالتشديد والتخفيف،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٦٧١/٥، وابن أبي شيبة في المصنف: ٥٣٧/١٢، والبيهقي في الكبرى: ٧٧/٩.

(٢) الكشاف: ١٩٠/٢.

(٣) صحيح وهو من حديث حكيم بن حزام أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٢٠٣/٣.

(٤) ﴿موهن كيد﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو ﴿موهن﴾ بتشديد الهاء بالتنوين ونصب=

والمعنى واحد.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُواْ﴾ الآية خطاب لكفار قريش وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه، وروي: أن الذي دعا بذلك أبو جهل فنصر الله المؤمنين وفتح لهم، ومعنى إن تستفتحوا: تطلبوا الفتح، ويحتمل أن يكون الفتح الذي طلبوه بمعنى النصر، أو بمعنى الحكم، وقيل: إن الخطاب للمؤمنين. ﴿فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ إن كان الخطاب للكفار فالفتح هنا بمعنى النصر، أو بمعنى الحكم أي قد جاءكم الحكم الذي حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر، وإن كان الخطاب للمؤمنين فالفتح هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم؛ لأن الله حكم لهم، أو بمعنى النصر ﴿وَإِن تَنتَهُواْ﴾ أي ترجعوا عن الكفر وهذا يدل على أن الخطاب للكفار. ﴿وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ﴾ أي إن تعودوا إلى الاستفتاح أو القتال نعد لقتالكم والنصر عليكم.

﴿وَلاَ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ الضمير لرسول الله ﷺ، أو للآمر بالطاعة. ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ أي تسمعون القرآن والمواعظ.

﴿كَالَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ﴾ هم الكفار، أي: سمعوا بآذانهم دون قلوبهم، فسماعهم كلا سماع.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ أي كل من يدب، والمقصود أن الكفار شر الخلق، قال ابن قتيبة[1]: نزلت هذه الآية في بني عبد الدار؛ فإنهم جدوا في القتال مع المشركين.

= (كيد) وروي بالتخفيف من غير تنوين وخفض كيد على الإضافة، وقرأ الباقون بالتخفيف وبالتنوين ونصب كيد. النشر ٢/٣١١.

(١) صحيح عن قتادة كما في الدر: ٤/٤٣، وجاء عن ابن عباس دون أنه سبب نزول، ففي البخاري: الحديث رقم: (٤٣٦٩) ـ حدثنا محمد بن يوسف حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾. قال: هم نفر من بني عبد الدار، والطبري في جامع البيان: ١٣/٤٦٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦٧٧.

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ ۞ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

ثمن

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ أي للطاعة، وقيل: للجهاد لأنه يحيا بالنصر. ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ قيل: يميته، وقيل: يصرف قلبه كيف يشاء، فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان، وشبه ذلك.

﴿فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ أي لا تصيب الظالمين وحدهم بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينه عن الظلم وإن كان لم يظلم، وحكى الطبري[1]: أنها نزلت في علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وطلحة والزبير، وأن الفتنة ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت النون في تصيبن لأنه بمعنى النهي.

﴿إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ الآية أي حين كانوا بمكة وآواكم بالمدينة وأيدكم بنصره في بدر وغيرها.

﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ نزلت في قصة أبي لبابة[2] حين أشار إلى بني قريظة أن ليس عند رسول الله ﷺ إلا الذبح، وقيل: المعنى لا تخونوا بغلول الغنائم ولفظها عام. ﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ عطف على لا تخونوا أو منصوب.

---

(١) ضعيف مرسل عن الحسن الطبري: ١٣/٤٧٣ قال الذهبي: ومن أوهى المراسيل عندهم مراسيل الحسن. الموقظة في مصطلح الحديث، ص: ٢٨.

(٢) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ٣/٢٠٧.

﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ أي تفرقة بين الحق والباطل، وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد في العلم والمعرفة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عطف على إذ أنتم قليل، أو استئناف، وهي إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس في صورة شيخ نجدي الحديث بطوله. ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ أي ليسجنوك.

﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ قيل: نزلت[1] في النضر بن الحارث، كان قد تعلم من أخبار فارس والروم، فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال: لو شئت لقلت مثل هذا، وقيل: هي في سائر قريش. ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي أخبارهم المسطورة.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾ الآية، قالها النضر بن الحارث، أو سائر قريش لما كذبوا النبي ﷺ دعوا على أنفسهم إن كان أمره هو الحق، والصحيح أن الذي دعا بذلك أبو جهل رواه البخاري ومسلم في كتابيهما[2] وانتصب الحق لأنه خبر كان، وقال الزمخشري[3]: معنى كلامهم جحود، أي إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابا، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم، إنما مرادهم نفي العقوبة عن أنفسهم.

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ إكراما للنبي ﷺ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ

(١) حسن وهو من أثر ابن جريج وسعيد بن المسيب أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥٠٣/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٦٨٩/٥.

(٢) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٦٤٨)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٩٦)، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٥٢/٣، والواحدي في أسبابه، ص: ١٩٨.

(٣) قال الزمخشري: وهذا أسلوب من الجحود بليغ، يعني: إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل، كما فعلت بأصحاب الفيل، أو بعذاب آخر. ومراده نفي كونه حقاً، وإذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكره عذاباً فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد أنه ليس بحق، كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقاً، فأمطر علينا حجارة. وقوله: (هُوَ الْحَقُّ) تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحق. الكشاف: ٢٠٥/٢.

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي لو آمنوا واستغفروا فإن الاستغفار أمان من العذاب، قال بعض السلف[1]: كان لنا أمانان من العذاب، وهما: وجود النبي ﷺ، والاستغفار، فلما مات النبي ﷺ ذهب الأمان الواحد، وبقي الآخر، وقيل: الضمير في يعذبهم للكفار وفي وهم يستغفرون للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم.

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ المعنى: أي شيء يمنع من عذابهم وهم يصدون أي يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام؟ والجملة في موضع الحال وذلك من الموجب لعذابهم. ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ الضمير للمسجد الحرام، أو لله تعالى.

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ المكاء: التصفير بالفم، والتصدية: التصفيق باليد، وكانوا يفعلونهما إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم.

﴿يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾ الآية نزلت[2] في اتفاق قريش في غزوة أحد، وقيل: إنها

---

(١) جاء هذا من أثر ابن عباس الطبري في جامع البيان: ٥١٢/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٦٩١/٥، وأبي موسى كما في الطبري: ١٣٥١٥، وأخرج الترمذي في سننه رقم: (٣٠٨٢) قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله علي أمانين لأمتي ﴿وما كان ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة» قال الترمذي غريب، قال العلماء: له شواهد يصل بها إلى درجة الحسن.

(٢) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٣٢/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٦٩٨/٥،=

نزلت[1] في أبي سفيان بن حرب، فإنه استأجر العير من الأحباش فقاتل بهم النبي ﷺ يوم أحد. ﴿تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ أي يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة، أو يتأسفون في الآخرة. ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ إخبار بالغيب.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ معنى يميز يفرق بين الخبيث والطيب، والخبيث هنا: الكفار والطيب: المؤمنون، وقيل: الخبيث ما أنفقه الكفار، والطيب ما أنفقه المؤمنون، واللام في ليميز على هذا تتعلق بيغلبون، وعلى الأول بيحشرون. ﴿فَيَرْكُمَهُ﴾ أي يضمه ويجعل بعضه فوق بعض.

﴿إِن يَنتَهُوا﴾ يعني عن الكفر إلى الإسلام؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، ولا تصح المغفرة إلا به. ﴿وَإِن يَعُودُوا﴾ يعني إلى القتال. ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ تهديد بما جرى لهم يوم بدر، وبما جرى للأمم السالفة.

﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ الفتنة هنا الكفر، فالمعنى: قاتلوهم حتى لا يبقى كافر وهو كقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله»[2].

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر: ٤/٦٣.

(١) ضعيف وهو عن سعيد بن جبير، قال نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش من بني كنانة فقاتل بهم النبي ﷺ وهم الذين يقول فيهم كعب بن مالك:

وجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع

ثلاثة آلاف ونحن نصية ثلاث مئين إن كثرنا فأربع

الطبري في جامع البيان: ١٣/٥٣٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٦٩٧، والدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٤/٦٣.

(٢) صحيح متواتر أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٦٩٢٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٠)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (١٥٥٦)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٦٠٧)، والنسائي في سننه: ٥/١٤، وأحمد في المسند: ١/١١ قال السيوطي في الجامع الصغير: متواتر: ١/١٠٢، وقال المناوي: في الفيض: ٢/١٨٩ معلقا على كلام السيوطي: لأنه رواه خمسة عشر صحابيا.

حزب

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)﴾

﴿وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ لفظه عام يراد به الخصوص؛ لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار، منها: ما يخمس، وهو ما أخذ على وجه الغلبة بعد القتال.

ومنها: ما لا يخمس بل يكون جميعه لمن أخذه وهو ما أخذه من كان ببلاد الحرب من غير إيجاف، وما طرحه العدو خوف الغرق.

ومنها: ما يكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته ويصرف سائره في مصالح المسلمين، وهو الفيء الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب. ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ الآية، اختلف في قسم الخمس على هذه الأصناف، فقال قوم: يصرف على ستة أسهم: سهم لله في عمارة الكعبة، وسهم للنبي ﷺ في مصالح المسلمين، وقيل: للوالي بعده، وسهم لذوي القربى الذين لا تحل لهم الصدقة، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل، وقال الشافعي: على خمسة أسهم ولا يجعل لله سهما مختصا، وإنما بدأ عنده بالله لأن الكل ملكه، وقال أبو حنيفة: على ثلاثة أسهم لليتامى، والمساكين، وابن السبيل خاصة، وقال مالك: الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذ منه كفايته ويصرف الباقي في المصالح. ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ﴾ راجع إلى ما تقدم، والمعنى: إن كنتم مؤمنين فاعلموا ما ذكر الله لكم من قسمة الخمس، واعملوا بحسب ذلك ولا تخالفوه. ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ يعني النبي ﷺ، والذي أنزل عليه القرآن والنصر. ﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾ أي التفرقة بين الحق والباطل، وهو يوم

بدر. ﴿ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ يعني المسلمين والكفار.

﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ العامل في إذ التقى والعدوة شفير الوادي، وقرئ بالضم والكسر وهما لغتان[١]، والدنيا القريبة من المدينة، والقصوى البعيدة. ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ يعني العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكب عن الطريق خوفا من النبي ﷺ، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير. ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ﴾ أي لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقلتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم، أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل ما اتفق بتيسير الله ولطفه.

﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي يموت من مات ببدر عن إعذار وإقامة الحجة عليه، ويعيش من عاش بعد البيان له، وقيل: ليهلك من يكفر ويحيى من يؤمن، وقرئ[٢] من حيي بالإظهار والإدغام وهما لغتان.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، كان رسول الله ﷺ قد رأى الكفار في نومه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم[٣] ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ أي جبنتم عن اللقاء.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ الآية، معناها: أن الله أظهر كل طائفة قليلة في عين الأخرى، ليقع التجاسر على القتال.

﴿رِيحُكُمْ﴾ أي قوتكم ونشاطكم، وذلك استعارة.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ يعني كفار قريش حين خرجوا

---

(١) قرأ ابن كثير والبصريان: (بالعدوة) بكسر العين فيهما، وقرأ الباقون بالضم فيهما. النشر: ٢/٢٧٤، وقرأ الحسن بن أبي الحسن وقتادة وعمرو: (بالعدوة) بفتح العين، المحرر الوجيز: ٢/٥٣٢.

(٢) ﴿من حي﴾ قرأ المدنيان ويعقوب وخلف والبزي وأبو بكر بياءين ظاهرتين الأولى مكسورة والثانية مفتوحة وهي رواية عن قنبل... وقرأ مجاهد عن قنبل بياء واحدة مشددة، وبه قرأ الباقون. النشر: ٢/٣١١.

(٣) انظر تفسير البغوي: ٢/١٨.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ
عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧) وَإِذْ زَيَّنَ
لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ
عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨) * إِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ
وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩) وَلَوْ تَرَىٰ
إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ
وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَٰلِكَ بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٥١)
كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ
اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢)

ثمن

لبدر. ﴿بَطَرًا﴾ أي عتوا وتكبرا.

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الآية لما خرجت قريش إلى بدر تصور لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك، فقال لهم: إني جار لكم من قومي، وكانوا قد خافوا من قومه ووعدهم بالنصر. ﴿نَكَصَ﴾ أي رجع إلى وراء. ﴿إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ رأى الملائكة تقاتل.

﴿يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الذين كانوا بالمدينة، وقيل: الذين كانوا مع الكفار، وهم نفر من قريش منهم: قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة، والحارث بن ربيعة بن الأسود، وعلي بن أمية بن خلف، والعاصي بن أمية بن الحجاج، وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة. ﴿غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ أي اغتر المسلمون بدينهم، فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ ذلك فيمن قتل يوم بدر. ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ أي أستاههم، وقيل: ظهورهم. ﴿وَذُوقُوا﴾ هذا من قول الملائكة لهم تقديره: ويقولون لهم ذوقوا، والقول المحذوف معموله معطوف على يضربون، ويحتمل أن يكون ما بعده من قول الملائكة، أو يكون مستأنفا.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ﴾ تقديره عند سيبويه الأمر ذلك، والباء سببية، والمعنى: أن الله لا يغير نعمة على عبيده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ۝ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ۝ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ۝ ۞ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝﴾ ربع

﴿كَدَأْبِ﴾ ذكر في آل عمران.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ يريد بني قريظة.

﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ أي افعل بهم من النقمة ما يزجر غيرهم.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ أي نقضا للعهد. ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ أي رد العهد الذي بينك وبينهم، والمفعول محذوف تقديره: فانبذ إليهم عهدهم. ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي على معادلة، وقيل: معناه أن تستوي معهم في العلم بنقض العهد.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟﴾ أي لا تظن أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم. ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ أي لا يفوتون في الدنيا، ولا في الآخرة.

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم﴾ الضمير للذين ينبذ لهم العهد، أو للذين لا يعجزون، وحكمه عام في جميع الكفار. ﴿مِّن قُوَّةٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «ألا إن القوة الرمي»[1]. ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ قال الزمخشري[2]: الرباط اسم للخيل التي تربط

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه الحديث رقم: (١٩١٧)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٥١٤)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٢٨١٣)، وأحمد: ١٥٦/٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٧١/٣، وابن حبان: ٧/٤، وأخرجه الطبري في جامع البيان: ٥٧٠/١٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٧٠٠٩/٥، وعبد الرزاق في تفسيره: ٢/١، ورجاله ثقات.

(٢) قال الزمخشري: ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى=

في سبيل الله، وقال ابن عطية[1]: رباط الخيل جمع ربط أو مصدر. ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ يعني الكفار. ﴿وَءَاخَرِينَ﴾ يعني المنافقين، وقيل: بني قريظة، وقيل: الجن لأنها تنفر من صهيل الخيل، وقيل: فارس، والأول أرجح لقوله: مردوا على النفاق. ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ قال السهيلي: لا ينبغي أن يقال فيهم شيء لأن الله تعالى قال: لا تعلمونهم فكيف يعلمهم أحد، وهذا لا يلزم؛ لأن معنى قوله: لا تعلمونهم لا تعرفونهم أي لا تعرفون آحادهم وأعيانهم، وقد يعرف صنفهم من الناس، ألا ترى أنه قال مثل ذلك في المنافقين.

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ السلم هنا المهادنة، والآية منسوخة بآية القتال في براءة؛ لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ قيل: المراد بين قلوب الأوس والخزرج؛ إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام، واللفظ عام.

﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على اسم الله وقال الزمخشري: مفعول معه والواو بمعنى مع أي حسبك وحسب من اتبعك الله.

﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ الآية إخبار يتضمن وعدا بشرط الصبر

= به، كقوله: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وعن ابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون؟ فقال: يشتري به الخيل، فترابط في سبيل الله ويغزي عليها، فقيل له: إنما أوصى في الحصون، فقال: ألم تسمع قول الشاعر: «إِنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لاَ مَدَرُ الْقُرَى» الكشاف: ٢/٢٢٠.

(١) قال ابن عطية: ﴿رباط الخيل﴾ جمع ربط ككلب وكلاب، ولا يكثر ربطها إلا وهي كثيرة، ويجوز أن يكون الرباط مصدرا، من ربط كصاح صياحا ونحوه؛ لأن مصادر الثلاثي غير المزيد لا تنقاس، وإن جعلناه مصدرا من رابط فكأن ارتباط الخيل واتخاذها يفعله كل واحد لفعل آخر له، فترابط المؤمنون بعضهم بعضا، فإذا ربط كل واحد منهم فرسا لأجل صاحبه فقد حصل بينهم رباط، وذلك الذي حض في الآية عليه. المحرر الوجيز: ٢/٦٢٥.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾

ووجود ثبوت الواحد للعشرة ثم نسخ بثبوت الواحد للاثنين. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ أي يقاتلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر بحياتهم، وأشار عمر بقتلهم[1]، فنزلت الآية عتابا على استبقائهم[2]. ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى

(١) أورده ابن كثير في تفسيره قال: استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعليًّا وعمر فقال أبو بكر: يا رسول الله، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذناه منهم قُوَّةً لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عَضُدا، فقال رسول الله ﷺ: «ما ترى يا ابن الخطاب؟» قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُمْكنَني من فلان ـ قريب لعمر ـ فأضرب عنقه، وتُمكن عليًّا من عقيل فيضربَ عنقه، وتُمكن حمزة من فلان ـ أخيه ـ فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هوادة للمشركين، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم، فَهَوِيَ رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد ـ قال عمر ـ غدوت إلى النبي ﷺ وأبي بكر وهما يبكيان، فقلت: يا رسول الله، [أخبرني: ما يبكيك أنت وصاحبك؟، فإن وجدتُ بكاء بَكَيتُ، وإن لم أجد بكاء تَبَاكيتُ لبكائكما! قال النبي ﷺ: للذي عَرَض علي أصحابك من أخذهم الفداء، قد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة ـ لشجرة قريبة، وأنزل الله ﷻ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ تفسير القرآن العظيم: ٤/١٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٧٦٣)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٦٩٠)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٨١)، وأحمد في المسند: ١/٣٠، والطبري في جامع البيان: ١٣/١٥٧٣٤، وابن حبان: ١١/١١٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٢/٢٣٥، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٥/١٧٣٠، وغيرهم.

﴿الْأَرْضِ﴾ أي يبالغ في القتل.

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ عتاب لمن رغب في فداء الأسرى.

﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ الكتاب ما قضاه الله في الأزل من العفو عنهم، وقيل: ما قضاه الله من تحليل الغنائم لهم. ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ يريد به الأسرى أو فداؤهم، ولما نزلت الآية قال رسول الله ﷺ: «لو نزل عذاب ما نجا منه غيرك يا عمر»[1].

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ • إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

ثمن

﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ إباحة للغنائم ولفداء الأسارى.

﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ أي إن علم في قلوبكم إيمانا جبر عليكم ما أخذ منكم من الفدية، قال العباس[2]: في نزلت وكان قد افتدى يوم بدر، ثم أعطاه رسول الله ﷺ من المال ما لا يقدر أن يحمله، فقال: قد أعطاني الله خيرا مما أخذ مني، وأنا أرجو أن يغفر لي.

﴿وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ الآية تهديد لهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى آخر السورة مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار والذين آمنوا ولم يهاجروا والذين هاجروا بعد الحديبية، فبدأ أولا

---

(١) تأويل مختلف الحديث: ١٥٨/١، والروض الأنف: ١٣٢/٣.

(٢) صحيح عن ابن عباس الطبري في جامع البيان: ٧٣/١٤، والطبراني في المعجم الكبير: ١٣٧/١١، والحاكم في المستدرك: ٣٢٤/٣ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

بالمهاجرين ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا وأثبت الولاية بينهم وهي ولاية التعاون والتناصر، وقيل: هو ولاية الميراث ثم نسخت بقوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾ لما نفى الولاية بين المؤمنين الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا أمر بنصرهم إن استنصروا بالمؤمنين، إلا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد، فلا ينصرونهم عليهم.

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إلا هنا مركبة من إن الشرطية، ولا النافية والضمير في تفعلوه لولاية المؤمنين ومعاونتهم، أو لحفظ الميثاق الذي في قوله: إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق، أو النصر الذي في قوله: فعليكم النصر، والمعنى: إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ الآية، ثناء على المهاجرين والأنصار ووعد لهم، والرزق الكريم في الجنة.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾ يعني الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان. ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ قيل: هي ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار، وقال مالك: ليست في الميراث وقال أبو حنيفة: هي في الميراث وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوي الأرحام. ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أي القرآن، وقيل: في اللوح المحفوظ.

❋❋ ❋❋ ❋❋

سورة التوبة

آياتها ١٣٠ — ترتيبها ٩

براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴿١﴾ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين ﴿٢﴾ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴿٣﴾ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ﴿٤﴾ • فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴿٥﴾ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ﴿٦﴾

ربع

سورة براءة

وتسمى سورة التوبة، وتسمى أيضا الفاضحة؛ لأنها كشفت أسرار المنافقين، واتفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسملة من أولها، واختلف في سبب ذلك، فقال عثمان بن عفان[1]: اشتبهت معانيها بمعاني الأنفال وكانت تدعى القرينتين في زمان رسول الله ﷺ، فلذلك قرنت بينهما، ووضعتهما في السبع الطوال، وكان الصحابة قد اختلفوا: هل هما سورتان أو سورة واحدة؟ فتركت البسملة بينهما لذلك[2]، وقال علي بن أبي

---

(١) أخرجه أبو داود الحديث رقم: (٧٨٦)، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٨٦)، والنسائي في الفضائل الحديث رقم: (٣٢)، وأحمد: ١/١/٥٧، وأبو عبيد في الفضائل (٢٨٥)، وابن حبان: ١/٢٣٠، والطبري في جامع البيان: ١/١٠٢، والبغوي في معالم التنزيل: ٤/٧ قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ١/٣٩٩، وقال: في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جدا، بل هو حديث لا أصل له، يدور إسناده في كل رواياته على يزيد الفارسي، وفيه تشكيك بمعرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعي قراءة وسماعا وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان ينفيها برأيه ويثبتها برأيه، وحاشاه من ذلك، فلا علينا إذا قلنا إنه حديث لا أصل له، تطبيقا للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها، بين أئمة الحديث قال السيوطي في تدريب الراوي، ص: ٩٩، في الكلام على أمارات الحديث الموضوع: أن يكون منافيا لدلالة الكتاب القطعية، أو السنة المتواترة، أو الإجماع القطعي.

(٢) قال القاضي أبو محمد وهذا القول يضعفه النظر أن يختلف في كتاب الله هكذا، وروي عن=

طالب[1]: البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف، فلذلك لم تبدأ بالأمان.

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ المراد بالبراءة التبرؤ من المشركين، وارتفاع براءة على أنه خبر ابتداء، أو مبتدأ. ﴿إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تقدير الكلام: براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين، فمن وإلى متعلقان بالمحذوف لا ببراءة، وإنما أسند العهد إلى المسلمين في قوله: عاهدتم لأن فعل الرسول ﷺ لازم للمسلمين فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين، وكان النبي ﷺ قد عاهد المشركين[2] إلى آجال محدودة فمنهم من وفى فأمر الله أن يتم عهده إلى مدته، ومنهم من نقض أو قارب النقض فجعل له أجل أربعة أشهر، وبعدها لا يكون له عهد.

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أي سيروا آمنين أربعة أشهر وهي الأجل الذي جعل لهم، واختلف في وقتها، فقيل: هي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم؛ لأن السورة نزلت حينئذ وذلك عام تسعة، وقيل: هي من عيد الأضحى إلى تمام العشر الأول من ربيع الآخر؛ لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ وذلك أن رسول الله ﷺ بعث تلك السنة أبا بكر الصديق فحج بالناس، ثم بعث بعده علي بن أبي طالب[3] فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة، وقيل: يوم النحر. ﴿غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ أي لا تفوتونه.

= أبي بن كعب أنه قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بوضع بسم الله الرحمن الرحيم» المحرر الوجيز: ٣/٣.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/٣٣٠ بسند ضعيف.

(٢) صحيح أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٨٧١)، والطبري في جامع البيان: ١٤/١٠٧، وأحمد في المسند: ١/٧٩، والدارمي في سننه الحديث رقم: (١٩٢٥) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الألباني في الإرواء: ٤/٣٠٣ رجاله كلهم ثقات رجال البخاري فهو صحيح.

(٣) صحيح رواه أحمد: ١/١٠٠، والطبري في جامع البيان: ١٤/١٠٦، وقد سبق.

﴿وَأَذَانٌ﴾ أي إعلام بتبرؤ الله تعالى ورسوله من المشركين. ﴿إِلَى النَّاسِ﴾ جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين، وجعل الإعلام بالبراءة عاما لجميع الناس، من عاهد ومن لم يعاهد وللمشركين وغيرهم. ﴿الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ هو يوم عرفة، أو يوم النحر، وقيل: أيام الموسم كلها، وعبر عنها بيوم كقولك يوم صفين والجمل، وكانت أياما كثيرة. ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ تقديره: أذان بأن الله بريء وحذفت الباء تخفيفا، وقرئ[1] إن الله بالكسر لأن الأذان في معنى القول. ﴿وَرَسُولُهُ﴾ ارتفع بالعطف على الضمير في بريء، أو بالعطف على موضع اسم إن، أو بالابتداء وخبره محذوف، وقرئ[2] بالنصب عطف على اسم إن، وأما الخفض فلا يجوز فيه العطف على المشركين لأنه معنى فاسد، ويجوز على الجوار أو على القسم، وهو مع ذلك بعيد، والقراءة به شاذة. ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ يعني التوبة من الكفر.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم﴾ يريد الذين لم ينقضوا العهد.

﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ يعني الأشهر الأربعة التي جعلت لهم، فمن قال إنها: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فهي الحرم المعروفة زاد فيها شوال ونقص رجب، وسميت حرما تغليبا للأكثر، ومن قال: إنها إلى ربيع الثاني فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ. ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ ناسخة لكل موادعة في القرآن، وقيل: إنها نسخت أيضا ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾، وقيل: بل نسختها هي، فيجوز المن والفداء. ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ معناه

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ جمهور الناس ﴿أن الله بريء﴾ بفتح الألف، على تقدير بأن الله، وقرأ الحسن والأعرج: ﴿إن الله﴾ بكسر الألف على القطع إذ الأذان في معنى القول. المحرر الوجيز: ٨/٣.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بن عرم ﴿رسوله﴾ بالنصب عطفا على لفظ المكتوبة. المحرر الوجيز: ٨/٣.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ • وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

الأسر، والأخيذ: هو الأسير. ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ كل طريق، ونصبه على الظرفية. ﴿فَإِن تَابُواْ﴾ يريد من الكفر، ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة كما فعل أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]، والآية في معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**»[2]. ﴿فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ تأمين لهم.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ﴾ هو من الجوار، أي استأمنك فأمنه حتى يسمع القرآن ليرى: هل يسلم أم لا؟ ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ أي إن لم يسلم فرده إلى موضعه، وهذا الحكم ثابت عند قوم، وقال قوم: نسخ بالقتال.

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ لفظه استفهام ومعناه استنكار واستبعاد. ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: المراد قريش، وقيل: قبائل بني بكر. ﴿فَمَا اسْتَقَامُواْ﴾ ما ظرفية.

﴿كَيْفَ﴾ تأكيد للأولى، وحذف الفعل بعدها للعلم به، تقديره: كيف يكون لهم عهد. ﴿لَا يَرْقُبُواْ﴾ أي لا يراعوا. ﴿إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ الإل: القرابة، وقيل: الحلف، والذمة العهد. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ استثنى من قضى له بالإيمان.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾

ربع

﴿أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ أي رؤساء أهله، قيل: إنهم أبو جهل لعنه الله، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمرو، وحكى ذلك الطبري[1] وهو ضعيف؛ لأن أكثر هؤلاء كان قد مات قبل نزول هذه السورة، والأحسن أنها على العموم. ﴿لَآ أَيْمَانَ﴾ أي لا أيمان لهم يوفون بها، وقرئ[2] لا إيمان بكسر الهمزة. ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ يتعلق بقاتلوا.

﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ قيل: يعني إخراجه من المدينة حين قاتلوه بالخندق وأحد، وقيل: يعني إخراجه من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة، ثم خرج هو بنفسه. ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني إذايتهم للنبي ﷺ والمسلمين بمكة.

﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يريد بالقتل والأسر، وفي ذلك وعد للمسلمين بالظفر. ﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قيل: إنهم خزاعة، والإطلاق أحسن.

﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ﴾ استئناف إخبار بأن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ الآية معناها أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر فيه الطيب

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٦٢/١٤ الأثر رقم: (١٦٢٩٤)..

(٢) ﴿لا أيمان لهم﴾ قرأ ابن عامر بكسر الهمزة على أنه مصدره، وقرأ الباقون على أنه جمع: ٣١٢/٢.

من الخبيث، وأم هنا بمعنى بل والهمزة. و﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ أي يعلم ذلك موجبا لتقوم به الحجة. ﴿وَلِيجَةً﴾ أي بطانة.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ أي ليس لهم ذلك بالحق والواجب، وإن كانوا قد عمروها تغليبا وظلما، ومن قرأ مساجد[١] بالجمع أراد جميع المساجد، ومن قرأ بالتوحيد أراد المسجد الحرام. ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ أي أن أحوالهم وأقوالهم تقتضي الإقرار بالكفر، وقيل: الإشارة إلى قولهم في التلبية لا شريك لك إلا شريكا هو لك[٢].

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ الآية سببها[٣] أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج وبعمارة المسجد الحرام فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك، ونزلت الآية[٤] في علي بن أبي طالب، والعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن شيبة افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت وعندي مفاتحه، وقال العباس: أنا صاحب السقاية، وقال علي: لقد أسلمت قبل الناس وجاهدت مع رسول الله ﷺ.

﴿لَا تَتَّخِذُوٓا ءَابَآءَكُمْ﴾ الآية، قيل: نزلت فيمن ثبط عن الهجرة[٥]، ولفظها عام، وكذلك حكمها.

---

(١) ﴿أن يعمروا مساجد الله﴾ قرأ البصريان وابن كثير ﴿مسجد الله﴾ على التوحيد، وقرأ الباقون بالجمع، واتفقوا على الجمع بالحرف الثاني: ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ لأنه يريد جميع المساجد. النشر: ٣١٢/٢ المصدر السابق.

(٢) المحرر الوجيز: ١٧/٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٨٧٩)، وأحمد: ٢٦٩/٤، وابن حبان في صحيحه: ٤٥١/١٠، والبغوي في تفسيره: ٢٢/٤، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٠٤، والطبراني في الأوسط: ٢٦٦/١.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٦٥٦٣/١٤ بسند ضعيف.

(٥) ضعيف علقه الواحدي في أسبابه، ص: ٢٠٦، وعلقه البغوي في تفسيره: ٢٤/٤، وعزاه ابن حجر في الكافي الشافي: ٢٥٦/٢ للثعلبي في تفسيره.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾

﴿فَتَرَبَّصُواْ﴾ وعيد لمن آثر أهله أو ماله أو مسكنه على الهجرة والجهاد. ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ قيل: يعني فتح مكة، وقيل: هو إشارة إلى عذاب أو عقاب.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ عطف على مواطن، أو منصوب بفعل مضمر، وهذا أحسن لوجهين:

أحدهما: أن قوله: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ مختص بحنين، ولا يصح في غيره من المواطن فيضعف عطف يوم حنين على المواطن للاختلاف الذي بينهما في ذلك.

والآخر: أن المواطن ظرف مكان ويوم حنين ظرف زمان، فيضعف عطف أحدهما على الآخر، إلا أن يريد بالمواطن الأوقات، وحنين اسم علم لموضع عرف برجل اسمه حنين، وانصرف لأنه مذكر.

﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ كانوا يومئذ اثنا عشر ألفا، فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة[1]، فأراد الله إظهار عجزهم ففر الناس عن رسول الله ﷺ، حتى بقي على بغلته في نفر قليل، ثم استنصر بالله وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار، وقال: «شاهت الوجوه»[2] ونادى بأصحابه فرجعوا

---

(١) البيهقي في الدلائل: ٥/١٢٣، والطبري في جامع البيان: ١٤/١٨٠ بسند حسن وفيه إرسال.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٧٧٧)، وأحمد في مسنده: ١/٢٠٧، وفي فضائل الصحابة رقم: (١٧٧٥)، والنسائي في الكبرى رقم: (٥١٣٤)، وابن جرير الطبري في جامع البيان: ١٤/١٦٥٧٧.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ قَٰتِلُواْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَٰرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝ اتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾

إليه، وهزم الله الكفار، وقصة حنين مذكورة في السير. ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي ضاقت على كثرة اتساعها، وما هنا مصدرية.

﴿وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يعني الملائكة.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ﴾ إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين.

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قيل: إن نجاستهم بكفرهم، وقيل: بالجنابة. ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ نص على منع المشركين وهم عبدة الأوثان من المسجد الحرام، فأجمع العلماء على ذلك، وقاس مالك على المشركين سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد، وجعلها الشافعي عامة في جميع الكفار خاصة بالمسجد الحرام، فمنع جميع الكفار دخول المسجد الحرام خاصة، وأباح لهم دخول غيره، وقصرها أبو حنيفة على موضع النص فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة، وأباح لهم دخول سائر المساجد، وأباح دخول أهل الكتاب في المسجد الحرام وغيره. ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ يريد عام تسعة من الهجرة، حين حج أبو بكر بالناس، وقرأ عليهم علي سورة براءة. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي فقرا، كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة فخاف الناس قلة القوت بها إذا منع المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة، ثم فتح المسلمون سائر الأمصار.

﴿قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ أمر بقتال أهل الكتاب، ونفى عنهم الإيمان بالله، لقول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى المسيح ابن الله، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر؛ لأن اعتقادهم فيه فاسد، فإنهم لا يقولون بالمعاد والحساب. ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير، وغير ذلك. ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ أي لا يدخلون في الإسلام. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بيان للذين أمر بقتالهم، وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة تبوك لقتال النصارى[1]. ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ﴾ اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى، ويلحق بهم المجوس[2] لقوله ﷺ: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»[3] واختلفوا في قبولها من عبدة الأوثان والصابئين، ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين، وقدرها عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب، وأربعون درهما على أهل الورق، ويؤخذ ذلك من كل رأس. ﴿عَن يَدٍ﴾ فيه تأويلان:

أحدهما: دفع الذمي لها بيده لا يبعثها مع أحد ولا يمطل بها، كقولك: يدا بيد.

---

(١) مرسل أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٠٠/١٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٧٧٨/٦، والدر المنثور: ١٦٧/٤، وعزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) المجوس: عبدة النار.

(٣) أخرجه مالك في الموطإ: ٢٧٨/١، ومن طريقه الشافعي في المسند: ١٣٠/٢، وأبو عبيد في الأموال، ص: ٤٢، والبيهقي: ٨٩/٩، والبغوي: ٣٤/٤، وعبد الرزاق في المصنف: ٦٨/٦ قال ابن عبد البر في التمهيد: ١١٤/٢ هذا حديث منقطع. ولكن يعضده حديث أن عبد الرحمن بن عوف شهد أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر. البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣١٥٦)، وأبو داود الحديث رقم: (٣٠٣٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٥٨٦)، وأحمد في مسنده: ١٩٠/١

و (هجر) اسم بلد في البحرين، يذكر فيصرف وهو الأكثر، ويؤنث فيمنع من الصرف. [المصباح].

الثاني: عن استسلام وانقياد، كقولك: ألقى فلان بيده.

﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أذلاء.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس(١): إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود، وهم: سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف. وقيل: لم يقلها إلا فنحاص، ونسب ذلك إلى جميعهم؛ لأنهم متبعون لمن قالها، والظاهر أن جماعتهم قالوها؛ إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم. وكان سبب قولهم ذلك أنهم فقدوا التوراة فحفظها عزير وحده فعلمها لهم، فقالوا ما علم الله عزيرا التوراة إلا أنه ابنه، وعزير مبتدأ وابن الله خبره، ومنع عزير التنوين لأنه أعجمي لا ينصرف، وقيل: بل هو منصرف وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وهذا ضعيف، وأما من نونه فجعله عربيا. ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ قال أبو المعالي: أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله، وذلك كفر شنيع. ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يتضمن معنيين:

أحدهما: إلزامهم هذه المقالة والتأكيد في ذلك.

والثاني: أنهم لا حجة لهم في ذلك، وإنما هو مجرد دعوى كقولك لمن تكذبه: هذا قولك بلسانك.

﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ معنى يضاهون يشابهون، فإن كان الضمير لليهود والنصارى فالإشارة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ للمشركين من العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله وهم أول كافر، أو للصابئين، أو لأمم متقدمة، وإن كان الضمير للمعاصرين للنبي ﷺ من اليهود والنصارى، فالذين كفروا من قبل هم أسلافهم المتقدمون. ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم، وقيل: معناه لعنهم الله. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة: ١/٥٧٩، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٧٨١.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

حزب

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾ أي أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم. ﴿وَالْمَسِيحَ﴾ معطوف على الأحبار والرهبان. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ أي أمرهم بذلك عيسى ومحمد ﷺ.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ﴾ أي يريدون أن يطفئوا نبوءة محمد ﷺ وما جاء به من عبادة الله وتوحيده. ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ إشارة إلى أقوالهم كقولهم: ساحر وشاعر، وفيه أيضا إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا.

﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ﴾ الضمير للرسول ﷺ أو للدين وإظهاره جعله أعلى الأديان وأقواها حتى عم المشارق والمغارب، وقيل: ذلك عند نزول عيسى ابن مريم حين لا يبقى دين إلا دين الإسلام.

﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ هو الرشا على الأحكام وغير ذلك. ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ ورد في الحديث: «أن كل ما أديت زكاته فليس بكنز، وما لم تؤد زكاته فهو كنز»[1]، وقال أبو ذر[2] وجماعة من الزهاد: كلما فضل

(١) ضعيف جدا أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٨٢/٤، وابن عدي في الكامل: ٤٢٦/٣، والطبراني في الأوسط: ١٠/٣.

(٢) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٤٠٦)، والنسائي: ١١٩١٦/٩، والطبري في جامع البيان: ١٧٦٦١/١٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٧٨٩/٦، وابن سعد في الطبقات: ١٦٦/١٤، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٠٦.

عن حاجة الإنسان فهو كنز. ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ الضمير للأموال والكنوز التي يتضمنها المعنى، وقيل: هي الفضة واكتفى في ذلك بالذهب إذ الحكم فيهما واحد.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾ العامل في الظرف ﴿أَلِيمٍ﴾ أو محذوف. ﴿عَلَيْهَا﴾ الضمير يعود على ما يعود عليه ضمير ينفقونها.

﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ هي الأشهر المعروفة، أولها: المحرم وآخرها ذو الحجة، وكان الذي جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]. ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي في اللوح المحفوظ، وقيل: في القرآن، والأول أرجح لقوله: ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾. ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ هي: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم. ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ يعني أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيره بعضهم. ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ الضمير في قوله فيهن للأشهر الحرم تعظيما لأمرها وتغليظا للذنوب فيها وإن كان الظلم ممنوعا في غيرها، وقيل: الضمير للاثنى عشر شهرا وهي الزمان كله والأول أظهر. ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ أي قاتلوهم في الأشهر الحرم، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها، وكافة حال من الفاعل أو المفعول.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ وهو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات وكانت محرمة عليهم في الأشهر الحرم فيشق عليهم تركها فيجعلونها في شهر حرام ويحرمون شهرا آخر بدلا منه، وربما أحلوا المحرم وحرموا صفر حتى يكملوا في العام أربعة أشهر محرمة. ﴿يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ أي تارة يحلون وتارة يحرمون، ولم يرد العام حقيقة. ﴿لِّيُوَاطِئُوا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في تاريخ المدينة: ٧٥٨/٢ فتح الباري: ٣١٥/٧ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

إِنَّمَا النَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

ثمن

﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي ليوافقوا عدد الأشهر الحرم وهي أربعة. ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ يعني إحلالهم القتال في الأشهر الحرم.

﴿مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ﴾ عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك. ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ عبارة عن تخلفهم وأصل اثاقلتم تثاقلتم.

﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ﴾ شرط وجزاء وهو العذاب في الدنيا وفي الآخرة.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ شرط وجواب والضمير لرسول الله ﷺ، **فإن قيل**: كيف ارتباط هذا الشرط مع جوابه؟ **فالجواب**: أن المعنى إن لم تنصروه أنتم فسينصره الله الذي نصره حين كان ثاني اثنين، فدل بقوله نصره الله على نصره في المستقبل. ﴿إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني خروجه من مكة مهاجرا إلى المدينة، وأسند إخراجه إلى الكفار لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه. ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ هو أبو بكر الصديق. ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ﴾ يعني أبا بكر. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ يعني بالنصر واللطف. ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ الضمير للرسول ﷺ، وقيل: لأبي بكر؛ لأن النبي ﷺ لم تزل معه السكينة، ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها للرسول ﷺ. ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ يعني: الملائكة يوم بدر وغيره. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ﴾ يريد إذلالها ودحضها. ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ قيل: هي لا إله إلا الله، وقيل: الدين كله.

انفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

ربع

﴿انفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ أمر بالتنفير إلى الغزو، والخفة: استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة، والثقل: من يمكنه بصعوبة، وقال بعض العلماء: الخفيف الغني والثقيل الفقير، وقيل: الخفيف الشاب والثقيل الشيخ، وقيل: الخفيف النشيط والثقيل الكسلان، وهذه الأقوال أمثلة في الثقل والخفة، وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ الآية.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا﴾ الآية نزلت[1] هي وكثير مما بعدها في هذه السورة في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت في شدة الحر وطيب الثمار والظلال فثقلت عليهم، فأخبر الله في هذه الآية أن السفر لو كان لعرض من الدنيا، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه. ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ أي الطريق والمسافة. ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ إخبار بغيب، وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة يحلفون. ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ أي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذبة، أو تخلفهم عن الغزو.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ الآية، كان بعض المنافقين قد استأذن النبي ﷺ في التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم، فعاتبه الله تعالى على إذنه لهم،

(١) ذكره الواحدي في أسبابه، ص: ٢٠٨ بدون سند أنها نزلت في النافقين وكذا البغوي في تفسيره دون إسناد: ٤/٥٤.

وقدم العفو على العتاب إكراما له صلى الله عليه وسلم، وقيل: إن قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ ليس لذنب ولا عتاب ولكنه استفتاح كلام، كما تقول: أصلحك الله. ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ كانوا قد قالوا لنستأذنه في القعود فإن أذن لنا قعدنا، وإن كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم، فحينئذ كان يقعد العاصي والمنافق ويسافر المطيع.

﴿لاَ يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الآية لا يستأذنك في التخلف عن الغزو لغير عذر من يؤمن بالله واليوم الآخر.

﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي شكت، ونزلت الآية في عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس.

﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ﴾ الآية أي لو كانت لهم نية في الغزو لاستعدوا له قبل أوانه. ﴿ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي خروجهم. ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي كسر عزمهم وجعل في قلوبهم الكسل. ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ﴾ يحتمل أن يكون القائل لهم اقعدوا هو الله تعالى، وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالقعود، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض. ﴿مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ أي مع النساء والصبيان وأهل الأعذار، وفي ذلك ذم لهم لاختلاطهم في القعود مع هؤلاء.

﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾ أي شرا وفسادا. ﴿وَلَأَوْضَعُواْ﴾ أي أسرعوا السير، والإيضاع: سرعة السير، والمعنى: أنهم يسرعون للفساد والنميمة. ﴿خِلَـٰلَكُمْ﴾ أي بينكم. ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي يحاولون أن يفتنوكم. ﴿سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾ قيل: يسمعون كلامهم، وقيل: يسمعون أخبارهم وينقلونها إليهم.

﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أي طلبوا الفساد، وروي أنها نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه من المنافقين[1]. ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ أي دبروها من

---

(١) المحرر الوجيز ٣/٤٢.

﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

ثمن

كل وجه، فأبطل الله سعيهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي﴾ لما دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس إلى غزوة تبوك قال الجد بن قيس: ـ وكان من المنافقين ـ ائذن لي في القعود[1] ولا تفتني برؤية بني الأصفر؛ فإني لا أصبر عن النساء. ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي وقعوا في الفتنة التي فروا منها.

﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك. ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قد حذرنا وتأهبنا من قبل.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي ما قدر وقضى وهذا رد على المنافقين.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ أي هل تنظرون بنا إلا إحدى أمرين إما الظفر والنصر، وإما الموت في سبيل الله، وكل واحد من الخصلتين حسن. ﴿بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ﴾ المصائب وما ينزل من السماء، أو عذاب الآخرة. ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ يعني القتل. ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد.

﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ تضمن الأمر هنا معنى الشرط فاحتاج إلى

---

(١) ضعيف جدا وهو من حديث ابن عباس، الطبراني في الكبير: ٢/٢٧٥، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، الحديث رقم: (٩٦٠٠)، والدر: ٤/١٣، وفيه: أخرج ابن جرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال الجد بن قيس: إني إذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالي، قال: ففيه نزلت: ﴿قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم﴾ قال: لقوله أعينك بمالي: ٤/٢١٧.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَآ أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ • وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

ربع

جواب، والمعنى: لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعا أو كرها، والطوع والكره عموم في الإنفاق، أي لن يتقبل على كل حال.

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟﴾ تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم، ويحتمل أن يكون إنهم كفروا فاعل ما منعهم، أو في موضع مفعول من أجله والفاعل الله.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ قيل: عذابهم في الدنيا بالمصائب، وقيل: ما ألزموا من أداء الزكاة. ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ إخبار بأنهم يموتون على الكفر.

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي من المؤمنين. ﴿يَفْرَقُونَ﴾ أي يخافون.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ أي ما يلجأ إليه من المواضع. ﴿أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ﴾ هي الغيران في الجبال. ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ وزنه مفتعل من الدخول، ومعناه نفق أو سرب في الأرض. ﴿يَجْمَحُونَ﴾ أي يسارعون.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ أي يعيبك على قسمتها، والآية في المنافقين كالتي قبلها وبعدها، وقيل: هي في ذي الخويصرة الذي قال: اعدل يا محمد فإنك لم تعدل، فقال رسول الله ﷺ: «**ويلك إن لم أعدل فمن يعدل**»[1] الحديث.

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٤٤)، ومسلم في صحيحه الحديث=

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ﴾ الآية ترغيب لهم فيما هو خير لهم، وجواب لو محذوف، تقديره: لكان ذلك خيرا لهم.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الآية إنما هنا تقتضي حصر الصدقات وهي الزكاة في هذه الأصناف الثمانية، فلا يجوز أن يعطى منها غيرهم، ومذهب مالك أن تفريقها في هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام، فله أن يجعلها في بعض دون بعض، ومذهب الشافعي أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء، واختلف العلماء: هل الفقير أشد حاجة من المسكين، أو بالعكس؟ فقيل: هما سواء، وقيل: الفقير الذي يسأل الناس ويعلم حاله، والمسكين ليس كذلك. ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي الذين يقبضونها ويفرقونها. ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ كفار يعطون ترغيبا في الإسلام، وقيل: هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم، واختلف: هل بقي حكمهم، أو سقط؛ للاستغناء عنهم؟ ﴿وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ يعني العبيد يشترون ويعتقون. ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ يعني من عليه دين، ويشترط أن يكون استدان في غير فساد، ولا إسراف. ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يعني الجهاد، فيعطى منها المجاهدون ويشترى منها آلات الحرب، واختلف: هل تصرف في بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل؟ ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ هو الغريب المحتاج. ﴿فَرِيضَةً﴾ أي حقا محدودا ونصبه على المصدر، فإن قيل: لم ذكر مصرف الزكاة في تضاعيف ذكر المنافقين؟ فالجواب: أنه حصر مصرف الزكاة في تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها فاتصلت هذه الآية في المعنى بقوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ الآية.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ يعني من المنافقين وإذايتهم للنبي ﷺ بالأقوال والأفعال. ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أي يسمع كل ما يقال له ويصدقه، وروي:

= رقم: (١٠٦٤)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٧٦٤)، والطبري في جامع البيان: ١٤/١٦٨١٧، ومعالم التنزيل: ٤/٦٠، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٠٩، وأحمد في مسنده: ٣/٤.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

أن قائل هذه المقالة هو تنبل بن الحارث[1]، وكان من مردة المنافقين، وقيل: عتاب بن قيس. ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ أي هو يسمع الخير والحق. ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي يصدقهم، يقال: آمنت لك إذا صدقتك ولذلك تعدى هذا الفعل باللام، وتعدى يؤمن بالله بالباء ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع عطف على أذن وبالخفض على خير.

﴿يَحْلِفُونَ﴾ يعني المنافقين. ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ تقديره: والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، فهما جملتان حذف الضمير من الثانية لدلالة الأولى عليها، وقيل: إنما وحد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد.

﴿مَن يُحَادِدِ اللَّهَ﴾ يعني: من يعادي ويخالف. ﴿فَأَنَّ لَهُ﴾ أن هنا مكررة تأكيدا للأولى، وقيل: هي بدل منها، وقيل: التقدير فواجب أن له، فهي في موضع خبر مبتدإ محذوف.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني تنزل في شأنهم سورة على النبي ﷺ، والضمائر في عليهم وتنبئهم وقلوبهم، تعود على المنافقين، وقال الزمخشري: إن الضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين، وفي قلوبهم للمنافقين، والأول أظهر. ﴿قُلِ اسْتَهْزِئُوا﴾ تهديد. ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ صنع ذلك بهم في هذه

---

(١) ذكرها الطبري في جامع البيان ٣٢٥/١٤ بصيغة التمريض، وابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس ٣٠٥/٧ والمحرر الوجيز ٥٩/٣، ونبتل بن الحارث حرفت فكتبت تنبل، وهو خطأ فلتصحح.

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُواْ بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِے خَاضُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ • أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴿٧٠﴾ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧١﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٢﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِے مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٣﴾

السورة؛ لأنها فضحتهم.

﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ نزلت[1] في وديعة بن ثابت بلغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: هذا يريد أن يفتح قصور الشام، هيهات هيهات! فسأله عن ذلك، فقال: إنما كنا نخوض ونلعب.

﴿إِن يُعْفَ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ كان رجل منهم اسمه مخشن تاب ومات شهيدا.

﴿بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ نفي لأن يكونوا من المؤمنين. ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ كناية عن البخل. ﴿نَسُواْ اللَّهَ﴾ أي غفلوا عن ذكره. ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من رحمته وفضله.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ﴾ الأصل في الشر أن يقال أوعد، وإنما يقال فيه وعد إذا صرح بالشر. ﴿وَالْكُفَّارَ﴾ يعني المجاهرين بالكفر.

﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ خطاب للمنافقين والكاف في موضع نصب، والتقدير: فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم، أو في موضع خبر مبتدإ تقديره: أنتم كالذين من قبلكم. ﴿وَخُضْتُمْ﴾ أي خلطتم وهو مستعار من الخوض في الماء، ولا يقال إلا في الباطل من الكلام. ﴿كَالَّذِے خَاضُوٓاْ﴾ تقديره: كالخوض الذي خاضوا، وقيل: كالذين خاضوا فالذي هنا على هذا بمعنى: الجمع.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ﴾ الآية تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدمة.

---

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٣١/١٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٨٣/٦ إسناده صحيح لكنه مرسل.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

ربع

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ يعني مدائن قوم لوط. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالمعجزات.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في مقابلة قوله: المنافقون بعضهم من بعض، ولكنه خص المؤمنين بالوصف بالولاية.

﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ قيل: عدن هي مدينة الجنة وأعظمها، وقال الزمخشري: هو اسم علم. ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي رضوان من الله أكبر من كل ما ذكر، وذلك معنى ما ورد في الحديث: «**إن الله تعالى يقول لأهل الجنة، أتريدون شيئا أزيدكم فيقولون يا ربنا أي شيء تزيدنا؟ فيقول: رضواني فلا أسخط عليكم أبدا**»[1].

﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان ما لم يظهر ما يدل على كفرهم، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم كحكم الزنديق، وقد اختلف: هل يقتل، أم لا؟ ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ الغلظة ضد الرحمة والرأفة، وقد تكون بالقول والفعل وغير ذلك.

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟﴾ نزلت في الجلاس بن سويد[2] فإنه قال: إن كان ما

(١) البخاري الحديث رقم: (٦٥٤٩)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٨٢٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٥٥٥)، وأحمد في مسنده: ٨٨/٣، والطبري في جامع البيان: ٣٥٦/١٤، والبغوي في شرح السنة: ٢٣١/١٥.

(٢) صحيح من حديث بن عباس وكعب بن مالك، وزعموا أنه تاب وحسنت توبته حتى عرف منه الإسلام والخير. أخرجه ابن لأبي حاتم في تفسيره: ١٨٤٣/٦، وانظر الدر المنثور: ٢٤١/٤.

يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقرره عليه، فحلف أنه ما قاله. ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ يعني ما تقدم من قول الجلاس؛ لأن ذلك يقتضي التكذيب. ﴿وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ لم يقل بعد إيمانهم لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم آمنا ولم يدخل الإيمان في قلوبهم. ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ هم الجلاس بقتل من بلغ تلك المقالة عنه، وقيل: هم بقتل النبي ﷺ، وقيل: الآية نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول[1] وكلمة الكفر التي قالها قوله: «سمن كلبك يأكلك»[2] وهمه بما لم ينله قوله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾، ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي ما عابوا إلا الغنى الذي كان حقه أن يشكروا عليه، وذلك في الجلاس أو في عبد الله بن أبي. ﴿فَإِن يَتُوبُواْ﴾ فتح الله لهم باب التوبة فتاب الجلاس وحسن إسلامه.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ الآية نزلت في ثعلبة بن حاطب، وذلك أنه قال: يا رسول الله ادع الله أن يكثر مالي، فقال له رسول الله ﷺ: قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فأعاد عليه حتى دعا له، فكثر ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات، ثم امتنع من أداء الزكاة فنزلت فيه الآية، فجاء بزكاته إلى النبي ﷺ فأعرض عنه ولم يأخذها منه، وقال: إن الله أمرني أن لا آخذ زكاتك، ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان[3].

---

(١) مرسل أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٤/٣٦٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٨٤٣ إسناده صحيح ورجاله ثقات إلا أنه مرسل.

(٢) ابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٨٤٤، والطبري في جامع البيان: ١٤/٣٦٤.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٤/٣٧٠، وابن الأثير في أسد الغابة: ١/٢٨٣، وابن عبد البر في الاستيعاب: ١/٢٠١، وابن حزم في المحلى: ١١/٢٠٨، وقال: لا يصح... وهذا باطل لا شك فيه، وضعفه ابن حجر جدا في تخريج أحاديث الكشاف: ٤/٧٧، وفي الفتح: ٣/٢٢٦، وقال الذهبي في تجريد أسماء الصحابة: ١/٦٦ حديث طويل منكر بمرة، وقال الألباني في الضعيفة: رقم: (٤٠٨١) هذا إسناد ضعيف.

﴿بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ إشارة إلى منعه الزكاة.

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ عقوبة على العصيان بما هو أشد منه. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ حكم بوفاته على النفاق.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ نزلت في المنافقين[١] حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف، فقالوا: ما هذا إلا رياء، وأصل المطوعين المتطوعين والمراد به هنا من تصدق بكثير. ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ﴾ هم الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به، نزلت في أبي عقيل[٢] تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون: إن الله غني عن صدقة هذا. ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ أي يستخفون بهم. ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب.

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون لفظه أمر ومعناه الشرط، بمعنى: إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، كما جاء في سورة المنافقين.

والآخر: أن يكون تخيير، كأنه قال: إن شئت فاستغفر لهم وإن شئت فلا تستغفر لهم، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم وهذا أرجح لقول رسول الله ﷺ: «إن الله خيرني فاخترت»[٣] وذلك حين قال عمر: أتصلي على عبد الله بن أبي وقد نهاك الله عن الصلاة عليه؟

﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير.

---

(١) مرسل من مراسيل مجاهد وقتادة أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٨٤/١٤ بإسناد رجاله كلهم ثقات.

(٢) الحديث أصله في الصحيحين البخاري الحديث رقم: (١٤١٥)، ومسلم الحديث رقم: (١٠١٨).

(٣) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٣٦٦)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٠٩٧)، والنسائي: ٦٧/٤، وأحمد: ١٦/١، والطبري في جامع البيان: ٤٠٨/١٤.

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ۞ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

ثمن

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ أي الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه وفي هذا تحقير وذم لهم، ولذلك لم يقل المتخلفون. ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم. ﴿خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ أي بعده حين خرج إلى تبوك فخلاف على هذا ظرف، وقيل: هو مصدر من خلف فهو على هذا مفعول من أجله. ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ قال هذه المقالة: رجل من بني سلمة[(١)] ممن صعب عليه السفر إلى تبوك في الحر.

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ أمر بمعنى الخبر فضحكهم القليل في الدنيا مدة بقائهم فيها، وبكاؤهم الكثير في الآخرة، وقيل: هو بمعنى الأمر أي يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويبكون كثيرا في الدنيا لما وقعوا فيه.

﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ إنما لم يقل إليهم لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف. ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ عقوبة لهم فيها خزي وتوبيخ. ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني في غزوة تبوك. ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ أي مع القاعدين وهم النساء والصبيان.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ نزلت في شأن عبد الله بن أبي بن سلول وصلاة رسول الله ﷺ عليه حين مات[(٢)]، وروي: أنه صلى عليه

---

(١) الطبري في جامع البيان: ١٤/٤٠٠.

(٢) صحيح البخاري رقم: (١٣٦٦)، والترمذي الحديث رقم: (٣٠٩٧)، وتقدم قبل قليل.

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٨﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٠﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩١﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٢﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٣﴾ • إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٤﴾

حزب

فنزلت الآية[(١)]، وروي: أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما تقدم ليصلي عليه جاءه جبريل فجبذ ثوبه وتلا عليه ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية، فانصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يصل عليه[(٢)].

﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ قيل: يعني براءة، والأرجح أنه على الإطلاق. ﴿أَنْ ءَامِنُوا﴾ أن هنا مفسرة. ﴿اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ أي أولوا الغنى والمال الكثير.

﴿لَٰكِنِ الرَّسُولُ﴾ الآية أي إن تخلف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه. ﴿الْخَيْرَاتُ﴾ تعم منافع الدارين، وقيل: هي الحور العين لقوله: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾.

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ هم المعتذرون ثم أدغمت التاء في الذال ونقلت حركتها إلى العين، واختلف: هل كانوا في اعتذارهم صادقين، أو كاذبين؟ وقيل: هم المقصرون من عذر في الأمر إذا قصر فيه ولم يجد، فوزنه على هذا المفعلون، وروي: أنها نزلت في قوم من غفار[(٣)]. ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ هم

(١) في صحيح البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبد الله بن أبي بعد ما أدخل حفرته، فأمر به فأخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه. الحديث رقم: (١٢٨٥)، وانظر الطبري في جامع البيان: ١٤/٤٠٧.

(٢) الطبري في جامع البيان: ١٤/٤٠٧ بسند ضعيف، والأحاديث الصريحة ترد ذلك. كما تقدم.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٨٦٠ عن ابن إسحاق بسند ضعيف.

قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم، فكذبوا في دعواهم الإيمان. ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ أي من المعذرين.

﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ﴾ هذا رفع للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة، من ضعف البدن والفقر، إذا تركوا الغزو، وقيل: إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان وهذا بعيد. ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ قيل: نزلت في بني مقرن[1] وهم ستة إخوة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم، وقيل: في عبد الله بن مغفل المزني[2]. ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ﴾ يعني بنياتهم وأقوالهم وإن لم يخرجوا للغزو. ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ وصفهم بالمحسنين لأنهم نصحوا لله ورسوله، ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ قيل: هم بنو مقرن، وقيل: ابن مغفل، وقيل: سبعة نفر من بطون شتى وهم البكاؤون، ومعنى لتحملهم على الإبل وجواب إذا يحتمل أن يكون: ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ﴾ أو ﴿تَوَلَّوا﴾.

﴿إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يعني من غزوة تبوك. ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدقكم. ﴿مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ نعت لمحذوف وهو المفعول الثاني تقديره: قد نبأنا الله جملة من أخباركم.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ هم أهل البوادي من العرب. ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يعني أنهم أحق أن لا يعلموا الشرائع لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم.

---

(١) في الطبري: ٤٢١/١٤، وابن أبي حاتم: ١٨٦٢/٦ عن أبي نجيح عن مجاهد: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ هم بنو مقرن من مزينة فجعل الآية التي فيهم هي: ﴿ولا على الذين...﴾

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٢٠/١٤ بسند ضعيف.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً﴾ أي تثقل عليهم الزكاة والنفقة في سبيل الله ثقل المغرم الذي ليس بحق عليه. ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ أي ينتظر بكم مصائب الدنيا. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ خبر، أو دعاء.

﴿وَصَلَوَاتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي دعواته لهم وهو عطف على قربات، أي يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم، وقيل: نزلت في بني مقرن.

﴿وَالسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ قيل: هم من صلى القبلتين، وقيل: من شهد بدرًا، وقيل: من حضر بيعة الرضوان. ﴿وَالَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ سائر الصحابة ويدخل في ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة، بشرط الإحسان.

﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ أي اجترؤوا عليه، وقيل: أقاموا عليه. ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ العذاب العظيم هو النار، وأما المرتان قبله فالثانية منهما: عذاب القبر، والأولى: عذابهم بإقامة الحدود عليهم، وقيل: بفضيحتهم بالنفاق.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية قيل: إنها نزلت في أبي لبابة[1] فعمله

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٤٥١/١٤، والبيهقي في الدلائل: ٢٧١/٥، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٨٧٣/٦ عن مجاهد مرسلا قال: نزلت في أبي لبابة إذ قال لبني قريظة ما قال وأشار إلى حلقه: أن محمدا ذابحكم إن نزلتم على حكم الله. بسند جيد.

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

ثمن

الصالح الجهاد، وعمله السيئ نصيحته لبني قريظة، وقيل: هو لمن تخلف عن تبوك من المؤمنين، فعملهم الصالح ما سبق لهم، وعملهم السيئ تخلفهم عن تبوك، وروي: أنهم ربطوا أنفسهم إلى سواري المسجد وقالوا لا نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله ﷺ، وقيل: هي عامة في الأمة إلى يوم القيامة، قال بعضهم: ما في القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ قيل: نزلت في المتخلفين[1] الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم قالوا يا رسول الله: إنا نريد أن نتصدق بأموالنا فنزلت هذه الآية، وأخذ ثلث أموالهم، وقيل: هي الزكاة المفروضة، فالضمير على العموم لجميع المسلمين. ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ خطاب للنبي ﷺ في موضع صفة لصدقة، أو حال من الضمير في خذ. ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادع لهم. ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ أي تسكن به نفوسهم فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ الضمير في يعلموا للتائبين من التخلف، وقيل: للذين تخلفوا ولم يتوبوا، وقيل: عام وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ قيل: معناه يأمر

(١) حديث حسن أخرجه البيهقي في الدلائل: ٢٧١/٥، والطبري في جامع البيان: ٤٥٤/١٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٨٧٤/٦.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾

ربع

بها، وقيل: يقبلها من عباده.

﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ قيل: هم الثلاثة الذين خلفوا قبل أن يتوب الله عليهم، وقيل: هم الذين بنوا مسجد الضرار، وقرئ[1] مرجئون بالهمز وتركه وهما لغتان ومعناه التأخير.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ قرئ الذين بغير واو صفة لقوله: وآخرون مرجون، أو على تقدير: هم الذين، وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجون لأمر الله هم أهل مسجد الضرار، وقرئ[2] والذين بالواو عطفا على: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ﴾ وهذه القراءة جارية على قول من قال في المرجئين أنهم الثلاثة الذين خلفوا. ﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ كان بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء، وكان رسول الله ﷺ يأتيه ويصلي فيه، فحسدهم على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف، وبنو سالم بن عوف، فبنوا مسجدا آخر مجاورا له ليقطعوا الناس عن الصلاة في مسجد قباء، وذلك هو الضرار الذي قصدوا وسألوا من رسول الله ﷺ أن يأتيه ويصلي لهم فيه، فنزلت عليه فيه هذه الآية[3]. ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أرادوا أن يتفرق المؤمنون عن مسجد قباء.

---

(١) ﴿مرجون﴾ قرأها بهمز مضمومة ابن كثير وأبو عمرو ابن العلاء ويعقوب والباقون بغير همز. النشر ١/٤٦١.

(٢) ﴿والذين اتخذوا﴾ قرأ المدنيان وابن عامر (الذين) بغير واو وكذا هي في مصاحف أهل المدينة والشام، وقرأ الباقون بالواو وكذا هي في مصاحفهم. النشر: ٢/٣١٦.

(٣) مرسل أخرجه الطحاوي في المشكل: ١٢/١٧٣، والطبري في جامع البيان: ١٤/٤٧٢، ورجاله رجال الصحيح.

﴿وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي انتظارا لمن حارب الله ورسوله، وهو أبو عامر الراهب الذي سماه رسول الله ﷺ الفاسق، وكان من أهل المدينة فلما قدمها رسول الله ﷺ جاهر بالكفر والنفاق، ثم خرج إلى مكة فحزب الأحزاب من المشركين، فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف، فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقيصر فهلك هناك[1]، وكان أهل مسجد الضرار يقولون: إذا قدم أبو عامر المدينة يصلي في هذا المسجد، والإشارة بقوله من قبل إلى ما فعل مع الأحزاب. ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله، فأكذبهم الله في ذلك.

﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾ نهي عن إتيانه والصلاة فيه، فكان رسول الله ﷺ لا يمر بطريقه. ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قيل: هو مسجد قباء، وقيل: مسجد النبي ﷺ بالمدينة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ[2]. ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُواْ﴾ كانوا يستنجون بالماء، ونزلت في الأنصار على قول من قال إن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد المدينة، ونزلت في بني عمرو بن عوف خاصة[3] على قول من قال إن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء.

﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ الآية استفهام بمعنى التقرير، والذي أسس على التقوى والرضوان مسجد المدينة أو مسجد قباء، والذي أسس على شفا جرف هار هو مسجد الضرار، وتأسيس البناء على التقوى والرضوان: هو بحسن النية فيه، وقصد وجه الله، وإظهار شرعه، والتأسيس على شفا جرف هار: هو بفساد النية، وقصد

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل: ٥/٢٥٩ من طريق ابن إسحاق بسند منقطع.

(٢) الطبري في جامع البيان: ١٤/٤٧٦.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ١١/رقم: (١١٠٦٥)، والحاكم في المستدرك: ١/١٨٧، وقال الحاكم: وهذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

الرياء، والتفريق بين المؤمنين، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البارع، ومعنى شفا جرف: طرف حفرة، ومعنى هار: ساقط، أو واه بحيث أشفى على السقوط، وأصل هار هائر فهو من المقلوب؛ لأن لامه جعلت في موضع العين. ﴿فَانْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ أي طاح في جهنم، وهذا ترشيح للمجاز؛ فإنه لما شبه بالجرف وصف بالانهيار الذي هو من شأن الجرف، وقيل: إن ذلك حقيقة وأنه سقط في نار جهنم وخرج الدخان من موضعه، والصحيح أن رسول الله ﷺ أمر بهدمه فهدم[١].

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي لا يزال في قلوب أهل مسجد الضرار ريبة من بنيانه، أي شك في الإسلام بسبب بنيانه لاعتقادهم صواب فعلهم، أو غيظ بسبب هدمه. ﴿إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي إلا أن يموتوا.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ قيل: إنها نزلت في بيعة العقبة[٢]، وحكمها عام في كل مؤمن مجاهد في سبيل الله إلى يوم القيامة، قال بعضهم: ما أكرم الله؛ فإن أنفسنا هو خلقها، وأموالنا هو رزقها، ثم وهبها لنا، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفقة رابحة. ﴿يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ﴾ جملة في موضع الحال بيان للشراء. ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ قال بعضهم: ناهيك عن بيع البائع فيه رب العلى، والثمن جنة المأوى، والواسطة محمد المصطفى ﷺ.

---

(١) ضعيف أخرجه البيهقي في الدلائل: ٢٥٩/٥.

(٢) روى الطبري بسنده عن محمد بن كعب القرظي وغيره، قالوا: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربّك ولنفسك ما شئت! قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسَكم وأموالكم، قالوا: فإذا فعلنا ذلك، فماذا لنا؟ قال: الجنة! قالوا: ربح البيعُ، لا نُقيل ولا نستقيل! فنزلت: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين﴾ الآية. الطبري في جامع البيان: ٤٩٩/١٤، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٢٠ بسند ضعيف جدا..

التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ ۞ لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿التَّائِبُونَ﴾ وما بعده أوصاف للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم تقديره: هم التائبون. ﴿السَّائِحُونَ﴾ قيل: معناه الصائمون، ويقال ساح في الأرض أي ذهب.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ نزلت في شأن أبي طالب فإنه لما امتنع أن يقول: لا إله إلا الله عند موته، قال له رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فكان يستغفر له حتى نزلت هذه الآية»[1] وقيل: إن النبي ﷺ استأذن ربه أن يستغفر لأمه فنزلت الآية[2]، وقيل: إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فنزلت الآية[3].

﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ المعنى لا حجة لكم أيها المؤمنون في استغفار إبراهيم لأبيه، فإن ذلك لم يكن إلا لوعد تقدم وهو قوله:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (١٣٦٠)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٤)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٢٠٣٥)، والطبري في جامع البيان: ١٤/٥١٠، وأحمد في مسنده: ٥/٤٣٣، والبغوي في معالم التنزيل: ٤/١٠٠.

(٢) صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/٣٣٦، والطحاوي في المشكل: ٦/٢٨٥، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٢٢، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٨٩٣ قال الحاكم: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي فقال: فيه أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٤/٥١٣، والطحاوي في المشكل: ٦/٢٨٢، وأحمد في المسند: ١/٩٩، والحاكم في المستدرك: ٢/٣٣٥ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾. ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ قيل: تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر، وقيل: لأنه نهي عن الاستغفار له. ﴿لَأَوَّٰهٌ﴾ قيل: كثير الدعاء، وقيل: موقن، وقيل: فقيه، وقيل: كثير الذكر لله، وقيل: كثير التأوه من خوف الله.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا﴾ الآية نزلت في قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن فخافوا على أنفسهم من ذلك فنزلت الآية[1] تأنيسا لهم أي ما كان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبين لكم المنع من ذلك.

﴿فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ يعني حين محاولة غزوة تبوك والساعة هنا بمعنى الحين والوقت وإن كان مدة، والعسرة الشدة وضيق الحال ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني تزيغ عن الثبات على الإيمان أو عن الخروج في تلك الغزوة؛ لما رأوا من الضيق والمشقة، وفي كاد ضمير الأمر والشأن أو ترتفع بها القلوب. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على هذا الفريق أي رجع بهم عما كادوا يقعون فيه.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ هم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر، ومن غير نفاق، ولا قصد للمخالفة، فلما رجع رسول الله ﷺ عتب عليهم وأمر أن لا يكلمهم أحد، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم فبقوا على ذلك مدة إلى أن أنزل الله توبتهم، وقد روي: حديثهم في البخاري ومسلم[2] والسير، ومعنى خلفوا هنا: أي عن الغزوة، وقال كعب بن مالك: معناه خلفوا عن قبول العذر، وليس بالتخلف عن الغزو، يقوي

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/١٠٤ بدون سند، وانظر معالم التنزيل: ٤/١٠٣.

(٢) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٥٧)، وفي عدة مواضع منه، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٦٤)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٢٢٠٢)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣١٠٢)، والنسائي في سننه: ٦/١٥٢، وأحمد في مسنده: ٣/٤٥٤، والطبري في جامع البيان: ١٤/٥٥٧.

وَعَلَى الثَّلَٰثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ
إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ
﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ
﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ
أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن
نَّفْسِهِۦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا
مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ
نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ
لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾
وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن
كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

ذلك كونه جعل: ﴿إِذَا ضَاقَتْ﴾ غاية للتخلف. ﴿ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ﴾ عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله. ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا﴾ أي رجع بهم ليستقيموا على التوبة.

﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ﴾ يحتمل أن يريد صدق اللسان إذ كان هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب، فنفعهم الله بذلك، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان، وهو الصدق في الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم، والمراد بالصادقين المهاجرون لقول الله في الحشر للفقراء المهاجرين إلى قوله: هم الصادقون، وقد احتج بها أبو بكر الصديق[1] على الأنصار يوم السقيفة فقال: نحن الصادقون وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أي تابعين لنا.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ الآية عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب. ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التي تحملها هو ﷺ. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ﴾ تعليل لما يجب من عدم التخلف. ﴿ظَمَأٌ﴾ أي عطش. ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ أي تعب. ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ أي جوع. ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ﴾ أي بأرجلهم أو بدوابهم. ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا﴾ عموم في كل ما يصيب الكفار.

---

(١) ذكره القرطبي في أحكام القرآن: ٢٦٨/٨، والقاضي أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم، ص: ٤٣، ولم نجده مسندا.

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ قال ابن عباس[1]: هذه الآية في البعوث إلى الغزو والسرايا، أي لا ينبغي خروج جميع المؤمنين في السرايا، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه، ولذلك عاتبهم في الآية المتقدمة على التخلف عنه، فالآية الأولى في الخروج معه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه في السرايا التي كان يبعثها، وقيل: هي ناسخة لكل ما ورد من الأمر بخروج الجميع، فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين، وقيل: هي في طلب العلم، ومعناها أنه لا تجب الرحلة في طلب العلم على الجميع بل على البعض لأنه فرض كفاية. ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ تحضيض على نفر بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم. ﴿لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ إن قلنا إن الآية في الخروج إلى طلب العلم فالضمير في يتفقهوا للفرقة التي تنفر أي ترحل، وكذلك الضمير في ينذروا وفي رجعوا أي ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة، وإن قلنا إن الآية في السرايا فالضمير في يتفقهوا للفرقة التي تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا، وأما الضمير في رجعوا فهو للفرقة التي خرجت مع السرايا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الضمير للقوم.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ أمر بقتال الأقرب فالأقرب على تدريج، وقيل: إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب وكانت أرض العرب قد عمها الإسلام وكانت العراق حينئذ بعيدة.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ أي من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه إيمانا على وجه الاستخفاف بالقرآن، كأنهم يقولون أي عجب في هذا وأي دليل في هذا. ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عند نزول كل سورة.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٤/٥٦٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٩١٢ بإسناد حسن والسيوطي في الدر المنثور: ٤/٣٢٢، ونسبه لابن المنذر وابن مردويه.

ربع

• يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ المرض عبارة عن الشك والنفاق والمعنى زادتهم رجسا إلى رجسهم أو زادتهم كفرا ونفاقا إلى كفرهم ونفاقهم.

﴿يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ﴾ قيل: يفتنون أي يختبرون بالأمراض والجوع، وقيل: بالأمر بالجهاد، واختار ابن عطية[1] أن يكون المعنى يفضحون بما يكشف من سرائرهم.

﴿نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف بالقرآن، ثم قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد فينقل عنكم هذا الاستخفاف، فقوله: هل يراكم من أحد كان بسبب خوفهم أن ينقل عنهم ذلك، وقيل: معنى نظر بعضهم إلى بعض على وجه التعجب مما ينزل في القرآن من كشف أسرارهم، ثم قال بعضهم لبعض: ﴿هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ أي هل رأى أحوالكم فنقلها عنكم، أو علمت من غير نقل فهذا أيضا على وجه التعجب. ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا﴾ يحتمل أن يراد الانصراف بالأبدان، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى. ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ دعاء أو خبر. ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ تعليل لصرف قلوبهم.

---

(١) قال ابن عطية: والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها أن الفتنة والاختبار إنما هي بكشف الله تعالى أسرارهم، وإفشائه عقائدهم، فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برؤيته... المحرر الوجيز: ١١٣/٣.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يعني النبي ﷺ، والخطاب للعرب أو لقريش خاصة، أي من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته، أو لبني آدم كلهم أي من جنسكم، وقرئ[١] ﴿مِنْ أَنْفَسِكُمْ﴾ بفتح الفاء أي من أشرفكم. ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي يشق عليه عنتكم، والعنت: هو ما يضرهم في دينهم أو دنياهم، وعزيز صفة للرسول، وما عنتم فاعل بعزيز، وما مصدرية، أو ما عنتم مبتدأ وعزيز خبر مقدم، والجملة في موضع الصفة. ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ أي حريص على إيمانكم وسعادتكم. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ سماه الله هنا باسمين من أسمائه.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي إن أعرضوا عن الإيمان بك فاستعن بالله وتوكل عليه، وقيل: إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة[٢].

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) قال القاضي أبو محمد عبد الحق ابن عطية: وقرأ عبد الله بن قسيط المكي من أنفسكم بفتح الفاء من النفاسة، ورويت عن النبي ﷺ وعن فاطمة رضي الله عنها ذكر أبو عمرو أن ابن عباس رواها عن النبي ﷺ. المحرر الوجيز: ٣/١١٤.

(٢) قال ابن عطية: هذه السورة مدنية إلا آيتين ﴿لقد جاءكم رسول﴾ إلى آخرها. المحرر الوجيز: ٣/٣.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى اخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

سورة يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿الٓر﴾ تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء التي في أوائل السور. ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ﴾ إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب هنا القرآن. ﴿الْحَكِيمِ﴾ من الحكمة أومن الحكم أو من الإحكام للأمر، أي أحكمه الله.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ الهمزة للإنكار، و﴿عَجَبًا﴾ خبر كان، و﴿أَنْ أَوْحَيْنَا﴾ اسمها، و﴿أَنْ أَنذِرِ﴾ تفسير للوحي، والمراد بالناس هنا كفار قريش وغيرهم، و﴿إِلَىٰ رَجُلٍ﴾ هنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعنى الآية الرد على من استبعد النبوءة أو تعجب من أن يبعث الله رجلا. ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ أي عمل صالح قدموه، وقال ابن عباس[1]: السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ. ﴿قَالَ الْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يعنون ما جاء به من القرآن وقرئ[2] لساحر يعنون به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسيرا لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوءة ويكون خبرا مستأنفا.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه رد على

(١) الطبري في جامع البيان: ١٥/١٤، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٩٢٢/٦ بسند حسن.

(٢) قال ابن عطية: وقرأ جمهور الناس ﴿لسحر مبين﴾ وقرأ سعيد بن جبير والأعمش «الساحر مبين». المحرر الوجيز: ١٥٠/٣.

من أنكر النبوءة كأنه يقول: إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذي خلق السموات والأرض، فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين؟ ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦٓ﴾ أي ما يشفع إليه أحد إلا بعد أن يأذن له في الشفاعة، وفي هذا رد على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم.

﴿وَعْدَ اَللَّهِ حَقّاًّۚ﴾ نصب وعد على المصدر المذكور المؤكد للرجوع إلى الله، ونصب حقا على المصدر المؤكد لوعد الله. ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ اُ۬لْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي يبدؤه في الدنيا ويعيده في الآخرة، والبداءة دليل على العودة. ﴿لِيَجْزِيَ﴾ تعليل للعودة وهي البعثة. ﴿بِالْقِسْطِۚ﴾ أي بعدله في جزائهم أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة.

﴿هُوَ اَلَّذِے جَعَلَ اَلشَّمْسَ ضِيَآءٗ وَالْقَمَرَ نُوراٗ﴾ وصف أفعال الله وقدرته وحكمته، والضياء أعظم من النور. ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ الضمير للقمر، والمعنى قدر سيره في منازل. ﴿وَالْحِسَابَۚ﴾ يعني حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي. ﴿مَا خَلَقَ اَللَّهُ ذَٰلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّۖ﴾ أي ما خلقه عبثا، والإشارة بذلك إلى ما تقدم من المخلوقات.

﴿إِنَّ اَلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ قيل: معنى يرجون هنا يخافون، وقيل: لا يرجون حسن لقائنا، فالرجاء على أصله، وقيل: لا يرجون لا يتوقعون أصلا ولا يخطر ببالهم. ﴿وَرَضُواْ بِالْحَيَوٰةِ اِ۬لدُّنْيَا﴾ أي قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم. ﴿وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ أي سكنت أنفسهم عن ذكر الانتقال عنها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾ يحتمل أن تكون هي الفرقة الأولى فيكون من عطف الصفات، أو تكون غيرها.

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْۖ﴾ أي يسددهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة، أو

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ • وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

ربع

يهديهم في الآخرة إلى طريق الجنة، وهذا أرجح لما بعده.

﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ أي دعاؤهم. ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ أي لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعا، ونزلت الآية[1] عند قوم في دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده، وقيل: نزلت[2] في الذين قالوا: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ عتاب في ضمنه نهي لمن يدعو الله عند الضر، ويغفل عنه عند العافية. ﴿لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ أي مضطجعا، وروي: أنها نزلت[3] في أبي حذيفة بن المغيرة لمرض كان به.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ إخبار ضمنه وعيد للكفار.

﴿لِنَنظُرَ﴾ معناه ليظهر في الوجود فتقوم عليكم الحجة.

---

(١) هذا من أثر مجاهد وقتادة بدون ذكر سبب النزول أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٤/١٥، وابن أبي حاتم في تفسيره: ١٩٣٢/٦، وهو بإسناد حسن.

(٢) ضعيف أخرجه القرطبي في أحكام القرآن: ٢٩٣/٨، وقال ابن إسحاق ومقاتل: هو قول النضر بن الحارث: «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، فلو عجل لهم هذا لهلكوا»، وأورده البغوي في معالم التنزيل: ١٢٤/٤، وكذا ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٢٣/٣.

(٣) لم أجده مسندا وذكره القرطبي في أحكام القرآن: ٢٩٥/٨.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

لس

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني على قريش.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ أي ما تلوته إلا بمشيئة الله لأنه من عنده وما هو من عندي. ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ أي ولا أعلمكم به. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ما تكلمت في هذا حتى جاءني من عند الله.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ تنصل من الافتراء على الله، وبيان لبراءته ﷺ مما نسبوه إليه من الكذب، وإشارة إلى كذبهم على الله في نسبة الشركاء له. ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ بيان لظلمهم في تكذيبهم رسول الله ﷺ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ الضمير في يعبدون لكفار العرب وما لا يضرهم ولا ينفعهم هي الأصنام. ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم. ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ رد عليهم في قولهم بشفاعة الأصنام، والمعنى: أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذي هو عالم بما في السموات والأرض، وكل ما ليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشيء، فقوله: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهكم، أي كيف تعلمون الله بما لا يعلم؟.

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ تقدم في البقرة في قوله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ

وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

أُمَّةً وَاحِدَةً﴾. ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القضاء.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ كانوا يطلبون آية من الآيات التي اقترحوها، ولقد نزل عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم. ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، لا يطلع على ذلك أحد. ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ أي انتظروا نزول ما اقترحتموه. ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ أي منتظر لعقابكم على كفركم.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾ هذه الآية في الكفار وتضمنت النهي لمن كان كذلك من غيرهم، والمكر هنا: الطعن في آيات الله وترك شكره، ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم سماه مكرا مشاكلة لفعلهم وتسمية للعقوبة باسم الذنب.

﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ الضمير المؤنث في جرين للفلك، والضمير في بهم للناس، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة وهو الذي يسمى: الالتفات، وجواب ﴿إِذَا كُنتُمْ﴾ قوله: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ وقوله: دعوا الله، قال الزمخشري[1]: هو بدل من ظنوا ومعناه دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه.

﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ رفع على أنه خبر ابتداء مضمر، تقديره: وذلك متاع

---

(١) قال الزمخشري: فإن قلت: ما جواب ﴿إذا﴾؟ قلت: ﴿جاءتها﴾. فإن قلت: فدعوا؟ قلت: بدل من ظنوا؛ لأنّ دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك، فهو ملتبس به. الكشاف: ٢/٣٢٣.

• لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧) وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ (٢٩) هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٣٠) قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣١) فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣)

أو يكون خبر إنما بغيكم، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ معنى الآية: تحقير الدنيا وبيان سرعة فنائها، وشبهها بالمطر الذي يخرج به النبات ثم تصيب ذلك النبات آفة عند حسنه وكماله. ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ﴾ كالزرع والفواكه. ﴿وَالْأَنْعَامُ﴾ يعني المرعى التي ترعاها من العشب وغيره. ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ تمثيل بالعروس إذا تزينت بالحلي والثياب. ﴿قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ أي متمكنون من الانتفاع بها. ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ أي بعض الجوائح؛ كالريح، والصر، وغير ذلك. ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ أي جعلنا زرعها كالذي حصد، وإن كان لم يحصد. ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ﴾ كأن لم تنعم.

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ إلى الجنة، وسميت دار السلام أي دار السلامة من العناء والتعب، وقيل: السلام هنا اسم الله، أي يدعو إلى داره. ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ ذكر الدعوة إلى الجنة عامة مطلقة والهداية خاصة بمن يشاء.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله[1]، وقيل: الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها، والزيادة: التضعيف فوق ذلك

---

(١) صحيح أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٨١)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٥٥٣)، وأحمد في المسند: ٣٣٢/٤، والطبري في جامع البيان: ٦٩/١٥.

إلى سبعمائة، والأول أصح لوروده في الحديث وكثرة القائلين به ﴿قَتَرٌ﴾ أي غبار يغير الوجه.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ مبتدأ على حذف مضاف تقديره: جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها، أو على تقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها، أو معطوف على الذين أحسنوا ويكون جزاء سيئة مبتدأ وخبره بمثلها. ﴿مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ أي لا يعصمهم أحد من عذاب الله. ﴿قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ من قرأ بفتح الطاء[1] فهو جمع قطعة، وإعراب مظلما على هذه القراءة حال من الليل، ومن قرأ قطعا بإسكان الطاء فمظلما صفة له، أو حال من الليل.

﴿مَكَانَكُمْ﴾ تقديره: الزموا مكانكم، أي لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل الله بكم. ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أي فرقنا.

﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ أي تختبر بما قدمت من الأعمال، وقرئ[2] تتلو بتاءين بمعنى تتبع، أو تقرؤه في المصاحف.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُم﴾ الآية احتجاج على الكفار بحجج كثيرة واضحة، لا محيص لهم عن الإقرار بها. ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ مذكور في آل عمران.

﴿رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ أي الثابت الربوبية بخلاف ما تعبدون من دونه. ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ أي عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق، وتدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات، إذ الحق فيها في طرف واحد بخلاف مسائل الفروع.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ المعنى كما حق الحق

---

(١) ﴿قطعا﴾ قرأ ابن كثير ويعقوب والكسائي بإسكان الطاء، وقرأ الباقون بفتحها. النشر ٢/٣١٨.

(٢) ﴿تبلو﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بتائين من التلاوة، وقرأ الباقون بالتاء والباء من البلوى. النشر المصدر السابق.

قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ • وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾

ثمن

في الاعتقادات كذلك حقت كلمة ربك على الذين عتوا وتمردوا في كفرهم أنهم لا يؤمنون، والكلمة يراد بها القدر والقضاء.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الآية احتجاج على الكفار، فإن قيل: كيف يحتج عليهم بإعادة الخلق وهم لا يعترفون بها؟ فالجواب أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على الإعادة، وفي ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضا فوضعت الإعادة هنا موضع المتفق عليه لظهور برهانها.

﴿أَمَّن لاَّ يَهِدِّي﴾ بتشديد الدال معناه لا يهتدي في نفسه فكيف يهدي غيره وقرئ[1] بالتخفيف بمعني يهدي غيره والقراءة الأولى أبلغ في الاحتجاج. ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ ما استفهامية، معناها تقرير وتوبيخ، ولكم خبرها ويوقف عليه. ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ أي تحكمون بالباطل في عبادتكم لغير الله.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنّاً﴾ أي غير تحقيق؛ لأنه لا يستند إلى برهان.

(١) قال الداني في التيسير: ابن كثير وورش وابن عامر ﴿أمن لا يهدى﴾ بفتح الياء والهاء وتشديد الدال، وقالون وأبو عمرو كذلك إلا أنهما يخفيان حركة الهاء، والنص عن قالون بالإسكان، وقال اليزيدي عن أبي عمرو: كان يشم الهاء شيئا من الفتح، وأبو بكر بكسر الياء والهاء، وحفص بفتح الياء وكسر الهاء، وحمزة والكسائي بفتح الياء وإسكان الهاء، وتخفيف الدال، ص: ٨٧، وانظر النشر: ٢/٣١٩، والبدور الزاهرة، ص: ١٦٠.

﴿إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ ذلك في الاعتقادات إذ المطلوب فيها اليقين بخلاف الفروع.

﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مذكور في البقرة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أم هنا بمعنى بل والهمزة. ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ﴾ تعجيز لهم وإقامة حجة عليهم. ﴿مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ يعني من شركائكم وغيرهم من الجن والإنس. ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غير الله.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ أي سارعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره. ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ أي علم تأويله ويعني بتأويله الوعيد الذي لهم فيه.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ الآية فيها قولان:

أحدهما: إخبار بما يكون منهم في المستقبل وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى على الكفر.

والآخر: أنها إخبار عن حالهم وأن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه ومنهم من هو مكذب.

﴿فَقُل لِّى عَمَلِى﴾ الآية موادعة منسوخة بالقتال.

﴿مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ أي يستمعون القرآن وجمع الضمير بالحمل على معنى من. ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ المعنى أتريد أن تسمع الصم وذلك لا يكون لا سيما إذا انضاف إلى الصمم عدم العقل.

﴿أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ﴾ المعنى أتريد أن تهدي العمي وذلك لا يكون لا سيما إذا انضاف إلى عدم البصر عمى البصيرة، والصمم والعمي عبارة عن قلة فهمهم.

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

ربع

﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً﴾ تقليل لمدة بقائهم في الدنيا أو في القبور ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعني يوم الحشر فهو على هذا حال من الضمير في يلبثوا.

﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ شرط جوابه: ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ والمعنى: إن أريناك بعض عذابهم في الدنيا فذلك، وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم. ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ ذكرت ثم لترتيب الأخبار لا لترتيب الأمر قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب فالترتيب على هذا صحيح.

﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ قيل مجيئه في الآخرة للفصل، وقيل: مجيئه في الدنيا وهو بعثه.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ كلام فيه استبعاد واستخفاف.

﴿بَيَاتًا﴾ أي بالليل. ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ المعنى أي شيء يستعجلون من العذاب وهو ما لا طاقة لكم به، وقوله: ماذا جواب إن أتاكم والجملة متعلقة بأرأيتم.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾ دخلت همزة التقرير على ثم العاطفة، والمعنى إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به الآن، وذلك لا ينفعكم؛ لأنكم كنتم تستعجلونه ومكذبين به.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾

ثمن

• وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ أي يسألونك: هل الوعيد حق؟، أو هل الشرع والدين حق؟ والأول أرجح لقوله: ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي لا تفوتون من الوعيد. ﴿قُلْ إِي﴾ أي نعم.

﴿ظَلَمَتْ﴾ صفة لنفس أي لو ملك الظالم الدنيا لافتدى بها من عذاب الآخرة. ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أي أخفوها في نفوسهم وقيل: أظهروها.

﴿مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يعني القرآن. ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي يشفي ما فيها من الجهل والشك.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ يتعلق بفضل بقوله فليفرحوا، وكرر الباء في قوله فبذلك تأكيدا والمعنى: الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما، والفضل والرحمة عموم، وقد قيل: الفضل الإسلام والرحمة القرآن. ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أي فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ الآية مخاطبة لكفار العرب الذين حرموا البحيرة والسائبة وغير ذلك. ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ متعلق بأرأيتم وكرر قل للتأكيد، ولما قسم الأمر إلى إذن الله لهم وافترائهم ثبت افتراؤهم؛ لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم في ذلك.

﴿وَمَا ظَنُّ﴾ وعيد للذين يفترون. ﴿يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ﴾ ظرف منصوب بالظن،

ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٦٢﴾ الذين ءامنوا وكانوا يتقون ﴿٦٣﴾ لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴿٦٤﴾ ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم ﴿٦٥﴾ ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون ﴿٦٦﴾ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴿٦٧﴾ قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴿٦٨﴾ قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴿٦٩﴾ متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ﴿٧٠﴾

والمعنى أي شيء يظنون أن يفعل بهم في ذلك اليوم؟.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ الشأن الأمر والخطاب للنبي ﷺ، والمراد هو وجميع الخلق، ولذلك قال في آخرها: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ بمخاطبة الجماعة ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شيء. ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ﴾ الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره لدلالة ما بعده عليه كأنه قال: ما تتلوا شيئا من القرآن، وقيل: يعود على الشأن، والأول أرجح لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشيء. ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يقال أفاض الرجل في الأمر إذا أخذ فيه بجد. ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ ما يغيب. ﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وزنها، والذرة: صغار النمل، قال الزمخشري: إن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف سورة سبإ؟ فالجواب: أن السماء تقدمت في سبإ لأن حقها التقديم، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض. ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾ من قرأهما بالفتح[١] فهو عطف على لفظ مثقال، ومن قرأهما بالرفع فهو عطف على موضعه، أو رفع بالابتداء.

﴿أَوْلِيَآءَ اللَّهِ﴾ اختلف الناس في معنى الولي اختلافا كثيرا، والحق فيه ما فسره الله بعد هذا، بقوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولي، وإعراب الذين آمنوا صفة للأولياء، أو منصوب على

(١) ﴿ولا أصغر ولا أكبر﴾ قرأ يعقوب وحمزة وخلف برفع الراء فيهما وقرأ الباقون بالنصب، (واتفقوا) على رفع الحرفين في سبأ لارتفاع (مثقال). انظر: النشر: ٢/٣٢١.

التخصيص، أو مرفوع بإضمار: هم الذين، ولا يكون ابتداء مستأنفا؛ لئلا ينقطع مما قبله.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ أما بشرى الآخرة فهي الجنة اتفاقا، وأما بشرى الدنيا فهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، روي ذلك عن رسول الله ﷺ[1] وقيل: محبة الناس للرجل الصالح[2]، وقيل: ما بشر به في القرآن من الثواب. ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده، وقد استدل ابن عمر[3] على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله.

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ يعني ما يقوله الكفار من التكذيب. ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ إخبار في ضمنه وعد للنبي ﷺ بالنصر وتسلية له.

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون ما نافية وأوجبت بقوله إلا الظن، وكرر إن يتبعون توكيدا، والمعنى: ما يتبع الكفار إلا الظن.

---

(١) في الصحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السِّتْرَ وَرَأْسُهُ مَعْصُوبٌ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا يَرَاهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ تُرَى لَهُ» أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٤٧٩)، ومالك في الموطإ الحديث رقم: (١٧١٥)، وأبو داود الحديث رقم: (٨٧٦)، والنسائي في سننه: ١٨٩/٢، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٨٩٩)، وأحمد في مسنده: ٢١٩/١.

(٢) في الأحاديث الصحيحة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض» البخاري الحديث رقم: (٧٠٤٧)، ومسلم الحديث رقم: (٦٨٧٣)، ومالك في الموطإ الحديث رقم: (١٧١٠)، وغيرهم...

(٣) صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٣٩/٢، والطبري في جامع البيان: ١٤١/١٥ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

والوجه الثاني: أن تكون ما استفهامية ويتم الكلام عند قوله ﴿شُرَكَآءَ﴾ والمعنى: أي شيء يتبعون على وجه التحقير لما يتبعونه ثم ابتدأ الإخبار بقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ والعامل في شركاء على الوجهين يدعون.

﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ من السكون وهو ضد الحركة. ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي مضيئا تبصرون فيه الأشياء.

ربع

• وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ الضمير للنصارى ولمن قال: إن الملائكة بنات الله. ﴿هُوَ ٱلْغَنِىُّ﴾ وصف يقتضي نفي الولد والرد على من نسبه لله؛ لأن الغني المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد. ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بيان وتأكيد للغني، وباقي الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم.

﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ تقديره: لهم متاع في الدنيا.

﴿نُوحٍ﴾ روي أن اسمه: عبد الغفار وإنما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه، من خوف الله. ﴿كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ أي صعب وشق. ﴿مَّقَامِى﴾ أي قيامي لوعظكم والكلام معكم، وقيل: معناه مكاني يعني نفسه كقولك فعلت ذلك لمكان فلان. ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ﴾ بقطع الهمزة من أجمع الأمر إذا عزم عليه وقرئ[1] بألف وصل من الجمع ﴿وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ أي ما تعبدون من دون الله، وإعرابه مفعول معه، أو مفعول

---

(١) هو طريق عن رويس. النشر: ٢/٣٢٢.

بفعل مضمر، تقديره: ادعوا شركاءكم وهذا على القراءة بقطع الهمزة، وأما على الوصل فهو معطوف. ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي لا يكون قصدكم إلى هلاكي مستورا ولكن مكشوفا تجاهرونني به، وهو من قولك: غم الهلال إذا لم يظهر، والمراد بقوله أمركم في الموضعين إهلاككم لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي لا تقصروا في إهلاكي إن قدرتم على ذلك. ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي انفذوا فيما تريدون، ومعنى الآية أن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: إن صعب عليكم دعائي لكم إلى الله فاصنعوا بي غاية ما تريدون، فإني لا أبالي بكم لتوكلي على الله وثقتي به سبحانه.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ أي يخلفون من هلك بالغرق.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا﴾ يعني هودا وصالحا وإبراهيم وغيرهم.

﴿أَسِحْرٌ هَذَا﴾ قيل: إنه معمول ﴿أَتَقُولُونَ﴾ فهو من كلام قوم فرعون وهذا ضعيف؛ لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر لقولهم إن هذا لسحر مبين فكيف يستفهمون عنه، وقيل: إنه من كلام موسى تقريرا وتوبيخا لهم فيوقف على قوله: ﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ ويكون معمول أتقولون محذوف تقديره: أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر، ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم: إن هذا لسحر مبين، فلما تم الكلام ابتدأ موسى توبيخهم بقوله: ﴿أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبي جعفر بن الزبير رحمه الله:

﴿لِتَلْفِتَنَا﴾ أي لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا. ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾ أي الملك والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام.

﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾ ما موصولة مرفوعة بالابتداء، والسحر الخبر وقرئ[1] آلسحر بالاستفهام فما على هذا استفهامية والسحر خبر ابتداء مضمر.

(١) ﴿ما جئتم به السحر﴾ قرأ أبو عمرو وحده بالمد على الاستفهام، وكلهم قرأ السحر بغير مد على لفظ الخبر. السبعة لابن مجاهد، ص: ٣٢٨، والعنوان لابن خلف المقرئ ص: ١٧.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ اُيتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ
اَ۬لسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَيٰ أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْاْ
قَالَ مُوسَيٰ مَا جِئْتُم بِهِ اِ۬لسِّحْرُ إِنَّ اَ۬للَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ اَ۬للَّهَ لَا
يُصْلِحُ عَمَلَ اَ۬لْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اُ۬للَّهُ اُ۬لْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ
كَرِهَ اَ۬لْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ • فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَيٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوْمِهِۦ
عَلَيٰ خَوْفٖ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمُۥٓ أَن يُّفْتِنَهُمْۖ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٖ فِي
اِ۬لْأَرْضِۖ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ اَ۬لْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَيٰ يَٰقَوْمِ إِن
كُنتُمُۥٓ ءَامَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾
فَقَالُواْ عَلَى اَ۬للَّهِ تَوَكَّلْنَاۖ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةٗ لِّلْقَوْمِ اِ۬لظَّٰلِمِينَ
﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ اَ۬لْقَوْمِ اِ۬لْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَيٰ
مُوسَيٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاٗ وَاجْعَلُواْ
بُيُوتَكُمْ قِبْلَةٗ وَأَقِيمُواْ اُ۬لصَّلَوٰةَۖ وَبَشِّرِ اِ۬لْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ
مُوسَيٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةٗ وَأَمْوَٰلاٗ فِي اِ۬لْحَيَوٰةِ
اِ۬لدُّنْيَاۖ رَبَّنَا لِيَضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا اَ۪طْمِسْ عَلَيٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ
وَاشْدُدْ عَلَيٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّيٰ يَرَوُاْ اُ۬لْعَذَابَ اَ۬لْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

﴿وَيُحِقُّ اُ۬للَّهُ اُ۬لْحَقَّ﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى أو إخبار من الله تعالى.

﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَيٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ الضمير عائد على موسى ومعنى الذرية شبان وفتيان من بني إسرائيل، آمنوا به على خوف من فرعون، وقيل: إن الضمير عائد على فرعون فالذرية على هذا من قوم فرعون وروي[1] في هذا أنها امرأة فرعون وخازنه وامرأة خازنه، وهذا بعيد؛ لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية، ولأن الضمير ينبغي أن يعود على أقرب مذكور. ﴿عَلَيٰ خَوْفٖ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ الضمير يعود على الذرية أي آمنت الذرية من بني إسرائيل على خوف من فرعون وملإ من بني إسرائيل لأن الأكابر من بني إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفا من فرعون، وقيل: يعود على فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال: ربيعة ومضر، أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له. ﴿أَن يَّفْتِنَهُمْۖ﴾ بدل من فرعون. ﴿لَعَالٖ فِي اِ۬لْأَرْضِۖ﴾ أي متكبر قاهر.

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةٗ لِّلْقَوْمِ اِ۬لظَّٰلِمِينَ﴾ أي لا تمكنهم من عذابنا فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما عذبناهم فيفتنون بذلك.

﴿أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتاٗ﴾ أي اتخذ لهم بيوتا للصلاة والعبادة،

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/١٦٤، وإسناده ضعيف جدا.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

ربع

وقيل: إنه أراد الإسكندرية ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ أي مساجد، وقيل: موجهة إلى جهة القبلة، فإن قيل: لم خص موسى وهارون بالخطاب في قوله أن تبوآ، ثم خوطب معهما بنو إسرائيل في قوله: واجعلوا؟ فالجواب: أن قوله: تبوآ من الأمور التي يختص بها الأنبياء وأولوا الأمر. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أمر لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ دعاء بلفظ الأمر، وقيل: اللام لام كي وتتعلق بقوله آتيت. ﴿اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ﴾ أي أهلكها. ﴿وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي اجعلها شديدة القسوة. ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ جواب للدعاء الذي هو اشدد ودعاء بلفظ النفي.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه. ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ أي اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ أي لحقهم، يقال: تبعه حتى أتبعه هكذا قال الزمخشري[1]، وقال ابن عطية[2]: أتبع بمعنى تبع وأما اتبع بالتشديد فهو طلب

(١) الكشاف: ٢/٣٤٨.

(٢) المحرر الوجيز: ٣/١٥٧، وقرأ جمهور الناس ﴿فأتبعهم﴾ لأنه يقال تبع وأتبع بمعنى واحد، وقرأ قتادة والحسن فاتبعهم بشد التاء، قال أبو حاتم: القراءة أتبع بقطع الألف لأنها تتضمن الإدراك، واتبع بشد التاء هي طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك...

الأثر سواء أدرك أو لم يدرك. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني الله ﷻ، وفي لفظ فرعون مجهلة وتعنت لكونه لم يصرح باسم الله.

﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ أي قيل له أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار وذلك لا يقبل منك.

﴿نُنَجِّيكَ﴾ أي نبعدك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر، وقيل: نلقيك على نجوة من الأرض، أي على موضع مرتفع. ﴿بِبَدَنِكَ﴾ أي بجسدك جسدا بدون روح، وقيل: بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها، والمحذوف في موضع الحال والباء للمصاحبة. ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ أي لمن وراءك آية وهم بنو إسرائيل.

﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلا حسنا وهو مصر والشام. ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ قيل: يريد اختلافهم في دينهم، وقيل: اختلافهم في أمر محمد ﷺ.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ قيل: الخطاب للنبي ﷺ والمراد غيره، وقيل: ذلك كقول القائل لابنه: إن كنت ابني فبرني، مع أنه لا يشك أنه ابنه، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم، قال ابن عباس[1]: لم يشك النبي ﷺ ولم يسأل، وقال الزمخشري: إن ذلك على وجه الفرض والتقدير، أي إن فرضت أن تقع في شك فاسأل. ﴿مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ قيل: يعني القرآن أو الشرع بحملته وهذا أظهر، وقيل: يعني ما تقدم من أن بني إسرائيل ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم الحق. ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ يعني الذين يقرؤون التوراة والإنجيل، قال السهيلي: هم عبد الله بن سلام، ومخيرق، ومن أسلم من الأحبار، وهذا بعيد لأن الآية مكية وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة، فحمل

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٩٨٦، والطبري في جامع البيان: ١٥/٢٠٢ رقم: (١٧٨٩٠)، وسعيد بن منصور في سننه: ٥/٣٣٢، وهو ضعيف جدًّا.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾

الآية على الإطلاق أولى. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ﴾ خطاب للنبي ﷺ والمراد غيره.

﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ أي قضى أنهم لا يؤمنون.

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ﴾ لولا هنا للتحضيض بمعنى هلا وقرئ[1] في الشاذ هلا، والمعنى: هلا كانت قرية من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها، إذ لا ينفع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون. ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ استثناء من القرى لأن المراد أهلها وهو استثناء منقطع، بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب، ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى النفي كأنه قال: ما آمنت قرية إلا قوم يونس، وروى في قصصهم: أن يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ أنذرهم بالعذاب فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى فرفعه الله عنهم. ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ يريد إلى آجالهم المكتوبة في الأزل.

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الهمزة للإنكار، أي أتريد أنت أن تكره الناس في إدخال الإيمان في قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله، وقيل: المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا، وكان هذا في صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد، ثم نسخت بالسيف.

﴿انظُرُوا﴾ أمر بالاعتبار والنظر في آيات الله. ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن

---

(١) قال ابن عطية: في مصحف أبي وابن مسعود (فهلا) والمعنى فيهما واحد: ١٦١/٣.

﴿قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ يعني من قضى الله عليه أنه لا يؤمن وما نافية أو استفهامية يراد بها النفي.

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ﴾ الآية تهديد. ﴿حَقّاً عَلَيْنَا﴾ اعتراض بين العامل ومعموله له وهما كذلك وننج المؤمنين.

﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ الوجه هنا بمعنى القصد والدين.

﴿وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ منسوخ بالقتال وكذلك قوله: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ وعد بالنصر والظهور على الكفار.

*** *** ***

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

سورة هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ﴾ يعني القرآن وهو خبر ابتداء مضمر. ﴿أُحْكِمَتْ﴾ أي أتقنت فهو من الإحكام للشيء. ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ قيل: معناه بينت، وقيل: قطعت سورة سورة، وثم هنا ليست للترتيب في الزمان وإنما هي لترتيب الأحوال كقولك: فلان كريم الأصل، ثم كريم الفعل.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أن مفسرة، وقيل: مصدرية في موضع مفعول من أجله أو بدل من الآيات، أو يكون كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله على لسان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويدل على ذلك قوله: ﴿إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ أي استغفروه مما تقدم من الشرك والمعاصي، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها. ﴿يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ أي ينفعكم في الدنيا بالأرزاق والنعم والخيرات، وقيل: هو طيب عيش المؤمن برجائه في الله ورضاه بقضائه؛ لأن الكافر قد يتمتع في الدنيا بالأرزاق. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يعني إلى الموت. ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ أي يعطي في الآخرة كل ذي عمل جزاء عمله والضمير يحتمل أن يعود على الله تعالى أو على ذي فضل. ﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ خطاب للناس وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ يعني يوم القيامة أو غيره كيوم بدر.

• وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ قيل: كان الكفار[1] إذا لقيهم رسول الله ﷺ يردون إليه ظهورهم لئلا يرونه من شدة البغض والعداوة، والضمير في منه على هذا يعود على رسول الله ﷺ، وقيل: إن ذلك عبارة عما تنطوي عليه صدورهم من البغض والغل، وقيل: هو عبارة عن إعراضهم؛ لأن من أعرض عن شيء انثنى عنه وانحرف، والضمير في منه على هذا يعود على الله تعالى، أي يريدون أن يستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله ولا المؤمنون على ما في قلوبهم. ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ أي يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن، والعامل في حين ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾، وقيل: المعنى يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم فيوقف عليه، على هذا، ويكون يعلم استئنافا.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ وعد وضمان صادق، **فإن قيل:** كيف قال على الله بلفظ الوجوب، وإنما هو تفضل لأن الله لا يجب عليه شيء؟ **فالجواب:** أنه ذكره كذلك تأكيدا في الضمان لأنه لما وعد به صار واقعا لا محالة لأنه لا يخلف الميعاد. ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ المستقر: صلب الأب،

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٢٣٣، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/١٩٩٩، وسعيد بن منصور في سننه: ٥/٣٣٧ بإسناد صحيح إلى عبد الله بن شداد وهو تابعي فالأثر مرسل وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤/٤٠٠ لابن المنذر.

والمستودع: بطن الأم، وقيل: المستقر المكان في الدنيا، والمستودع القبر.

﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي ليختبركم اختبارا تقوم به الحجة عليكم لأنه كان عالما بأعمالكم قبل خلقكم ويتعلق ليبلوكم بخلق. ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ يحتمل أن يشيروا إلى القرآن أو إلى القول بالبعث، يعنون أنه باطل كبطلان السحر.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو الآخرة. ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي إلى وقت محدود. ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ أي أيُّ شيء يمنع هذا العذاب الموعود به؟ وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا﴾ الآية ذم لمن يقنط عند الشدائد، ولمن يفتخر ويتكبر عند النعم، والرحمة هنا والنعماء يراد بهما الخيرات الدنيوية، والإنسان عام يراد به الجنس، والاستثناء على هذا متصل، وقيل المراد بالإنسان الكافر فالاستثناء على هذا منقطع.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ الآية كان الكفار يقترحون على رسول الله ﷺ أن يأتي بكنز أو يأتي معه ملك، وكانوا يستهزئون بالقرآن فقال الله تعالى له: لعلك تترك أن تلقى إليهم بعض ما أنزل إليك ويثقل عليك تبليغهم من أجل استهزائهم، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، والمقصود بالآية تسلية النبي ﷺ عن قولهم، حتى يبلغ الرسالة ولا يبالي بهم، وإنما قال ﴿وَضَآئِقٌۢ﴾ ولم يقل ضيق؛ ليدل على اتساع صدره ﷺ وقلة ضيقه. ﴿إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ﴾ أي ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ والله هو الوكيل الذي يقضي بما شاء من إيمانهم أو كفرهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ أم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة، والضمير في افتراه لما يوحى إليه. ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ تحداهم أولا بعشر سور فلما بان

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤) مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (١٩)﴾

عجزهم تحداهم بسورة واحدة، فقال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ والمماثلة المطلوبة في فصاحته وعلومه. ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ صفة لعشر سور وذلك مقابلة لقولهم افتراه وليست المماثلة في الافتراء. ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم﴾ أي استعينوا بمن شئتم.

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون مخاطبة من الله للنبي ﷺ وللمؤمنين، أي إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله، وهذا على معنى دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقينا به.

والثاني: أن يكون خطابا من النبي ﷺ للكفار، أي إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شيء من المعارضة، ولا قدر جميعكم عليه فاعلموا أنه من عند الله وهذا أقوى من الأول، لقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾، ومعنى بعلم الله بإذنه أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب، وقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ لفظه استفهام ومعناه استدعاء إلى الإسلام، وإلزام للكفار أن يسلموا؛ لما قام الدليل على صحة الإسلام لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ الآية نزلت في الكفار[1] الذين

(١) مرسل أخرجه ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور: ٤/٤٠٧، وأخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٢٦٥ عن الضحاك.

يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة إذ هم لا يصدقون بها، وقيل: نزلت في أهل الربا من المؤمنين[١] الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد في الحديث في القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك: «إنهم أول من تسعر بهم النار»[٢]، والأول أرجح؛ لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن، فإنما قصد بهذه الآية أولئك ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي نوف إليهم أجور أعمالهم بما يغبطهم فيها من الصحة والرزق والضمير في فيها يعود على الدنيا والمجرور متعلق بقوله: نوف أو بأعمالهم.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ الضمير في فيها هنا يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بحبط، ويعود على الدنيا إن تعلق بصنعوا.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ الآية معادلة لما تقدم والمعنى أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه، والمراد بمن كان على بينة من ربه النبي ﷺ والمؤمنون لقوله بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ ومعنى البينة البرهان العقلي والأمر الجلي. ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ الضمير في يتلوه للبرهان وهو البينة أو لمن كان على بينة من ربه والضمير في منه للرب تعالى ويتلوه هنا بمعنى يتبعه والشاهد يريد به القرآن، فالمعنى: يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن فيزيد وضوحه وتعظم دلالته، وقيل: إن الشاهد المذكور هنا هو علي بن أبي طالب. ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ أي ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى وهو أيضا دليل آخر متقدم وقد قيل أقوال كثيرة في معنى هذه الآية وأرجحها ما ذكرنا. ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أي من أهل مكة.

﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ جمع شاهد كأصحاب، ويحتمل أن يكون من الشهادة

---

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٢٦٦ بسند رجاله ثقات لكن فيه انقطاع.

(٢) صحيح أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٩٠٥)، والنسائي في سننه: ٦/٢٣، وأحمد في المسند: ٢/٣٢٢، والبيهقي: ٩/١٦٨.

> أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
> دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا
> يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
> خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ
> أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
> وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
> الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ
> وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
> ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
> أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾
> فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا
> وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ
> لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ
> أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ
> فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ﴿٢٨﴾

ربع

فيراد به الملائكة والأنبياء، أو من الشهود بمعنى الحضور فيراد به كل من حضر الموقف.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ أي يطلبون اعوجاجها أو يصفونها بالاعوجاج.

﴿لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ أي لا يفلتون. ﴿يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ إخبار عن تشديد عذابهم وليس بصفة لأولياء. ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ الآية ما نافية والضمير للكفار والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون، كقوله: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، وقيل: غير ذلك وهو بعيد.

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا بد ولا شك.

﴿وَأَخْبَتُوا﴾ أي خشعوا، وقيل: أنابوا.

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ يعني المؤمنين والكافرين. ﴿كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ شبه الكفار بالأعمى وبالأصم، وشبه المؤمنين بالبصير والسميع، فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين، وتمثيل للكافرين بمثالين، وقيل: التقدير كالأعمى الأصم والبصير السميع فالواو لعطف الصفات، فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو من جمع بين السمع والبصر، وتمثيل للكفار بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصم.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وصف اليوم بالأليم على وجه المجاز لوقوع الألم فيه.

﴿أَرَاذِلُنَا﴾ جمع أرذل وهم سفلة الناس، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقاد أن الشرف هو بالمال، والجاه، وليس الأمر كما اعتقدوا بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم في الدنيا، وقيل: إنهم كانوا حاكة وحجامين، واختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أراذل في أفعالهم لقول نوح ﴿وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْيِ﴾ أي أول الرأي من غير نظر ولا تدبير، وبادي منصوب على الظرفية أصله وقت حدوث أول رأيهم، والعامل فيه اتبعوك على أصح الأقوال، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت، وقيل: هو صفة لـ ﴿بَشَرًا﴾ مثلنا أي غير مثبت في الرأي. ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ أي من مزية وشرف، والخطاب لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ومن معه.

﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ أي على برهان وأمر جلي، وكذلك في قصة صالح وشعيب. ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ﴾ يعني النبوءة. ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي خفيت عليكم، والفاعل على هذا البينة أو الرحمة. ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي أنكرهكم على قبولها قهرا، وهذا هو جواب أرأيتم، ومعنى الآية أن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: أرأيتم إن هداني الله وأضلكم أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون.

﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ الضمير في عليه عائد على التبليغ. ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾ يقتضي أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء. ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُوا رَبِّهِمْ﴾ المعنى أنه يجازيهم على إيمانهم.

﴿مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ﴾ أي من يدفع عني عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ الآية أي لا أدعي ما ليس لي فتتكرون

﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾

ثمن

قولي. ﴿تَزْدَرِىٓ﴾ أي تحتقر، من قولك: زريت الرجل إذا قصرت به، والمراد بالذين تزدري أعينهم ضعفاء المؤمنين. ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي إن قلت للمؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا والخير هنا يحتمل أن يريد به خير الدنيا والآخرة.

﴿جَٰدَلْتَنَا﴾ الجدال هو المخاصمة والمراجعة في الحجة. ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ أي بالعذاب.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ﴾ الآية جزاء قوله إن أردت أن أنصح لكم هو ما دل عليه قوله نصحي، وجزاء قوله إن كان الله يريد أن يغويكم هو ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي، فتقديرها إن أراد الله أن يغويكم لن ينفعكم نصحي إن نصحت لكم، ثم استأنف قوله هو ربكم، ولا يجوز أن يكون هو ربكم جواب الشرط.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الآية الضمير في يقولون لكفار قريش، وفي افتراه لمحمد ﷺ، هذا قول جميع المفسرين واختار ابن عطية أن تكون في شأن نوح عليه السلام فيكون الضمير في يقولون لقوم نوح، وفي افتراه لنوح لئلا يعترض ما بين قصة نوح بغيرها وهذا بعيد. ﴿إِجْرَامِى﴾ أي ذنبي.

﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي فلا تحزن. ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي تحت نظرنا وحفظنا. ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك. ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ أي لا تشفع لي فيهم فإني قد قضيت عليهم بالغرق.

وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

ربع

﴿وَكُلَّمَا﴾ يحتمل أن يكون جوابها سخروا منه، أو قال إن تسخروا.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد و﴿مَن يَأْتِيهِ﴾ منصوب بتعلمون. ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ هو الغرق والعذاب المقيم عذاب النار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَا أَمْرُنَا﴾ غاية لقوله: واصنع الفلك. ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ أي فار بالماء وجعل الله تلك علامة لنوح ليركب حينئذ في السفينة، والمراد بالتنور الذي يوقد فيه عند ابن عباس[1] وغيره.

وروي[2]: أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح، وقيل: التنور وجه الأرض. ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ المراد بالزوجين الذكر والأنثى من الحيوان، وقرئ[3] من كل بغير تنوين فعمل احمل في اثنين، ومن قرأ بالتنوين عمل احمل في زوجين وجعل اثنين نعت له على جهة التأكيد. ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي قرابتك وهو معطوف على ما عمل فيه احمل. ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي من قضى عليه بالعذاب فهو مستثنى من أهله، والمراد بذلك ابنه الكافر وامرأته. ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ معطوف على أهلك أي احمل أهلك ومن آمن من غيرهم. ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٣٣٠، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٦/٢٠٢٩.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٣٢٠ بسند ضعيف.

(٣) ﴿من كل زوجين اثنين﴾ هنا والمؤمنون فروى حفص ﴿كل﴾ بالتنوين فيهما، وقرأ الباقون بغير تنوين على الإضافة. النشر: ٢/٣٢٥.

﴿قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ثمانين، وقيل: عشرة، وقيل: ثمانية.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾ الضمير في قال لنوح، والخطاب لمن كان معه، والضمير في فيها للسفينة، وروي: أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب واستقرت على الجودي يوم عاشوراء. ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ اشتقاق مجراها من الجري واشتقاق مرساها من الإرساء وهو الثبوت أو من وقوف السفينة، ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو المكان، أو مصدرين ويحتمل الإعراب من وجهين:

أحدهما: أن يكون اسم الله في موضع الحال من الضمير في اركبوا، والتقدير: اركبوا متبركين باسم الله، أو قائلين بسم الله فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها، أو ظرفين للمكان ويكون العامل فيهما في قوله بسم الله من معنى الفعل في موضع خبر، ويكون قوله بسم الله متصلا مع ما قبله والجملة كلام واحد.

والوجه الثاني: أن يكون كلامين فيوقف على اركبوا فيها، ويكون بسم الله في موضع خبر ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر، أي إجراؤها وإرساؤها، ويكون بسم الله على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله ولكنه من كلام نوح حسبما روي أن نوحا كان إذا أراد أن يجري بالسفينة قال بسم الله فتجري، وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتقف[1].

﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ روي أن الماء طبق ما بين السماء والأرض فصار الكل كالبحر قال ابن عطية[2]: وهذا ضعيف وأين كان الموج كالجبال على هذا وصوبه الزمخشري[3]، وقال: كانت تجري في موج كالجبال قبل التطبيق، وقبل أن يغمر الماء الجبال. ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كان اسمه كنعان، وقيل:

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥/٣٣٠.
(٢) المحرر الوجيز: ٣/١٨٨.
(٣) الكشاف: ٢/٣٧٤.

يام وكان له ثلاثة بنون سواه، وهم: سام، وحام، ويافث، ومنهم تناسل الخلق.
﴿فِي مَعْزِلٍ﴾ أي في ناحية.

﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون عاصم اسم فاعل، ومن رحم كذلك بمعنى الراحم، فالمعنى: لا عاصم إلا الراحم وهو الله تعالى.

والثاني: أن يكون عاصم بمعنى ذي عصمة أي معصوم، ومن رحم بمعنى مفعول، أي من رحمه الله فالمعنى لا معصوم إلا من رحمه الله، والاستثناء على هذين الوجهين متصل.

والثالث: أن يكون عاصم اسم فاعل، ومن رحم بمعنى المفعول، والمعنى: لا عاصم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو المعصوم.

والرابع: عكسه والاستثناء على هذين منقطع.

﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ عبارة عن جفوف الأرض من الماء. ﴿أَقْلِعِي﴾ أي أمسكي عن المطر، وروي أنها أمطرت من كل موضع منها. ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ أي نقص. ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي تم وكمل. ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ أي استقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل. ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ أي هلاكا وانتصب على المصدر.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ﴾ يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الغرق فيكون العطف من غير ترتيب أو يكون بعده. ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ أي وقد وعدتني أن تنجي أهلي.

﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم؛ لأنه كافر، وقال الحسن[1]: لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه وكان لغير

(١) الطبري في جامع البيان: ١٥/٣٤١.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلَنِّ مَالَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّيَ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَٰهِلِينَ (٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّيَ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَالَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيَ أَكُن مِّنَ الْخَٰسِرِينَ (٤٧) قِيلَ يَٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٨) تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَٰقَوْمِ لَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِيَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)

رشده، وهذا ضعيف؛ لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزني نساؤهم، ولقوله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحُ ابْنَهُۥ﴾. ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور:

أحدها: أن يكون الضمير في إنه لسؤال نوح نجاة ابنه.

والثاني: أن يكون الضمير لابن نوح وحذف المضاف من الكلام تقديره إنه ذو عمل غير صالح

والثالث: أن يكون الضمير لابن نوح وعمل مصدر وصف به مبالغة كقولك رجل صوم، وقرأ[1] الكسائي عمل بفعل ماض، غير صالح بالنصب، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال.

﴿فَلَا تَسْـَٔلَنِّ مَالَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي لا تطلب مني أمرا لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه، فإن قيل: لم سمي نداءه سؤالا، ولا سؤال فيه؟ فالجواب: أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به. ﴿إِنِّيَ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَٰهِلِينَ﴾ أن في موضع مفعول من أجله تقديره: أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين، وليس في ذلك وصف له بالجهل بل فيه ملاطفة وإكرام.

﴿اهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا﴾ أي اهبط من السفينة بسلامة. ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ أي ممن معك في السفينة، واختار الزمخشري أن يكون المعنى من ذرية من معك، ويعني به المؤمنين إلى يوم القيامة، فمن على هذا لابتداء الغاية، والتقدير على أمم

(١) التيسير، ص: ٨٨.

ناشئة ممن معك، وعلى الأول تكون من لبيان الجنس. ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ يعني نمتعهم متاع الدنيا وهم الكفار إلى يوم القيامة.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ إشارة إلى القصة، وفي الآية دليل على أن القرآن من عند الله؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يعلم ذلك قبل الوحي.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ يعني في عبادتهم لغير الله.

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ السماء هنا المطر ومدرارا بناء تكثير من الدر، يقال: در المطر واللبن وغيره، وفي الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار، وروي[1] أن عادا كان حبس عنهم المطر ثلاث سنين فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الكفر ثم عن الذنوب؛ لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان.

﴿قَالُوا۟ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي بمعجزة وذلك كذب منهم وجحود، أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك وإن كان قد أتاهم بآية نظرية. ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ أي بسبب قولك.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ معناه ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لما سببتها ونهيتنا عن عبادتها. ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ هذا أمر بمعنى التعجيز أي لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شيء، ثم ذكر سبب قوته في نفسه وعدم مبالاته بهم فقال: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ الآية.

﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ أي هي في قبضته وتحت قهره، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله، وعدم

---

(١) لم أجده مسندا ولكن ذكره النحاس في معاني القرآن: ٣/٣٥٧، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٥/٨، وأبو حيان في البحر المحيط: ٥/٢٣٣، والقرطبي في جامع الأحكام: ٩/٥٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٤/١٨٣.

إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ قَالَ إِنِّيَ أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ (٥٤) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٥) فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـٔاً إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٥٦) وَلَمَّا جَا أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٧) وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَاتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٨) وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَاداً كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْداً لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ (٥٩) وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحاً قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ (٦٠) ۞ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوّاً قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ (٦١)

ربع

مبالاته بالخلق. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يريد أن أفعال الله جميلة وقوله صدق، ووعده حق، فالاستقامة تامة ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم﴾ أصل تولوا هنا تتولوا؛ لأنه فعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة، فإن قيل: كيف وقع الإبلاغ جوابا للشرط وقد كان الإبلاغ قبل التولي؟ فالجواب: أن المعنى إن تتولوا فلا عتب علي لأني قد أبلغتكم رسالة ربي.

﴿وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـٔاً﴾ أي لا تنقصونه شيئا أي إذا أهلككم واستخلف غيركم.

﴿وَلَمَّا جَا أَمْرُنَا﴾ إن قيل: لم قال هنا وفي قصة شعيب ولما بالواو، وقال في قصة صالح ولوط فلما بالفاء؟ فالجواب: على ما قال الزمخشري أنه وقع ذلك في قصة صالح ولوط بعد الوعيد فجيء بالفاء التي تقتضي التسبيب، كما تقول: وعدته فلما جاء الميعاد، بخلاف قصة هود وشعيب فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو. ﴿وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة، ولذلك عطفه على النجاة الأولى التي أراد بها النجاة من الريح، ويحتمل أن يريد بالثاني أيضا الريح وكرره إعلاما بأنه عذاب غليظ، وتعديدا للنعمة في نجاتهم.

﴿وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ﴾ في جمع الرسل هنا وجهان:

أحدهما: أن من عصى رسولا واحدا لزمه عصيان جميعهم فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده.

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ (٦٣) وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (٦٤) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ (٦٥) فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ (٦٦) وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٦٧) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ (٦٨) وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ (٧١)

والثاني: أن يراد الجنس، كقولك: فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا.

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ هذا تشنيع لكفرهم وتهويل بحرف التنبيه وبتكرار اسم عاد. ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي هلاكا، وهذا دعاء عليهم، وانتصابه بفعل مضمر، فإن قيل: كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا؟ فالجواب أن المراد أنهم أهل لذلك. ﴿لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ بيان لأن عادا اثنان إحداهما قوم هود، والأخرى إرم ذات العماد.

﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ لأن آدم خلق من تراب. ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي جعلكم تعمرونها، فهو من العمران للأرض، وقيل: هو من العمر نحو استبقاكم من البقاء.

﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ أي كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت، وقيل: معناه: كنا نرجو أن تدخل في ديننا.

﴿فِى دَارِكُمْ﴾ أي بلدكم. ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ قيل: إنها الخميس والجمعة والسبت؛ لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء، وأخذهم العذاب يوم الأحد.

﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ معطوف على نجينا أي نجيناهم من خزي يومئذ.

﴿جَٰثِمِينَ﴾ ذكر في الأعراف.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ أي كأن لم يقيموا فيها والضمير للديار وكذلك في قصة شعيب.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَا﴾ الرسل هنا الملائكة. ﴿إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾ بشروه بالولد. ﴿قَالُواْ سَلَٰماً﴾ نصب على المصدر، والعامل فيه فعل مضمر تقديره: سلمنا عليكم سلاما. ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ تقديره عليكم سلام، أو سلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية، وإنما رفع جوابه ليدل على إثبات السلام فيكون قد حياهم بأحسن مما حيوه، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونصب الأول لأنه بمعنى الطلب، ورفع الثاني لأنه في معنى الخبر. ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ﴾ أي ما لبث مجيئه بل عجل، وما نافية وأن جاء فاعل لبث. ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي مشوي، وفعيل هنا بمعنى مفعول.

﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي أنكرهم ولم يعرفهم، يقال: نكر وأنكر بمعنى واحد ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ قيل: إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه، وقيل: عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف، فأمنوه بقولهم: ﴿لاَ تَخَفْ﴾.

﴿وَامْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ قيل: قائمة خلف الستر، وقيل: قائمة في الصلاة، وقيل: قائمة تخدم القوم، واسمها سارة. ﴿فَضَحِكَتْ﴾ قيل: معناه حاضت وهو ضعيف، وقال الجمهور: هو الضحك المعروف، واختلفوا من أي شيء ضحكت؟ فقيل: سرورا بالولد الذي بشرت به، ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير، وقيل: سرورا بالأمن بعد الخوف، وقيل: سرورا بهلاك قوم لوط ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ﴾ أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى لأنها كانت بأمره. ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ أي من بعده وهو ولده، وقيل: الوراء ولد الولد، ويعقوب بالرفع مبتدأ وبالفتح معطوف على إسحاق.

قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾

﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم، وكذلك في يا لهفي ويا أسفي ويا عجبا، ومعناه التعجب من الولادة، وروى: أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة.

﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ يحتمل الدعاء والخبر. ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي أهل بيت إبراهيم، وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص، أو منادى. ﴿حَمِيدٌ﴾ أي محمود. ﴿مَّجِيدٌ﴾ من المجد، وهو العلو والشرف.

﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ هذا جواب لما على أن يكون المضارع في موضع الماضي، أو على تقدير: ظل أو أخذ يجادلنا، أو يكون يجادلنا مستأنفا، والجواب محذوف، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة في رفع العذاب عن قوم لوط، وقد ذكر في اللغات.

﴿لَحَلِيمٌ﴾ وفي براءة أواه. ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ أي قلنا: يا إبراهيم أعرض عن هذا، يعني عن المجادلة فيهم فقد نفذ القضاء بعذابهم.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ﴾ الرسل هم الملائكة، ومعنى سيء بهم أصابه سوء وضجر لما ظن أنه من بني آدم وخاف عليهم من قومه. ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي شديد.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي يسرعون، وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم

بنزول الأضياف عنده، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث. ﴿وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي كانت عادتهم إتيان الفواحش في الرجال. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ المعنى: فتزوجوهن[1]، وإنما قال ذلك ليقي أضيافه ببناته، وقيل: اسم بنته الواحدة زينا، والأخرى رغوتا، وأن اسم امرأته الهالكة والهة، واسم امرأة نوح والقة.

﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ أي مالنا فيهن أرب. ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ يعنون نكاح الذكور.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ جواب لو محذوف تقديره لو كانت لي قدرة على دفعكم لفعلت ويحتمل أن تكون لو للتمني. ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ معنى آوى ألجأ والمراد بالركن الشديد ما يلجأ إليه من عشيرة وأنصار يحمونه من قومه وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يرحم الله أخي لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد**»[2] يعني إلى الله وملائكته.

﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ الضمير في قالوا للملائكة والضمير في لن يصلوا لقوم لوط وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذ. ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي

---

(١) قال ابن عطية موضحا هذا المعنى: فقالت فرقة: أشار إلى بنات نفسه وندبهم في هذه المقالة إلى النكاح، وذلك على أن كانت سنتهم جواز نكاح الكافر المؤمنة، أو على أن في ضمن كلامه أن يؤمنوا... وقالت فرقة: أشار بقوله ﴿بناتي﴾ إلى النساء جملة إذ نبي القوم أب لهم، ويقوي هذا أن في قراءة ابن مسعود «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم» وأشار أيضا لوط في هذا التأويل إلى النكاح. المحرر الوجيز: ٢٠٩/٣..

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٣٧٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٥١)، والنسائي في الكبرى: ١٢٩٣/٩، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٤٠٢٦)، وأحمد في مسنده: ٣٢٦/٢، والطبري في جامع البيان: ٤١٩/١٥، والطحاوي في المشكل: ٢٩٧/١، وابن حبان في صحيحه: ٨٨/١٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٢٣/١.

اخرج بهم بالليل فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن وقرئ[1] فاسر بوصل الألف وقطعها وهما لغتان يقال: سرى وأسرى. ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ أي قطعة منه. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ نهوا عن الالتفات لئلا تتفطر أكبادهم على قريتهم وقيل يلتفت معناه يلتوي. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ قرئ[2] بالنصب والرفع، فالنصب استثناء من قوله: ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ فيقتضي هذا أنه لم يخرجها مع أهله، والرفع بدل من ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ وروي على هذا أنه أخرجها معه وأنها التفتت وقالت: يا قوماه! فأصابها حجر فقتلها. ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ أي وقت عذابهم الصبح. ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ذكر أنهم لما قالوا إن موعدهم الصبح قال لهم لوط هلا عذبوا الآن، فقالوا له: أليس الصبح بقريب؟.

﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ الضمير للمدائن روي: أن جبريل أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقتلعها، فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب، ثم أرسلها مقلوبة. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ أي على المدائن والمراد أهلها، روى: أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته الحجارة من السماء، وأما من كان في المدائن فهلك لما قلبت. ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ قيل: معناه من ماء وطين، وإنها كانت من الآجر المطبوخ، وقيل: من سجله إذا أرسله، وقيل: هو لفظ أعجمي. ﴿مَّنضُودٍ﴾ أي مضموم بعضه فوق بعض.

﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ معناه معلمة بعلامة، روي: أنه كان فيها بياض وحمرة، وقيل: كان في كل حجر اسم صاحبه. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ الضمير

---

(١) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿فأسر بأهلك﴾ هنا والحجر، وفي الدخان (فأسر بعبادي) وفي طه والشعراء ﴿أن أسر﴾ فقرأ المدنيان وابن كثير بوصل الألف في الخمسة ويكسرون النون من أن للساكنين وصلاً ويبتدئون بكسر الهمزة وقرأ الباقون بقطع الهمزة مفتوحة وهم في السكت والوقف على أصولهم. النشر: ٢/٣٢٧.

(٢) قال الداني: ابن كثير وأبو عمرو ﴿إلا امرأتك﴾ بالرفع، والباقون بالنصب. التيسير، ص: ٨٩.

فَلَمَّا جَا أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨١﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٢﴾ • وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٣﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَ لَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٤﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوَٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيَ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

حزب

للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش، فهذا تهديد لهم أي ليس الرمي بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم، وقيل: الضمير للمدائن، فالمعنى: ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها كقوله: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ﴾، وقيل: إن الظالمين على العموم.

﴿إِنِّيَ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ يعني رخص الأسعار وكثرة الأرزاق.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ يوم القيامة أو يوم عذابهم في الدنيا.

﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته.

﴿أَصَلَوَٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ الصلوات هي المعروفة، ونسب الأمر إليها مجازا كقوله: ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ وَالْمُنكَرِ﴾ والمعنى: أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء. ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان وأن نفعل عطف على أن نترك. ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قيل: إنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء، وقيل: معناه الحليم الرشيد عند نفسك.

﴿وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً﴾ أي سالما من الفساد الذي أدخلتم أنتم في أموالكم، وجواب أرأيتم محذوف يدل عليه المعنى، وتقديره: أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أيصلح لي ترك تبليغ رسالته؟. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا

وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَارْتَقِبُوٓا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ ۞ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِۦ فَاتَّبَعُوٓا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾

ثمن

أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ يقال: خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه، وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ أي لا يكسبنكم عداوتي أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة، وشقاقي فاعل وأن يصيبكم مفعول. ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ يعني في الزمان لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكين إليهم، ويحتمل أن يراد ببعيد في البلاد.

﴿مَا نَفْقَهُ﴾ أي ما نفهم. ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ أي ضعيف الانتصار والقدرة، وقيل: ناحل البدن، وقيل: أعمى. ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ الرهط القرابة والرجم بالحجارة أو بالسب.

﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ﴾ هذا توبيخ لهم، فإن قيل: إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه وأنهم هم الأعزة دونه فكيف طابق جوابه كلامهم؟ فالجواب: أن تهاونهم به وهو رسول الله تهاون بالله فلذلك قال: أرهطي أعز عليكم من الله؟. ﴿وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ الضمير في اتخذتموه لله تعالى أو لدينه وأمره، والظهري ما يطرح وراء الظهر ولا يعبأ به وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب.

﴿وَيَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ تهديد، ومعنى مكانتكم تمكنكم في الدنيا وعزتكم فيها. ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ عذاب الدنيا والآخرة. ﴿وَارْتَقِبُوٓا﴾ تهديد.

يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ۞ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

ربع

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ أي بالمعجزات. ﴿وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي برهان بين.

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ﴾ أي يتقدم قدامهم في النار كما كانوا في الدنيا يتبعونه على الضلال والكفر. ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ الورود هنا بمعنى الدخول، وذكره بلفظ الماضي لتحقق وقوعه.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ عطف على ﴿فِى هَـٰذِهِۦ﴾ فإن المراد به في الدنيا. ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ أي العطية المعطاة.

﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ باق وداثر.

﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ﴾ حجة على التوحيد ونفي الشريك. ﴿تَتْبِيبٍ﴾ أي تخسير.

﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ أي يجمعون فيه للحساب والثواب والعقاب، وإنما عبر باسم المفعول دون الفعل ليدل على ثبوت الجمع لذلك اليوم؛ لأن لفظ مجموع أبلغ من لفظ يجمع. ﴿يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ أي يحضره الأولون والآخرون.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ العامل في الظرف لا تكلم أو فعل مضمر وفاعل يأت ضمير يعود على يوم مشهود، وقال الزمخشري: يعود على الله تعالى كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ ويعضده عود الضمير عليه في قوله بإذنه. ﴿فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ الضمير يعود على أهل الموقف الذين دل عليهم قوله: ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾.

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَآ أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ الزفير إخراج النفس والشهيق رده وقيل: الزفير صوت المحزون، والشهيق صوت الباكي، وقيل: الزفير من الحلق والشهيق من الصدر.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد بها سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة أبدا.

والآخر: أن يكون عبارة عن التأبيد كقول العرب: ما لاح كوكب، وما ناح الحمام، وشبه ذلك مما يقصد به الدوام.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في هذا الاستثناء ثلاثة أقوال؛ قيل: إنه على طريق التأدب مع الله، كقولك إن شاء الله وإن كان الأمر واجبا، وقيل: المراد به زمان خروج المذنبين من النار ويكون ﴿ٱلَّذِينَ شَقُوا﴾ على هذا يعم الكفار والمذنبين، وقيل: استثنى مدة كونهم في الدنيا وفي البرزخ، وأما الاستثناء في أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث دون الثاني.

﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ أي غير مقطوع.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المرية الشك، والإشارة إلى عبدة الأصنام أي لا تشك في فساد دين هؤلاء. ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم﴾ أي هم متبعون لآبائهم تقليدا من غير برهان. ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ يعني من العذاب.

﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ﴾ يعني القدر، وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة فلا يفصل في الدنيا.

﴿وَإِن كُلًّا﴾ قرئ[1] بتشديد إن وبتخفيفها وإعمالها عمل الثقيلة والتنوين في كل عوض من المضاف إليه يعني كلهم، واللام في لما موطئة للقسم وما زائدة، وليوفينهم خبر إن وقرئ[2] ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد على أن تكون إن نافية ولما بمعنى إلا. ﴿لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي جزاء أعمالهم.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ يعني الكفار، وقيل: إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم. ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ مستأنف غير معطوف، وإنما ذكر بثم لبعد النصرة.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ الآية يراد بها الصلوات المفروضة، فالطرف الأول الصبح، والطرف الثاني الظهر والعصر، والزلف من الليل المغرب والعشاء. ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ لفظه عام وخصصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل، روي: أن رجلا قبل امرأة ثم ندم فذكر ذلك للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصلى معه الصلاة فنزلت الآية، فقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أين السائل؟ فقال: ها أنذا فقال: قد غفر لك، فقال الرجل: ألي خاصة أو للمسلمين عامة؟ فقال: بل للمسلمين عامة[3] والآية على هذا مدنية، وقيل: إن الآية كانت

---

(١) قال الداني: الحرميان وأبو بكر: ﴿وإن كلا﴾ باسكان النون والباقون بتشديدها. التيسير، ص: ٨٩.

(٢) قرأعاصم وابن عامر وحمزة ﴿لما ليوفينهم﴾ بتشديد الميم، والباقون بتخفيفها. التيسير المصدر السابق...

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٥٢٦)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٦٣)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣١١٤)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (١٣٩٨)، والنسائي في تفسيره الحديث رقم: (٥٢٤٠)، وأحمد في مسنده: ٣٨٥/١، وابن خزيمة في صحيحه: ٣/٢، والطبري في جامع البيان: ٥١٩/١٥، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٠٥/٤.

وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ۞ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

نصف

سُورَةُ يُوسُفَ

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾

قبل ذلك وذكرها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للرجل مستدلا بها، والآية على هذا مكية كسائر السورة، وإنما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الصلوات أو إلى كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد.

﴿فَلَوْلَا﴾ تحضيض بمعنى هلا. ﴿أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ﴾ أي أولو خير ودين بقي لهم دون غيرهم. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد في الأرض، وقيل: هو متصل فإن الكلام الذي قبله في حكم النفي، كأنه قال: ما كان فيهم من ينهى عن الفساد في الأرض إلا قليلا، على أن الوجه في مثل هذا البدل ويجوز فيه النصب. ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ يعني الذين لم ينهوا عن الفساد.

﴿بِظُلْمٍ﴾ هذا المجرور في موضع الحال من ربك، والمعنى: أنه لا يهلك أهل القرى ظالما لهم، تعالى الله عن ذلك.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ يعني مؤمنة لا خلاف بينهم في الإيمان. ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ يعني في الأديان والملل والمذاهب. ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ قيل: الإشارة إلى الاختلاف، وقيل: إلى الرحمة وقيل: إليهما.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ﴾ انتصب كلا بنقص، وما بدل من كلا. ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ﴾ الإشارة إلى السورة.

﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ ﴿وَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ تهديد لهم وإقامة حجة عليهم.

سورة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يعني القرآن والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين فيكون غير متعد، أو يكون متعديا بمعنى أنه أبان الحق أي أظهره.

﴿لَّعَلَّكُمْ﴾ يتعلق بأنزلناه أو بعربيا.

﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يعني قصة يوسف، أو قصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرا أو اسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أريد به هنا المصدر فمفعول نقص محذوف؛ لأن ذكر القرآن يدل عليه. ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الضمير في قبله للقصص أي من الغافلين عن معرفته، وفي هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعليم.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ العامل فيه اذكر المضمر أو القصص. ﴿يَا أَبَتِ﴾ أي يا أبي والتاء للمبالغة، وقيل: للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم، والتاء عوض من ياء المتكلم. ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ كرر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء في ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل وهو السجود، وتأويل الكواكب في المنام إخوته والشمس والقمر أبواه، وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك.

﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ﴾ إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته فخاف عليه من الحسد.

﴿يَجْتَبِيكَ﴾ يختارك. ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قيل: هي عبارة الرؤيا واللفظ أعم من ذلك. ﴿آلِ يَعْقُوبَ﴾ يعني ذريته.

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

ربع

﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ أي لمن سأل عنها، روي[1] أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، أو أمروا قريشا أن يسألوه عنها، فهم السائلون على هذا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ هو بنيامين وهو أصغر من يوسف، ويقال إنه شقيق يوسف، وكان أصغر أولاد يعقوب. ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي جماعة نقدر على النفع والضر بخلاف الصغيرين والعصبة العشرة فما فوقها إلى الأربعين. ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي في خطإ وخروج عن الصواب بإفراط حبه ليوسف وأخيه.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي لا يشارككم غيره في محبته لكم وإقباله عليكم. ﴿قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ أي بالتوبة والاستقامة، وقيل: هو صلاح حالهم مع أبيهم.

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ هو يهوذا، وقيل: روبيل. ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ غوره وما غاب منه. ﴿ٱلسَّيَّارَةِ﴾ جمع سيار وهم القوم الذين يسيرون في الأرض للتجارة وغيرها. ﴿إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ أي هذا هو الرأي إن فعلتموه.

﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي لم تخاف عليه منا؟ وقرأ السبع تأمنا

---

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٢١٧/٤، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ١٣٤/٩، والواحدي في الوسيط: ٦٠١/٢، ولم أجده مسندا.

بالإدغام والإشمام[١] لأن أصله بضم النون الأولى.

﴿يَرْتَعِ﴾ من قرأه بكسر العين[٢] فهو من الرعي أي من رعى الإبل، أو من رعي بعضهم لبعض وحراسته، ومن قرأه بالإسكان فهو من الرتع وهو الإقامة في الخصب والتنعم، والتاء على هذا أصلية، ووزن الفعل يفعل ووزنه على الأول نفتعل، ومن قرأ يرتع ويلعب بالياء فالضمير ليوسف، ومن قرأ بالنون فالضمير للمتكلمين وهم إخوته، وإنما قالوا نلعب لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء، أوكان اللعب من المباح لتعلم القتال كالمسابقة بالخيل.

﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ أي عزموا وجواب لما محذوف، وقيل: إنه ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾، أو ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ على زيادة الواو. ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ يحتمل أن يكون هذا الوحي بواسطة ملك أو بإلهام والضمير في إليه ليوسف، وقيل: ليعقوب والأول هو الصحيح. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ في موضع الحال من لتنبئنهم، أي لا يشعرون حين تنبئهم فيكون خطابا

---

(١) قال الإمام الداني: وكلهم قرأ ﴿مالك لا تأمنا﴾ بادغام النون الاولى في الثانية واشمامها الضم. التيسير، ص: ٩٠، وقال إمام القراآت في عصره، الشيخ عبد الفتاح القاضي ت: ١٤٠٣هـ ﴿تأمنا﴾ أصله بنونين مظهرتين: الأولى مرفوعة، والثانية مفتوحة، وقد أجمع العشرة على عدم جواز الإظهار في الأولى. واختلفوا بعد ذلك في كيفية القراءة، فقرأ أبو جعفر بإدغامها في الثانية إدغاما محضا، من غير روم ولا إشمام، وقرأ كل من الباقين بوجهين: الأول: إدغامها في الثانية مع الإشمام. والثاني: اختلاس ضمتها، وحينئذ لا يكون فيها إدغام مطلقا؛ لأن الإدغام لا يتأتى إلا بتسكين الحرف المدغم والنون هنا متحركة وإن كانت حركتها غير كاملة فلا تكون مدغمة. والوجهان صحيحان مقروء بهما لجميع القراء إلا أبا جعفر فليس له إلا الإدغام المحض كما سبق. البدور الزاهرة في القراآت العشر المتواترة، ص: ١٧٩، وقال ابن عطية: وقرأ الزهري وأبو جعفر ﴿لا تأمنا﴾ بالإدغام دون إشمام، ورواها الحلواني عن قالون. المحرر الوجيز: ٣/٢٣٦، ونقلت هذه المادة بطولها لكثرة ما يخطأ الناس في قراءة هذا الحرف.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿نرتع ونلعب﴾ فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بالنون فيهما وقرأ الباقون فيهما بالياء وكسر العين من ﴿نرتع﴾ المدنيان وابن كثير وأثبت قنبل فيها من الحالين بخلاف كما تقدم وأسكن الباقون العين. النشر: ٢/٣٣١.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ۞ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو من أوحينا أي لا يشعرون حين أوحينا إليه، فيكون خطابا للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿نَسْتَبِقُ﴾ أي نجري على أقدامنا لننظر أينا يسبق. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ أي بمصدق لمقالتنا. ﴿وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ أي لا تصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق فكيف وأنت تتهمنا، وقيل معناه لا تصدقنا وإن كنا صادقين في هذه المقالة فذلك على وجه المغالطة منهم والأول أظهر.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ أي ذي كذب أو وصف بالمصدر مبالغة، وروي[1] أنهم لطخوا قميصه بدم جدي وقالوا ليعقوب هذا دمه في قميصه، فقال لهم: ما بال الذئب أكله ولم يخرق قميصه؟ فاستدل بذلك على كذبهم. ﴿سَوَّلَتْ﴾ أي زينت. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وعد من نفسه بالصبر، وارتفاعه على أنه مبتدأ تقديره: صبر جميل أمثل، أو خبر مبتدإ تقديره شأني صبر جميل.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ روي أن هؤلاء السيارة من مدين، وقيل: هم أعراب. ﴿وَارِدَهُمْ﴾ الوارد هو الذي يستقي الماء لجماعة، ونقل السهيلي: أن اسم هذا الوارد مالك بن دعر من العرب العاربة، ولم يكن له ولد، فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثني عشر ولدا أعقب كل واحد منهم قبيلة. ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ أي نادى بالبشرى، كقولك: يا حسرة وأضافها إلى نفسه

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥/٥٨١ عن الشعبي وهو صحيح عن الشعبي إلا أنه مرسل.

وقرئ[1] يا بشرى بحذف ياء المتكلم والمعنى كذلك وقيل: على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى، وهذا بعيد، ولما أدلى الوارد الحبل في الجب تعلق به يوسف فحينئذ قال يا بشراي هذا غلام. ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً﴾ ضمير الفاعل للسيارة وضمير المفعول ليوسف، أي أخفوه من الرفقة أو قالوا لهم دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر.

﴿وَشَرَوْهُ﴾ أي باعوه، والضمير أيضا للذين أخذوه، وقيل: الضمير لإخوة يوسف، وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة هذا عبدنا ﴿بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ أي ناقص عن قيمته، وقيل: البخس هنا الظلم. ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عبارة عن قلتها. ﴿وَكَانُوا﴾ الضمير للذين أخذوه، أو لإخوته.

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ﴾ يعني العزيز، وكان حاجب الملك وخازنه وقال السهيلي: اسمه قطفير. ﴿مِن مِّصْرَ﴾ هو البلد المعروف ولذلك لم ينصرف، وكان يوسف قد سيق إلى مصر فنودي عليه في السوق حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا، وقيل: فضة فاشتراه العزيز. ﴿تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قد تقدم. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ في عود الضمير وجهان:

أحدهما: أن يعود على الله، فالمعنى: أنه يفعل ما يشاء لا راد لأمره.

والثاني: أنه يعود على يوسف، أي يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة.

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ قيل: الأشد البلوغ، وقيل: ثمان عشرة سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون، وقيل: أربعون. ﴿حُكْمًا﴾ هي الحكمة والنبوءة.

﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ أي طلبت منه ما يكون من الرجل إلى المرأة، وهي زليخا امرأة العزيز. ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ روي: أنها كانت سبعة

---

(١) ﴿يا بشراي﴾ قرأ الكوفيون ﴿يا بشرى﴾ بغير إضافة، وقرأ الباقون بياء مفتوحة بعد الألف. النشر: ٢/٣٣١.

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِۦ كَذَالِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَاذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾

أبواب. ﴿هِيتَ لَكَ﴾ اسم فعل معناه تعال وأقبل، وقرئ[1] بفتح الهاء وكسرها، وبفتح التاء وكسرها وضمها، والمعنى في ذلك كله واحد، وحركة التاء للبناء، وأما من قرأ بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك: جئت. ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ منصوب على المصدرية، والمعنى أعوذ بالله. ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى أو للذي اشتراه؛ لأن السيد يقال له رب، فالمعنى: لا ينبغي لي أن أخونه. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك في الأول؟ أي الضمير؟.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ أكثر الناس الكلام في هذه الآية حتى ألفوا فيها التآليف، فمنهم مفرط ومفرط، وذلك أن منهم من جعل هم المرأة وهم يوسف من حيث الفعل الذي أرادته، وذكروا في ذلك روايات من جلوسه بين رجليها، وحله التكة، وغير ذلك، مما لا ينبغي أن يقال به، لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه، وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها، وهو بعيد يرده قوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِۦ﴾، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهمه به ليدفعها، وهذا أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام،

---

(١) قال الداني: نافع وابن ذكوان ﴿هيت لك﴾ بكسر الهاء من غير همز وفتح التاء، وهشام كذلك إلا أنه يهمز، وقد روي عنه ضم التاء، وابن كثير بفتح الهاء وضم التاء، والباقون بفتحهما. التيسير، ص: ٩٠.

والصواب إن شاء الله أنها همت به من حيث مرادها، وهم بها كذلك؛ لكنه لم يعزم على ذلك، ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها، بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة، حتى محاها من قلبه، لما رأى برهان ربه، ولا يقدح هذا في عصمة الأنبياء؛ لأن الهم بالذنب ليس بذنب، ولا نقص عليه في ذلك فإنه من هم بذنب ثم تركه كتبت له حسنة. ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِۦ﴾ جوابه محذوف، تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها، وإنما حذف لأن قوله هم بها يدل عليه وقد قيل إن هم بها هو الجواب، وهذا ضعيف؛ لأن جواب لولا لا يتقدم عليها، واختلف في البرهان الذي رآه، فقيل: ناداه جبريل يا يوسف، أتكون في ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء؟، وقيل: رأى يعقوب ينهاه، وقيل: تفكر فاستبصر، وقيل: رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياء منه، فقال: أنا أولى أن أستحيي من الله. ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ﴾ الكاف في موضع نصب متعلقة بفعل مضمر، التقدير: ثبتناه مثل ذلك التثبيت، أو في موضع رفع تقديره: الأمر مثل ذلك. ﴿ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ خيانة سيده والوقوع في الزنا. ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قرئ[1] بفتح اللام حيث وقع أي الذين أخلصهم الله لطاعته وبالكسر أي الذين أخلصوا دينهم لله.

﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ معناه سابق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب فقصد هو الخروج والهروب عنها وقصدت هي أن ترده، فإن قيل: كيف قال هنا الباب بالإفراد وقد قال بالجمع وغلقت الأبواب؟ فالجواب: أن المراد هنا الباب البراني الذي هو المخرج من الدار. ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ أي قطعته من وراء وذلك أنها قبضت قميصه من خلفه لترده فتمزق القميص والقد القطع بالطول والقطع بالعرض. ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ أي وجدا زوجها عند الباب. ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ

---

(١) ﴿المخلصين﴾ حيث وقع، قرأ المدنيان والكوفيون بفتح اللام، وقرأ الباقون بكسر اللام. النشر: ٢/٣٣٢..

بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾ لما رأت الفضيحة عكست القضية وادعت أن يوسف راودها عن نفسها فذكرت جزاء كل من فعل ذلك على العموم ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله في العموم وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها. ﴿مَا جَزَآءُ﴾ يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية.

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ برأ نفسه من دعواها. ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾ قيل: هو ابن عمها، وقيل: كان طفلا في المهد فتكلم، وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها، وأوثق لبراءة يوسف، وكونه لم يتكلم قط ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتقدير: شهد شاهد فقال، أو ضمنت الشهادة معنى القول. ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ لأنها كانت تدافعه فتقد قميصه من قبل.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ لأنها جذبته إلى نفسها حين فر منها فقدت قميصه من دبر.

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ فاعل رأى زوجها، أو الشاهد. ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ﴾ الضمير للأمر أو لقولها ما جزاء.

﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ أي اكتمه ولا تحدث به ويوسف منادى حذف منه حرف النداء؛ لأنه قريب وفي حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته. ﴿وَاسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ خطاب لها وذلك من كلام زوجها، أو من كلام الشاهد. ﴿مِنَ الْخَاطِـِٔينَ﴾ جاء بلفظ التذكير ولم يقل من الخاطئات تغليبا للذكور.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى الْمَدِينَةِ﴾ أي في مصر، روي[1] أنهن خمس نسوة: امرأة الساقي، وامرأة الخباز، وامرأة صاحب الدواب، وامرأة صاحب السجن، وامرأة الحاجب. ﴿فَتَىٰهَا﴾ أي خادمها، والفتى يقال بمعنى الشاب، وبمعنى الخادم.

---

(١) ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٤/٢٣٦ بدون سند.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً
وَءَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا
رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ
هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ
وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ
لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ • قَالَ رَبِّ السِّجْنُ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ
إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ
كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا
رَأَوُا الْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ
قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَىٰنِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْءَاخَرُ إِنِّي أَرَىٰنِي
أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَىٰكَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

ربع

﴿شَغَفَهَا﴾ بلغ شغاف قلبها وهو غلافه، وقيل: السويداء منه، وقيل: الشغاف داء يصل إلى القلب.

﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي بقولهن، وسماه مكرا لأنه كان في خفية، وقيل: كانت قد استكتمتهن سرها فأفشينه عليها. ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ أي أعدت لهن ما يتكأ عليه من الفرش ونحوها، وقيل: المتكأ طعام وقرئ[1] في الشاذ متكا بسكون التاء وتنوين الكاف وهو الأترج، وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج، وقيل: كان لحما. ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ أمر ليوسف وإنما أطاعها لأنه كان مملوك زوجها. ﴿أَكْبَرْنَهُ﴾ أي عظمن شأنه وجماله، وقيل: معنى أكبرن حضن والهاء للسكت، وهذا بعيد جدا. ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ أي اشتغلن بالنظر إليه وبهتن من جماله حتى قطعن أيديهن، وهن لا يشعرن كما يقطع الطعام. ﴿حَاشَ لِلَّهِ﴾ معناه براءة وتنزيه، أي تنزيه لله وتعجب من قدرته على خلقه مثله، وحاش في باب الاستثناء تخفض على أنها حرف، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلا، وأما هنا قال أبو علي الفارسي: إنها فعل والدليل على ذلك من وجهين:

أحدهما: أنها دخلت على لام الجر وهو اللام في قوله: لله، ولا يدخل الحرف على حرف.

---

(١) ذكرها الزمخشري في الكشاف: ٢/٤٣٨.

والآخر: أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة، والحروف لا يحذف منها شيء، وقرأها أبو عمرو بالألف[1] على الأصل، وإنما يحذف من الأفعال كقولك: لم يك، ولا أدر، والفاعل بحاش ضمير يعود على يوسف، تقديره: بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله، وقال الزمخشري: إن حاش وضع موضع المصدر، كأنه قال: تنزيها، ثم قال: لله، ليبين من ينزه، قال: وإنما حذف منه التنوين مراعاة لأصله، من الحرفية. ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ أخرجنه من البشر وجعلنه من الملائكة مبالغة في وصف الحسن. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ توبيخ لهن على اللوم.

﴿فَاسْتَعْصَمَ﴾ أي طلب العصمة، وامتنع مما أرادت منه.

﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي أميل وكلامه هذا تضرع إلى الله.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ أي ظهر والفاعل محذوف، تقديره: رأي والضمير في لهم لزوجها وأهلها، أو من تشاور معه في ذلك. ﴿رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ أي الأدلة على براءته.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ أي شابان، وقيل: هنا محذوف لا بد منه، وهو فسجنوه وكان يوسف قد قال لأهل السجن إني أعبر الرؤيا، فلذلك سأله الفتيان عن منامهما، وقيل: إنهما استعملاها ليجرباه، وقيل: رأيا ذلك حقا. ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ قيل فيه: سمى العنب خمرا بما يؤول إليه، وقيل: هي لغة. ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ قيل معناه في تأويل الرؤيا وقيل إحسانه إلى أهل السجن.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ الآية تقتضي أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم ليجعل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله، وفيه وجهان:

---

(١) التيسير للداني، ص: ٩٠.

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ ۞ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

أحدهما: أنه قال أنه يخبرهما بكل ما يأتيهما في الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما، وذلك من الإخبار بالغيوب الذي هو معجزة الأنبياء.

والآخر: أنه قال لا يأتيكما طعام في المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله في الدنيا.

﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ﴾ روي: أنهما قالا له من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم؟ فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله من قوله: علمني ربي أو يكون استئنافا.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ نسبهما إلى السجن إما لأنهما سكناه، أو لأنهما صاحباه في السجن، كأنه قال: يا صاحبي في السجن. ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ الآية دعاهما إلى توحيد الله وأقام عليهما الحجة رغبة في إيمانهما.

﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً﴾ أوقع الأسماء هنا موقع المسميات، والمعنى سميتم آلهة ما لا يستحق الإلهية، ثم عبدتموها. ﴿مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي حجة وبرهان.

﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ يعني الملك.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ الظن هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين؛ لأن قوله: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ يقتضي ذلك، أو يكون على بابه؛ لأن عبارة الرؤيا ظن.

﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملك. ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ قيل: الضمير ليوسف أي نسي في ذلك الوقت أن يذكر الله، ورجا غيره، فعاقبه الله على ذلك بأن لبث في السجن، وقيل: الضمير للذي نجا منهما، وهو الساقي أي نسي ذكر يوسف عند ربه فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده، والرب على هذا التأويل الملك. ﴿بِضْعَ سِنِينَ﴾ البضع من الثلاثة إلى العشرة، وقيل: إلى التسعة، وروي[1]: أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ سجن خمس سنين أولا، ثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ هو ملك مصر الذي كان العزيز خادما له، واسمه ريان بن الوليد، وقيل: مصعب بن الريان، وكان من الفراعنة، وقيل: إنه فرعون موسى، عمر أربعمائة سنة حتى أدركه موسى، وذلك بعيد. ﴿إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ يعني في المنام. ﴿عِجَافٌ﴾ أي ضعاف في غاية الهزال. ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ خطاب لجلسائه وأهل دولته. ﴿لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ أي تعرفون تأويلها، يقال: عبرت الرؤيا بتخفيف الباء، وأنكر بعضهم التشديد، وهو مسموع من العرب، وأدخلت اللام على المفعول به لما تقدم عن الفعل.

﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات، واحده ضغث، فإن قيل: لم قال أضغاث أحلام بالجمع وإنما كانت الرؤيا واحدة؟ فالجواب: أن هذا كقولك: فلان يركب الخيل، وإن ركب فرسا واحدا.

﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة، أو تأويل الأحلام على الإطلاق، وهو الأظهر.

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ هو ساقي الملك. ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد حين.

---

(١) أخرجه ابن مردويه كما في الدر النثور في التفسير بالمأثور: ٥٤٢/٤، وهو ضعيف جدا.

قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم
بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ
بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾
قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا
قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ
مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ
عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي
بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ
النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ
مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا
عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ
الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ يقدر قبله محذوف لا بد منه، وهو: فأرسلوه فقال يا يوسف، وسماه صديقا لأنه كان قد جرب صدقه في تعبير الرؤيا وغيرها، والصديق مبالغة في الصدق. ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ أي فيمن رأى سبع بقرات وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف، فتعجب كيف غلبتهن، وكيف وسعت في بطونهن، ورأى سبع سنبلات خضر، وقد التفت بها سبع يابسات، حتى غطت خضرتها.

﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ﴾ هذا تعبير للرؤيا، وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين مخصبة، وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة، فكذلك السنبلات الخضر واليابسة ﴿دَأَبًا﴾ بسكون الهمزة وفتحها، مصدر دأب على العمل إذا داوم عليه، وهو مصدر في موضع الحال. ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ﴾ هذا رأي أرشدهم يوسف إليه، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين فعلمهم حيلة يبقى بها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة، وهي أن يتركوه في سنبله غير مدروس، فإن الحبة إذا بقيت في غشائها انحفظت. ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج للأكل خاصة.

﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يعني سبع سنين ذات شدة وجوع. ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي تأكلون فيهن ما اختزنتم من الطعام في سنبله وأسند الأكل إلى السنين مجازا. ﴿مِّمَّا

تُحۡصِنُونَ﴾ أي تخزنون وتخبئون.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ﴾ هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا، وهو الإخبار بالعام الثامن. ﴿يُغَاثُ ٱلنَّاسُ﴾ يحتمل أن يكون من الغيث أي يمطرون، أو من الغوث أي يفرج الله عنهم. ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ أي يعصرون الزيتون والعنب والسمسم، وغير ذلك مما يعصر.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦ﴾ قيل: هنا محذوف، وهو: فرجع الرسول إلى الملك فقص عليه مقالة يوسف فرأى علمه وعقله، فقال: ائتوني به. ﴿قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ﴾ لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه أراد يوسف أن يبرئ نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها، وأن يعلم الملك وغيره أنه سجن ظلما، فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها، فيتبين له الأمر، وكان هذا الفعل من يوسف صبرا وحلما، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعي إلى ذلك بعد طول المدة، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز، رعيا لذمام زوجها وسترا لها، بل ذكر النسوة اللاتي قطعن أيديهن.

﴿قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ﴾ الآية، جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن فسألهن عن قصة يوسف، وأسند المراودة إلى جميعهن لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هي التي راودته وحدها. ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تبرئة ليوسف أو تبرئة لأنفسهن من مراودته، وتكون تبرئة ليوسف بقولهن: ﴿مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾. ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ أي تبين وظهر، ثم اعترفت على نفسها بالحق.

﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ قيل: إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله، والضمير في يعلم وأخنه على هذا ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي ليعلم يوسف أني لم أكذب عليه في حال غيبته، والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها، وقيل: إنه من كلام يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، والضمير للعزيز أي لم أخنه في زوجته في غيبته، بل تعففت

حزب

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

عنها، والإشارة بذلك إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته.

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ اختلفت أيضا: هل هو من كلام امرأة العزيز، أو من كلام يوسف؟ فإن كان من كلامها فهو اعتراف بعد الاعتراف، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه، لا على وجه العزم والقصد، أو قاله في عموم الأحوال على وجه التواضع. ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ﴾ النفس هنا للجنس، والنفوس ثلاثة أنواع: أمارة بالسوء، ولوامة: وهي التي تلوم صاحبها، ومطمئنة ﴿إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ استثناء من النفس إذ هي بمعنى النفوس، أي النفس المرحومة وهي المطمئنة، فما على هذا بمعنى الذي، ويحتمل أن تكون ظرفية أي إلا حين رحمة الله.

﴿أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِىۖ﴾ أي أجعله خاصتي وخلاصتي، قال أولاً: ائتوني به فلما تبين له حاله قال: أستخلصه لنفسي. ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي فلما رأى حسن كلامه، وعرف وفور عقله وعلمه ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، المكين من التمكين، والأمين من الأمانة.

﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به، قال له ذلك، وإنما طلب منه الولاية رغبة منه في العدل وإقامة الحق والإحسان، وكان هذا الملك كافرا، ويستدل بذلك على أنه يجوز

للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال، وقيل: إن الملك أسلم وأراد بقوله ﴿خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مصر، إذ لم يكن للملك غيرها، والخزائن كل ما يخزن من طعام ومال وغير ذلك. ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ صفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط للخزائن، وقيل: حفيظ للحساب عليم بالألسن، واللفظ أعم من ذلك، ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه، ويمدح نفسه بالحق، إذا جهل أمره، وإذا كان في ذلك فائدة.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ الإشارة بذلك إلى ما تقدم من جميل صنع الله به، وروي[1] أن الملك ولاه في موضع العزيز، وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره، وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت فتزوجها يوسف ودعا الله فرد عليها جمالها وشبابها، وأنه باع من أهل مصر في أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى، حتى لم يبق لهم شيء منها ثم بالحلي ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار، ثم برقابهم حتى تملكهم جميعا ثم أعتقهم ورد عليهم أملاكهم. ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ الرحمة هنا يراد بها الدنيا وكذلك الأجر في قوله: ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بدليل قوله بعد ذلك:

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ فأخبر تعالى أن رحمته في الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن وكافر ومطيع وعاص، وأن المحسن لا بد له من أجره في الدنيا، فالأول: في المشيئة، والثاني: واقع لا محالة، ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله للذين آمنوا وكانوا يتقون، وفي الآية إشارة إلى أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة في بلادهم

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥١/١٦ عن ابن إسحاق وهو ضعيف، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٦٥/٣.

فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذي ادخره يوسف. ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ إنما أنكروه لبعد العهد به وتغيير سنه أو لأنه كان متلثما، وروي[1] أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك، وأنه سألهم عن أحوالهم وأخبروه أنهم تركوا أخا لهم، فحينئذ قال لهم: ائتوني بأخ لكم من أبيكم، وهو بنيامين شقيق يوسف.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ الجهاز ما يحتاج إليه المسافر من زاد وغيره والمراد به هنا الطعام الذي باع منهم. ﴿خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ أي خير المضيفين.

﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ أي نفعل ذلك لا محالة.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾ جمع فتى وهو الخادم سواء كان حرا أو عبدا. ﴿ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ أمر أن يجعلوا البضاعة التي اشتروا منه بها الطعام في أوعيتهم. ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾ أي لعلهم يعرفون اليد والكرامة في رد البضاعة إليهم وليس الضمير للبضاعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استئلافهم بالإحسان إليهم.

﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ إشارة إلى قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ﴾ فهو خوف من المنع في المستقبل. ﴿نَكْتَلْ﴾ وزنه نفتعل من الكيل.

﴿مَا نَبْغِى﴾ ما استفهامية ونبغي بمعنى نطلب، والمعنى أي شيء نطلبه بعد هذه الكرامة وهي رد البضاعة مع الطعام، ويحتمل أن تكون ما نافية ونبغي من البغي أي لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك. ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ أي نسوق لهم الطعام. ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ يريدون بعير أخيهم إذ كان يوسف لا يعطي إلا كيل بعير من الطعام لإنسان فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادي عشر لغيبة

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٥٣/١٦ بسند ضعيف.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ۞ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

ثمن

صاحبه حتى يأتي، والبعير الجمل.

﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى أنها قليلة لا تكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير فالمعنى أنه يسير على يوسف أي قليل عنده أو سهل عليه فلا يمنعهم منه.

﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أراد أن يحلفوا له، ولتأتنني به جواب اليمين. ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ أي إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به.

﴿يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين؛ إذ كانوا أهل جمال وهيئة.

﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم﴾ جواب لما، والمعنى أن ذلك لا يدفع ما قضى الله. ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ استثناء منقطع والحاجة هنا هي شفقته عليهم ووصيته لهم.

﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي ضمه. ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ أخبره بأنه أخوه واستكتمه ذلك. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي لا تحزن، وهو من البؤس. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ الضمير لإخوة يوسف ويعني ما فعلوا بيوسف وأخيه، ويحتمل أن يكون لفتيانه أي لا تبالي بما تراه من تحيلي في أخذك.

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ السقاية هي الصواع وهي إناء يشرب بها الملك ويكال بها الطعام، وكان من فضة، وقيل: من ذهب، وقصد بجعله في رحل

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ • قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

ربع

أخيه أن يحتال على إمساكه معه إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المسروق له. ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ أي نادى مناد. ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ أي أيتها الرفقة. ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ خطاب لإخوة يوسف، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما في ذلك من المصلحة من إمساك أخيه، وقيل: إن حافظ السقاية نادى إنكم لسارقون بغير أمر يوسف، وهذا بعيد؛ لتفتيش الأوعية.

﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أي لمن جبره ورده حمل بعير من طعام على وجه الجعل. ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ أي ضامن لحمل البعير لمن رد الصواع، وهذا من كلام المنادي.

﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي استشهدوا بعلمهم لما ظهر لهم من ديانتهم في دخولهم أرضهم حتى أنهم كانوا يجعلون الأكمة في أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ﴾ أي قال فتيان يوسف ما جزاء آخذ الصواع إن كنتم كاذبين في قولكم ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾ فالضمير في قوله ﴿جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ يعود على الأخذ المفهوم من الكلام.

﴿قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ المعنى أن إخوة يوسف أفتوا فيما سئلوا عنه، فقالوا: جزاء السارق أن يستعبد ويؤخذ في السرقة، وأما الإعراب

فيحتمل وجهين:

الأول: أن يكون جزاؤه الأول مبتدأ، ومن مبتدأ ثان وهي شرطية أو موصولة، وخبرها فهو جزاؤه، والجملة خبر جزاؤه الأول.

والوجه الثاني: أن يكون من خبر المبتدإ الأول على حذف مضاف، وتقديره: جزاؤه أخذ من وجد في رحله وتم الكلام، ثم قال: فهو جزاؤه أي هذا الحكم جزاؤه.

و﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّٰلِمِينَ﴾ من كلام إخوة يوسف أي هذا حكمنا في السراق، وقد كان هذا الحكم في أول الإسلام، ثم نسخ بقطع الأيدي.

﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ هذا تمكين للحيلة ورفع للتهمة. ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ ليصح له بذلك إمساكه معه، وإنما أنث الصواع في هذا الموضع؛ لأنه سقاية، أو لأن الصواع يذكر ويؤنث. ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ أي صنعنا له هذا الصنع. ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي في شرعه أو عادته لأنه إنما كان جزاء السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه الغرم، ولكن حكم في هذه القضية بحكم آل يعقوب. ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَن نَّشَآءُ﴾ يعني الرفعة بالعلم بدليل ما بعده. ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ أي فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر، أو الله ﷻ.

﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ الضمير في قالوا لإخوة يوسف، وأشاروا إلى يوسف، ومعنى كلامهم إن يسرق بنيامين فقد سرق أخوه يوسف من قبل، فهذا الأمر إنما صدر من ابني راحيل[1] لأمنا، وقصدوا بذلك رفع المعرة عن

---

(١) قال الزمخشري: روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء، وأقبلوا عليه وقالوا له: ما الذي صنعت؟ فضحتنا وسوّدت وجوهنا، يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء، متى أخذت هذا الصاع؟ فقال: بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء، ذهبتم=

أنفسهم ورموا بها يوسف وشقيقه واختلف في السرقة التي رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال:

الأول: أن عمته ربته فأراد والده أن يأخذه منها وكانت تحبه ولا تصبر عنه فجعلت عليه منطقة لها ثم قالت إنه أخذها فاستعبدته بذلك وبقي عندها إلى أن ماتت.

والثاني: أنه أخذ صنما لجده والد أمه فكسره.

والثالث: أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين.

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ﴾ قال الزمخشري: الضمير للجملة التي بعد ذلك، وهي قوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ والمعنى قال في نفسه أنتم شر مكانا، وقال ابن عطية: الضمير للحرارة التي وجد في نفسه من قولهم: فقد سرق أخ له من قبل، وأسر كراهية مقالتهم ثم جاهرهم بقوله: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ﴾ أي لسوء أفعالكم. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة.

﴿إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ استعطافا وكانوا قد أعلموه بشدة محبة أبيه فيه. ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ على وجه الضمان والاسترهان والانقياد، وهذا هو الأظهر لقوله: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُۥٓ﴾. ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي أحسنت إلينا فيما فعلت معنا من قبل، أو على الإطلاق.

﴿اسْتَيْـَٔسُوا﴾ أي: يئسوا. ﴿خَلَصُوا نَجِيًّاۖ﴾ أي انفردوا عن غيرهم يناجي

= بأخي فأهلكتموه، ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم. واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة، فقيل: كان أخذ في صباه صنماً لجدّه أبي أمّه فكسره وألقاه بين الجيف في الطريق. وقيل: دخل كنيسة فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه. وقيل: كانت في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل. الكشاف: ٢/٤٦٤، وقال ابن منظور: وراحِيلُ: اسم أُمِّ يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام. لسان العرب: ١١/٢٦٥.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْـَٔسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

بعضهم بعضا، والنجي يكون بمعنى المناجي أو مصدرا. ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ قيل: كبيرهم في السن وهو روبيل، وقيل: كبيرهم في الرأي وهو شمعون، وقيل يهوذا. ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ﴾ تحتمل ما وجوها:

الأول: أن تكون زائدة.

والثاني: أن تكون مصدرية ومحلها الرفع بالابتداء تقديره وقع من قبل تفريطكم في يوسف.

والثالث: أن تكون موصولة ومحلها أيضا الرفع كذلك، والأول أظهر.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ يريد الموضع الذي وقعت فيه القصة.

﴿ارْجِعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ﴾ من قول كبيرهم، وقيل: من قول يوسف، وهو بعيد. ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ قرأ الجمهور بفتح الراء والسين، وروي عن الكسائي سرق بضم السين وكسر وتشديد الراء، أي نسبت له السرقة. ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي قولنا لك إن ابنك سرق: إنما هي شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ أي لا نعلم الغيب هل ذلك حق في نفس الأمر أم لا؟ إذ يمكن أن يدس الصواع في رحله من غير علمه، وقال الزمخشري: المعنى ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقته وتيقناه؛ لأن الصواع استخرج من وعائه. ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ أي: ما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق، وقراءة سرق بالفتح

تعضد قول الزمخشري والقراءة بالضم[١] تعضد القول الأول.

﴿وَسْـَٔلِ الْقَرْيَةَ﴾ تقديره: واسأل أهل القرية، وكذلك أهل العير يعنون الرفقة هذا قول الجمهور، وقيل: المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها، ولا يبعد أن تخبره الجمادات لأنه نبي، والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز والقرية هنا هي مصر.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾ قبله محذوف، تقديره: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام، فقال: بل سولت الآية. ﴿بِهِمْ جَمِيعاً﴾ يعني يوسف وأخاه بنيامين وأخاهم الكبير الذي قال لن أبرح الأرض.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ لما لم يصدقهم أعرض عنهم ورجع إلى التأسف ﴿وَقَالَ يَٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ تأسف على يوسف دون أخيه الثاني والثالث الذاهبين؛ لأن حزنه عليه كان أشد لإفراط محبته، ولأن مصيبته كانت السابقة. ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ أي من البكاء الذي هو ثمرة الحزن فقيل إنه عمي، وقيل: إنه كان يدرك إدراكا ضعيفا، وروي عن النبي ﷺ أن يعقوب حزن حزن سبعين ثكلى[٢] وأُعطي أجر مائة شهيد، وما ساء ظنه بالله قط. ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ قيل: إنه فعيل بمعنى فاعل، أي كاظم لحزنه لا يظهره لأحد ولا يشكو إلا لله، وقيل: بمعنى مفعول كقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ أي مملوء القلب بالحزن، أو بالغيظ على أولاده، وقيل: الكظيم الشديد الحزن.

﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا﴾ أي لا تفتؤ، والمعنى لا تزال وحذف حرف النفي لأنه لا

(١) قال ابن عطية: وقرأ ابن عباس وأبو رزين «سرق» بضم السين وكسر الراء وتشديدها، وكأن هذه القراءة فيها لهم تحر ولم يقطعوا عليه بسرقة، وإنما أرادوا جعل سارقا بما ظهر من الحال، ورويت هذه القراءة عن الكسائي، وقرأ الضحاك: «إن ابنك سارق» بالألف وتنوين القاف. المحرر الوجيز: ٣/٢٧٨.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٧٩.

يَٰبَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَايْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ ۞ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتا لكان مؤكدا باللام والنون. ﴿حَرَضاً﴾ أي مشرفا على الهلاك.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيَ إِلَى اللَّهِ﴾ رد عليهم في تفنيدهم له، أي إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا لغيركم، والبث أشد الحزن. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ أي أعلم من لطفه ورأفته ورحمته ما يوجب حسن ظني به وقوة رجائي فيه.

﴿يَٰبَنِيَّ اذْهَبُواْ﴾ يعني إلى الأرض التي تركتم بها أخويكم. ﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أي تعرفوا خبرهما، والتحسس طلب الشيء بالحواس السمع والبصر وإنما لم يذكر الولد الثالث لأنه بقي هناك اختيارا منه ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه. ﴿وَلاَ تَايْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ أي من رحمة الله. ﴿إِنَّهُ لاَ يَايْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ إنما جعل اليأس من صفة الكافر لأن سببه تكذيب بالربوبية أو جهل بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته.

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ أي على يوسف، وقيل: هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر. ﴿الضُّرُّ﴾ يريدون به المجاعة أو الهم على إخوتهم. ﴿بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ﴾ يعنون الدراهم التي جاؤوا بها لشراء الطعام والمزجاة القليلة، وقيل: الرديئة، وقيل: الناقصة، وقيل: إن بضاعتهم كانت عروضا فلذلك قالوا هذا. ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ قيل: يعنون بما بين الدراهم الجياد وبين دراهمهم، وقيل: أوف لنا الكيل

الذي هو حقنا وزدنا على حقنا، وسموا الزيادة صدقة، ويقتضي هذا أن الصدقة كانت حلالا للأنبياء قبل محمد ﷺ، وقيل: تصدق علينا برد أخينا إلينا.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ قال النقاش: هو من المعاريض؛ ذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر لأنهم لم يعرفوه فظنوا أنه على دين أهل مصر، فلو قالوا إن الله يجزيك بصدقتك كذبوا، فقالوا لفظا يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ لما شكوا إليه رق لهم وعرفهم بنفسه، وروي: أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثام[1]، ثم أزال اللثام ليعرفوه، وأراد بقوله: ﴿مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ التفريق بينهما في الصغر، ومضرتهم ليوسف وإذايتهم أخيه من بعده فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه. ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ اعتذار عنهم، فيحتمل أن يريد الجهل بقبح ما فعلوه، أو جهل الشباب.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ قرئ[2] بالاستفهام والخبر، فالخبر على أنهم عرفوه، والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو ولم يحققوه ﴿مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ قيل إنه أراد من يتق في ترك المعصية ويصبر على السجن واللفظ أعم من ذلك.

﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ أي فضلك. ﴿لَخَٰطِـِٔينَ﴾ أي عاصين وفي كلامهم استعطاف واعتراف.

﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ عفو جميل والتثريب التعنيف أو العقوبة وقوله: اليوم راجع إلى ما قبله فيوقف عليه وهو يتعلق بالتثريب أو بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار، قيل: إنه يتعلق بيغفر وذلك بعيد؛ لأنه تحكم على الله، وإنما يغفر دعاء

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٦/٢٢٧، وروي أنه كان يكلمهم وعلى وجهه اللثام، وهو منقطع، علقه البغوي في معالم التنزيل: ٤/٢٧٣.

(٢) ﴿أينك لأنت يوسف﴾ قرأه بهمزة واحدة على الخبر ابن كثير وأبو جعفر، والباقون بهمزتين على الاستفهام. النشر: ١/٤٢١.

فكأنه أسقط حق نفسه بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي﴾ روي[1] أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرج من النار، وكان من ثياب الجنة ثم صار لإسحاق، ثم ليعقوب ثم دفعه يعقوب ليوسف، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذي بمنزلة قميص كل أحد. ﴿يَأْتِ بَصِيرًا﴾ الظاهر أنه علم ذلك بوحي من الله.

﴿فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ أي خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب. ﴿قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ كان يعقوب ببيت المقدس ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة. ﴿لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾ أي تلومونني أو تردون على قولي، وقيل: معناه تقولون ذهب عقلك؛ لأن الفند هو الخرف.

﴿لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ أي في ذهابك عن الصواب بإفراط محبتك في يوسف قديما.

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ روي: أن البشير كان يهوذا لأنه كان جاء بقميص الدم، فقال لإخوته: إني ذهبت إليه بقميص الترحة فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة.

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ وعدهم بالاستغفار لهم، فقيل: سوفهم إلى السحر؛ لأن الدعاء يستجاب فيه، وقيل: إلى ليلة الجمعة.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ هنا محذوفات يدل عليها الكلام، وهي: فرحل

---

(١) ضعيف جدا، علقه البغوي في معالم التنزيل: ٤/٢٧٥، قال ابن عطية في المحرر الوجيز: وهذا كله يحتاج إلى سند والظاهر أنه قميص يوسف الذي هو منه بمنزلة قميص كل أحد، وهكذا تبين الغرابة في أن وجد ريحه من بعد، ولو كان من قمص الجنة لما كان في ذلك غرابة، ولوجده كل أحد. ٣/٢٨٥.

فَلَمَّا أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

ربع

يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف. ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ أي ضمهما وأراد بالأبوين أباه وأمه، وقيل: أباه وخالته؛ لأن أمه كانت قد ماتت وتسمى الخالة على هذا أما. ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ راجع إلى الأمن الذي في قوله آمنين.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ أي على سرير الملك. ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة. ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ يعني حين رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له، وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عاما، وقيل: أربعون. ﴿أَحْسَنَ بِىٓ﴾ يقال أحسن إليه وبه. ﴿إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ إنما لم يقل أخرجني من الجب لوجهين: أحدهما: أن في ذكر الجب خزي لإخوته وتعريفهم بما فعلوه، فترك ذكره توقيرا لهم.

والآخر: أنه خرج من الجب إلى الرق، ومن السجن إلى الملك، فالنعمة به أكثر.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ أي من البادية وكانوا أصحاب إبل وغنم، فعد من النعم مجيئهم للحاضرة ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي أفسد وأغوى ﴿لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ أي لطيف التدبير لما يشاء من الأمور.

﴿مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ من للتبعيض لأنه لم يعطه إلا بعض ملك الدنيا، بل بعض

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ ۞ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْـَٔسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

ملك مصر. ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ لما عدد النعم التي أنعم الله بها عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم، فدعا بالموت، وقيل: ليس ذلك دعاء بالموت، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ﴾ احتجاج على صحة نبوءة محمد ﷺ، بإخباره بالغيوب. ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ تأكيدا لحجته، والضمير لإخوة يوسف. ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا﴾ أي عزموا. ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يعني فعلهم بيوسف.

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين، وقيل: أراد أهل مكة. ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ اعتراض أي لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم.

﴿وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي لست تسألهم أجرا على الإيمان فيثقل عليهم بسبب ذلك، وهكذا معناه حيث وقع.

﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ يعني المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ نزلت في كفار العرب[1] الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره، وقيل: في أهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله،

---

(١) أورده البغوي في معالم التنزيل: ٢٨٣/٤ بدون سند وأورد الطبري في هذا المعنى آثارا مرسلة: ٢٨٦/٦، ولم يذكر أنها سبب نزول.

والمسيح ابن الله.

﴿غَاشِيَةٌ﴾ هي ما يغشى ويعم.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ إشارة إلى شريعة الإسلام. ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي أدعو الناس إلى عبادة الله، وأنا على بصيرة من أمري وحجة واضحة. ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ أنا تأكيد للضمير في أدعو، ومن اتبعني معطوف عليه، و﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ في موضع الحال، وقيل: أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبره، فعلى هذا يوقف على قوله: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وهذا ضعيف. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ تقديره: وأقول سبحان الله.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ رد على من أنكر أن يكون النبي من البشر، وقيل: فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسول من النساء. ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ أي من أهل المدن لا من أهل البوادي، فإن الله لم يبعث رسولا من أهل البادية لجفائهم.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ متصل في المعنى بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ إلى قوله ﴿عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ويأسهم يحتمل أن يكون من إيمان قومهم، أو من النصر، والأول أحسن. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُواْ﴾ قرئ[1] بتشديد الذال وتخفيفها، فأما التشديد فالضمير في ظنوا وفي كذبوا للرسل، والظن يحتمل أن يكون على بابه أو بمعنى اليقين أي علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيئسوا من إيمانهم، وأما التخفيف فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم أي ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة أو من النصرة عليهم.

﴿فِي قَصَصِهِمْ﴾ الضمير للرسل على الإطلاق، أو ليوسف وإخوته. ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ يعني القرآن. ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدم معناه في البقرة.

---

(١) ﴿قد كذبوا﴾ قرأ أبو جعفر والكوفيون بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد. النشر: ٢/٣٣٣.

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُومِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغَشِّي الَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنَ اَعْنَٰبٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنْوَانٍ وَغَيْرِ صِنْوَانٍ تُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰباً اِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٥) أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ الْأَغْلَٰلُ فِيَ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٦)

ربع

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ﴾ أي آيات هذه السورة، ويحتمل أن يريد آيات الكتب على الإطلاق، ويحتمل أن يريد آيات القرآن، وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك.

﴿وَالَّذِيَ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني القرآن، وإعرابه مبتدأ وخبره الحق.

﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ أي بغير شيء تقف عليه، إلا قدرة الله. ﴿تَرَوْنَهَا﴾ قيل: الضمير للسموات فترونها على هذا في موضع الحال أو استئناف، وقيل: الضمير للعمد أي ليس لها عمد مرئية، فيقتضي المفهوم من أن لها عمدا لا ترى، وقيل: إن عمدها هو جبل قاف المحيط بالدنيا، وقال الجمهور: لا عمد لها البتة، فالمراد نفي العمد ونفي رؤيتها. ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ثم هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب وقوع الأمر، فإن العرش كان قبل خلق السموات، وتقدم الكلام على الاستواء في الأعراف. ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يعني أمر الملكوت. ﴿يُفَصِّلُ الْءَايَٰتِ﴾ يعني آيات كتابه.

﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾ يقتضي أنها بسيطة لا كورة وهو ظاهر الشريعة، وقد يترتب لفظ البسط والمد مع التكوير؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها، وإنما التكوير لجملة الأرض. ﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني الجبال الثابتة. ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ يعني صنفين من الثمر كالأسود والأبيض والحلو والحامض، فإن قيل: تقتضي الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين، وقد خلق من كثير من الثمرات أصنافا كثيرة؟

فالجواب: أن ذلك زيادة في الاعتبار وأعظم في الدلالة على القدرة، فذكر الاثنين؛ لأن دلالة غيرهما من باب أولى، وقيل: إن الكلام تم في قوله: ﴿وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ ثم ابتدأ بقوله: ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ﴾ يعني الذكر والأنثى والأول أحسن. ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي يلبسه إياه فيصير له كالغشاء وذلك تشبيه.

﴿قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ﴾ يعني قرى متلاصقة، ومع تلاصقها فإن أرضها تتنوع إلى طيب ورديء وصلب ورخو وغير ذلك، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر. ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ الصنوان هي النخلات الكثيرة ويكون أصلها واحد، وغير الصنوان المفترق فردا فردا، وواحد الصنوان صنو. ﴿تُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ حجة وبرهان على أنه تعالى قادر مريد؛ لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذي تسقى به دليل على القدرة والإرادة وفي ذلك رد على القائلين بالطبيعة.

﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ أي إن تعجب يا محمد فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه، فإن الذي قدر على إنشاء ما ذكرنا من السموات والأرض والثمرات وغير ذلك، قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم. ﴿أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث، واختلف القراء في هذا الموضع وفي سائر المواضع التي فيها استفهامان، وهي أحد عشر موضعا، أولها: هذا، وفي الإسراء موضعان، وفي المؤمنين موضع، وفي النمل موضع، وفي العنكبوت موضع، وفي ألم السجدة موضع، وفي الصافات موضعان، وفي الواقعة موضع، وفي النازعات موضع، فمنهم من قرأ بالاستفهام في الأول والثاني، ومنهم من قرأ بالاستفهام في الأول فقط، وهو نافع، ومنهم من قرأ بالاستفهام في الثاني فقط، وأصل الاستفهام في المعنى، إنما هو عن الثاني في مثل هذا الموضع، فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقا جديدا ولم ينكروا أن يكونوا ترابا، فمن قرأ بالاستفهام في الثاني فقط فهو على الأصل، ومن قرأ بالاستفهام في

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٨) اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٩) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (١٠) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١١) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (١٢) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ (١٣) وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٤)

الأول فإنما القصد بالاستفهام الثاني، ومن قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد.

﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد الأغلال في الآخرة فيكون حقيقة، أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان، كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ فيكون مجازا يجري مجرى الطبع والختم على القلوب.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي بالنقمة قبل العافية، والمعنى أنهم طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف. ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ جمع مثلة على وزن سمرة، وهي العقوبة العظيمة التي تجعل الإنسان مثلا، والمعنى: كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم، أفلا يخافون من مثل ذلك؟. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ يريد ستره وإمهاله في الدنيا للكفار والعصاة، وقيل: يريد مغفرته لمن تاب، والأول أظهر هنا.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية اقترحوا نزول آية على النبي ﷺ، من نزول ملك معه، أو شبه ذلك، ولم يعتدوا[1] بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التي جاء بها، وذلك منهم معاندة. ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ أي إنما عليك إنذارهم، وليس عليك أن تأتيهم بآية، إنما ذلك إلى الله. ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

---

(١) في (أ) ولم يعتبروا.

أحدها: أن يراد بالهادي الله تعالى، فالمعنى: إنما عليك الإنذار والله هو الهادي لمن يشاء إذا شاء.

والوجه الثاني: أن يريد بالهادي النبي ﷺ، فالمعنى: إنما أنت نبي منذر، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم، فليس أمرك ببدع ولا مستنكر.

الثالث: روي أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر وأنت يا علي الهادي»(١).

﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ كقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ وهي من الخمس التي لا يعلمها إلا الله، ويعني: يعلم هل هو ذكر أو أنثى، تام أو مخدج، أو حسن أو قبيح، أو غير ذلك. ﴿وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ معنى تغيض تنقص، ومعنى تزداد من الزيادة، وقيل: إن الإشارة بدم الحيض فإنه يقل ويكثر، وقيل: للولد، فالغيض: السقط أو الولادة لأقل من تسعة أشهر، والزيادة: إبقاؤه أكثر من تسعة أشهر، ويحتمل أن تكون ما في قوله: ﴿مَا تَحْمِلُ﴾ ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾ ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ موصولة أو مصدرية.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ المعنى: إن الله يسمع كل شيء، فالجهر والإسرار عنده سواء، وفي هذا وما بعده تقسيم وهو من أدوات البيان، فإنه ذكر أربعة أقسام، وفيه أيضا مطابقة ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ المعنى: سواء عند الله المستخفي بالليل وهو في غاية الاختفاء، مع السارب بالنهار وهو في غاية الظهور، ومعنى السارب المتصرف في سربه بالفتح أي في طريقه ووجهه، والسارب والمستخفي اثنان قصد التسوية بينهما في اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما، وقيل: إن المستخفي بالليل والسارب بالنهار صفتان

(١) ضعيف، أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٥٧/١٦ قال ابن كثير في تفسيره: ٥٠٢/٢ (هذا الحديث فيه نكارة شديدة).

لموصوف واحد يستخفي بالليل ويظهر بالنهار، ويعضد هذا كونه قال: وسارب فعطفه عطف الصفات ولم يقل ومن هو سارب بتكرار من كما قال: ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ إلا أن جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسر القول ومن جهر به، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا، ويكون قوله وسارب عطف على الجملة وهو قوله: ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ﴾ لا على مستخف وحده.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ المعقبات هنا جماعات الملائكة، وسميت معقبات لأن بعضهم يعقب بعضا، والضمير في ﴿لَهُۥ﴾ يعود على من المتقدمة، كأنه قال: لمن أسر ومن جهر، ولمن استخفى، ولمن ظهر، معقبات، وقيل: يعود على الله، وهو قول ضعيف؛ لأن الضمائر التي بعده تعود على العبد باتفاق. ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ صفة للمعقبات، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله، أو حفظه وحراسته من الآفات. ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ صفة للمعقبات، أي معقبات من أجل أمر الله، أي أمرهم بحفظه، وقرئ[1] بأمر الله، وهذه القراءة تعضد ذلك، ولا يتعلق من أمر الله على هذا بـ ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾، وقيل: يتعلق به على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ والمعنى: أن الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعم حتى يغيروا هم ما بأنفسهم بالمعاصي، فيقتضي ذلك أن الله لا يسلب النعم ولا يترك النقم إلا بالذنوب.

﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ الخوف يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة، والطمع في المطر الذي يكون معه. ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ وصفها بالثقل؛ لأنها تحمل الماء.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ الرعد اسم ملك، وصوته المسموع تسبيح، وقد

(١) قرأ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة: «يحفظونه بأمر الله» المحرر الوجيز: ٣/٣٠٧، والكشاف: ٢/٤٨٧.

لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ (١٥) قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦) أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ (١٨)

جاء في الأثر أن صوته زجر للسحاب، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ قيل: إنه إشارة إلى الصاعقة التي نزلت على أربد الكافر[1] وقتله حين هم بقتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو وأخوه عامر بن الطفيل، واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ يعني الكفار والواو للاستئناف أو للحال. ﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي شديد القوة، والمحال مشتق من الحيلة، فالميم زائدة ووزنه مفعل، وقيل: معناه شديد المكر، من قولك: محل بالرجل إذا مكر به، فالميم على هذا أصلية، ووزنه فعال وتأويل المكر على هذا القول كتأويله في المواضع التي وردت في القرآن.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ قيل هي لا إله إلا الله والمعنى أن دعوة العباد بالحق لله ودعوتهم بالباطل لغيره. ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ يعني بالذين ما عبد من دون الله من الأصنام وغيرها، والضمير في يدعون للكفار، والمعنى: أن المعبودين لا يستجيبون لمن عبدهم. ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ شبه إجابة الأصنام لمن عبدهم بإجابة الماء لمن بسط إليه كفيه وأشار إليه بالإقبال إلى فيه، ولا يبلغ فمه على هذا أبدا؛ لأن الماء جماد لا يعقل المراد، فكذلك الأصنام، والضمير في قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٣١٢/١٠ بسند ضعيف وقال الهيثمي في المجمع: ٤٢/٧ (في إسناده عبد العزيز بن عمران وهو ضعيف).

للماء، وفي ﴿بِبَالِغِهِۦ﴾ للفم.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ من لا تقع إلا على من يعقل، فهي هنا يراد بها الملائكة والإنس والجن، فإذا جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه، فهو عام في الجميع، من شاء منهم ومن أبى، ويكون: طوعا لمن أسلم ورضي، وكرها لمن كره وسخط، وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد فيكون لسجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن طوعا، وأما الكره فهو سجود المنافق وسجود ظل الكافر. ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ معطوف على من، والمعنى أن الظلال تسجد غدوة وعشية، وسجودها انقيادها للتصرف بمشيئة الله، وقيل: سجودها فيئها بالعشي.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ جواب عن السؤال المتقدم وهو: من رب السموات والأرض؟ وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة؛ لأنه أمر واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه، ولذلك أقام به الحجة على المشركين، بقوله: ﴿أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾. ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الأعمى تمثيل للكافر، والبصير تمثيل للمؤمن. ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ الكفر. ﴿وَٱلنُّورُ﴾ الإيمان وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل.

﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أم هنا بمعنى بل والهمزة، وخلقوا صفة لشركاء، والمعنى أن الله وقفهم هل خلق شركاؤهم خلقا كخلق الله؟ فحملهم ذلك واشتباهه بما خلق الله على أن جعلوا إلها غير الله، ثم أبطل ذلك بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ فحصل الرد عليهم.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ الآية، هذا مثل ضربه الله للحق وأهله، والباطل وحزبه، فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية وينتفع به الأرض، وبالذهب والفضة والحديد والصفر وغيرها من

المعادن التي ينتفع بها الناس، وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذي يرمي به السيل، ويزبد تلك المعادن التي يطفو فوقها إذا أذيبت، وليس في الزبد منفعة وليس له دوام. ﴿بِقَدَرِهَا﴾ يحتمل أن يريد ما قدر لها من الماء، ويحتمل أن يريد بقدر ما تحتمله على قدر صغرها وكبرها. ﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ الزبد ما يحمله السيل من غثاء ونحوه، والرابي المنتفخ الذي ربا، ومنه الربوة. ﴿وَمِمَّا تُوقِدُونَ﴾ المجرور في موضع خبر مقدم، والمبتدأ ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ أي ينشأ من الأشياء التي يوقد عليها زبد مثل زبد السيل. ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾ الذي يوقد عليه ابتغاء الحلي هو الذهب والفضة، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والرصاص والنحاس والصفر، وشبه ذلك، والمتاع ما يستمتع به في مرافقهم وحوائجهم. ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ أي يضرب أمثال الحق والباطل. ﴿جُفَاءً﴾ يجفوه السيل أي يرمي به. ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يريد الخالص من الماء ومن تلك الأحجار.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ﴾ الذين استجابوا هم المؤمنون، وهذا استئناف كلام، والحسنى الجنة، وإعرابها مبتدأ وخبرها ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ مبتدأ، وخبره ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، فيوقف على ﴿الْأَمْثَالَ﴾ وعلى ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ وقيل: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ يتعلق بيضرب، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مصدر من معنى ﴿اسْتَجَابُوا﴾، أي استجابوا الاستجابة الحسنى، ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ معطوف على ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾، والمعنى يضرب الله الأمثال للطائفتين، وعلى هذا إنما يوقف على ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾. ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾ أي المناقشة والاستقصاء.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ﴾ تقرير، والمعنى: أسواء من آمن ومن لم يؤمن؟ والأعمى هنا من لم يؤمن بالنبي ﷺ، وقيل: إنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب

حزب

• أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤) وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (٢٧) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨)

رضي الله عنه[1]، وأبي جهل لعنه الله.

﴿يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦ أَن يُوصَلَ﴾ القرابات وغيرها.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾ قيل: يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله، وقيل: يدفعون من أساء إليهم بالتي هي أحسن، والأظهر يفعلون الحسنات فيدرؤون بها السيئات، كقوله: ﴿إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّـَٔاتِ﴾ وقيل: إن هذه الآية نزلت في الأنصار[2] ثم هي عامة في كل من اتصف بهذه الصفات. ﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾ يعني الجنة، ويحتمل أن يريد بالدار: الآخرة، وأضاف العقبى إليها لأنها فيها، ويحتمل أن يريد بالدار: الدنيا، وأضاف العقبى إليها لأنها عاقبتها.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ بدل من عقبى الدار، أو خبر ابتداء مضمر تفسيرا لعقبى الدار. ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ أي من كان صالحا. ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ أي يقولون لهم سلام عليكم. ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ يتعلق بمحذوف، تقديره: هذا بما صبرتم، ويجوز أن يتعلق بسلام، أي يسلم عليكم بما صبرتم.

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية: أوصاف مضادة لما تقدم، وقيل: إنها في الخوارج، والأظهر أنها في الكفار. ﴿سُوءُ الدَّارِ﴾ يحتمل أن يراد بها الدنيا والآخرة.

---

(١) علقه الواحدي في الوسيط: ٣/١٣، وكذا أبو حيان في البحر المحيط: ٥/٣٨٤، وذكره البغوي: ٤/٣٠٩، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/٣١٣.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/٣١٤ بدون سند.

الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾
• كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟
عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا
سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل
لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ
لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا
صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ
فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾
أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ
شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم
بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ
ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

ثمن

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وهذا تفسيره حيث وقع. ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ إخبار في ضمنه ذم وتسفيه لمن فرح بالدنيا، لذلك حقرها بقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ أي قليل بالنظر إلى الآخرة.

﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ خرج به مخرج التعجب منهم لما طلبوا آية، أي قد جاءكم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقرآن، وآيات كثيرة فعميتم عنها، وطلبتم غيرها، وتماديتم على الكفر؛ لأن الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات، وقد يهدي من يشاء دون ذلك.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ بدل من ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ أو خبر ابتداء مضمر و﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بدل ثان أو مبتدأ.

﴿طُوبَىٰ﴾ مصدر من طاب كبشرى، ومعناها أصبت خيرا وطيبا، وقيل: هي شجرة في الجنة، وإعرابها مبتدأ.

﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ الكاف تتعلق بالمعنى الذي في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ مَن يَشَآءُ﴾. ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ قيل: إنها نزلت في أبي جهل[1] وقيل: نزلت في قريش حين عاهدهم رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الحديبية، فكتب

---

(١) ضعيف ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٣١٨/٤، والقرطبي في جامعه: ٣٢٧/٩.

الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال قائلهم: نحن لا نعرف الرحمن[١]، وهذا ضعيف؛ لأن الآية نزلت قبل ذلك، ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط، ومعنى الآية أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم. ﴿مَتَابِ﴾ مفعل من التوبة وهو اسم مصدر.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَاناً سُيِّرَتْ بِهِ اِلْجِبَالُ﴾ الآية جواب لو محذوف، تقديره: لو أن قرآنا على هذه الصفة من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به، فالمعنى كقوله: ﴿لاَ يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ وقيل: تقديره: ولو أن قرآنا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذي هو غاية في التذكير ونهاية في الإنذار، كقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا اَلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً﴾ وقيل: هو متعلق بما قبله، والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال. ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ معناه أفلم يعلم، وهي لغة هوازن. ﴿وَلاَ يَزَالُ اُلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني كفار قريش. ﴿قَارِعَةٌ﴾ يعني مصيبة في أنفسهم وأولادهم وأموالهم، أو غزوات المسلمين إليهم. ﴿أَوْ تَحُلُّ﴾ الفاعل ضمير القارعة، والمعنى: إما أن تصيبهم وإما أن تقرب منهم، وقيل: التاء للخطاب والفاعل ضمير المخاطب وهو النبي ﷺ، والأول أظهر. ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اُللَّهِ﴾ هو فتح مكة، وقيل: قيام الساعة.

﴿وَلَقَدُ اُسْتُهْزِئَ﴾ الآية مقصدها تأنيس وتسلية النبي ﷺ، وهكذا حيث وقع. ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أي أمهلتهم.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ هو الله تعالى أي حفيظ رقيب على عمل كل أحد، والخبر محذوف، تقديره: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعبد أم غيره؟ ويدل على ذلك قوله: ﴿أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾. ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ أي اذكروا أسماءهم. ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي اِلْأَرْضِ﴾ المعنى: أن

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/٣١٦ عن قتادة. بدون سند.

ربع

• مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَٰفِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٢﴾

الله لا يعلم لنفسه شركاء، وإذا لم يعلمهم هو فليسوا بشيء، فكيف تفترون الكذب في عبادتهم وتعبدون الباطل؟ وذلك كقولك: قل لي من زيد؟ أم هو أقل من أن يعرف فهو كالعدم. ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ﴾ المعنى: أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾.

﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ يعني بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك.

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ هنا وفي القتال صفتها وليس بضرب مثل لها، والخبر عند سيبويه محذوف مقدم، تقديره: فيما يتلى عليكم صفة الجنة، وقال الفراء: الخبر مؤخر، وهو: تجري من تحتها الأنهار ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ يعني ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها، والأكل بضم الهمزة المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها والأكل بفتح الهمزة المصدر.

﴿وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني من أسلم من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابه، وقيل: يعني المؤمنين، والكتاب على هذا القرآن. ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ قيل: هم بنو أمية وبنو المغيرة من قريش، والأظهر أنها في سائر كفار العرب، وقيل: هم اليهود والنصارى؛ لأنهم لا ينكرون القصص والأشياء التي في كتبهم، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو مما حرفوه. ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ وجه اتصاله بما قبله أنه جواب

للمنكرين ورد عليهم، كأنه قال: إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده فكيف تنكرون هذا؟ ﴿مَتَابِ﴾ مفعل من الأوب وهو الرجوع أي مرجعي في الآخرة أو مرجعي بالتوبة.

﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً﴾ رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر، أو يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر، من النساء والذرية، فالمعنى: لست ببدع في ذلك بل أنت كمن تقدم من الرسل. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ رد على الذين اقترحوا الآيات. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ قال الفراء: المعنى لكل كتاب أجل بالعكس، وهذا لا يلزم بل المعنى صحيح من غير عكس، أي لكل أجل كتاب كتبه الله في اللوح المحفوظ.

﴿يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ قيل: يعني ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام ويثبت منها ما يشاء، وقيل: هي في آجال بني آدم، وذلك أن الله تعالى قدر في ليلة القدر، وقيل: في ليلة النصف من شعبان بكتب أجل من يموت في ذلك العام فيمحوه من ديوان الأحياء، ويثبت من لا يموت في ذلك العام، وقيل: إن المحو والإثبات على العموم في جميع الأشياء، وهذا ترده القاعدة المتقررة: أن القضاء لا يبدل وأن علم الله لا يتغير، فقال بعضهم: المحو والإثبات في كل شيء، إلا في السعادة والشقاوة الأخروية، والآجال. ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ﴾ إن شرط دخلت عليها ما المؤكدة، وجوابها ﴿فَإِنَّمَا﴾.

﴿أَوَ لَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ الإتيان هنا بالقدرة والأمر، والأرض أرض الكفار، ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها، والمعنى: أولم يروا ذلك فيخافوا أن نمكنك منهم، وقيل: الأرض جنس، ونقصها بموت الناس، وهلاك الثمرات وخراب البلاد، وشبه ذلك ﴿لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ المعقب الذي يكر على الشيء فيبطله.

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

سورة إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ تسمية للعقوبة باسم الذنب. ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ﴾ تهديد والمراد بالكافر الجنس بدليل قراءة الكفار[1] بالجمع، وعقبى الدار الدنيا والآخرة.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أمره الله أن يستشهد الله على صحة نبوءته عليه الصلاة والسلام، وشهادة الله له هي علمه بذلك وإظهاره الآيات الدالة على ذلك. ﴿وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ معطوف على اسم الله على وجه الاستشهاد به، فقيل: المراد عبد الله بن سلام ومن أسلم من اليهود والنصارى، الذين يعلمون صفته ﷺ من التوراة والإنجيل، وقيل: المراد المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوءة، وقيل: المراد الله تعالى فهو الذي عنده علم الكتاب، ويضعف هذا؛ لأنه عطف صفة على موصوف، ويقويه قراءة[2] «ومن عنده» بمن الجارة وخفض عنده.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) ﴿وسيعلم الكفار﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وأبو عمرو ﴿الكافر﴾ على التوحيد، وقرأ الباقون على الجمع. ٢/٣٣٥.

(٢) نسب ابن عطية هذه القراءة لسعيد بن جبير، المحرر الوجيز: ٣/٣٢٣.

سورة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الخطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والظلمات الكفر والجهل، والنور الإيمان والعلم.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أي بأمره. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ بدل من النور.

﴿ٱللَّهِ﴾ قرئ[1] بالرفع وهو مبتدأ، أو خبر مبتدإ مضمر وبالخفض بدل.

﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ أي يؤثرون. ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ قد ذكر.

﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ أي بلغتهم وكلامهم.

﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾ أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ أي عقوبته للأمم المتقدمة، وقيل: إنعامه على بني إسرائيل، واللفظ يعم النعم والنقم وعبر عنها بالأيام؛ لأنها كانت في أيام، وفي ذلك تعظيم لها كقولهم: يوم كذا ويوم كذا.

﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ ذكر هنا بالواو ليدل على أن سوء العذاب غير الذبح، أو أعم من ذلك ثم جرد الذبح كقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ وذكر في البقرة بغير واو تفسير للعذاب.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ من كلام موسى، وتأذن بمعنى أذن أي أعلم، كقولك: توعد وأوعد، وإعلام الله مقترن بإنفاذ ما أعلم به. ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ هذا معمول تأذن لأنه يتضمن معنى قال، ويحتمل أن تكون الزيادة من خير الدنيا أو من الثواب في الآخرة أو منهما. ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ يحتمل أن يريد كفر النعم أو الكفر

---

(١) ﴿الله الذي﴾ قرأ المدنيان وابن عامر برفع الهاء في الحالين، وافقهم رويس في الابتداء خاصة، وقرأ الباقون بالخفض في الحالين. المصدر السابق.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٩﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿١٢﴾ • قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾

ربع

بالإيمان، والأول أرجح لمقابلته بالشكر.

﴿لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ﴾ عبارة عن كثرتهم كقوله: ﴿وَقُرُوناً بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيراً﴾. ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الضمائر لقوم الرسل والمعنى أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم غيظا من الرسل كقوله: ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ أو استهزاء أو ضحكا كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه.

والثاني: أن الضمائر لهم، والمعنى: أنهم ردوا أيديهم في أفواه أنفسهم إشارة على الأنبياء بالسكوت.

والثالث: أنهم ردوا أيديهم في أفواه الأنبياء تسكيتا لهم ودفعا لقولهم.

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ المعنى: أفي وجود الله شك؟ أو أفي إلهيته شك؟، وقيل: في وحدانيته والهمزة للتقرير والتوبيخ؛ لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة، ولذلك وصفه بعد بقوله: ﴿فَاطِرِ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ قيل: إن من زائدة ومنع سيبويه زيادتها في الواجب، وهي عنده للتبعيض، ومعناه أنه يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدم من ذنبه قبل الإسلام، ويبقى ما يذنب بعده في المشيئة فوقعت المغفرة في البعض ولم يأت في القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكافر، كهذا

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

الموضع، والذي في الأحقاف[١]، وسورة نوح[٢]، وجاء للمؤمنين بغير من كالذي في الصف[٣].

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال الزمخشري[٤] وأهل مذهبه من المعتزلة معناه: يؤخركم إن آمنتم إلى آجالكم، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت، وهذا بناء على قولهم بالأجلين، وأهل السنة يأبون هذا، فإن الأجل عندهم واحد محتوم. ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ يحتمل أن يكون قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوءة، أو يكون إحالة لنبوءة البشر، والأول أظهر لطلبهم البرهان في قولهم: ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾. ولقول الرسل: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، أي بالتفضيل بالنبوءة.

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ والمعنى أي شيء يمنعنا من التوكل على الله؟ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ إن قيل: لم كرر الأمر بالتوكل؟ فالجواب عندي أن قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ راجع إلى ما تقدم من طلب

---

(١) الذي في الأحقاف ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣١].

(٢) الذي في سورة نوح: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة نوح آية ٣، ٤].

(٣) ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ [سورة الصف آية ١٢].

(٤) الكشاف: ٦١٨/٤ في تفسير سورة نوح.

الكفار بسلطان مبين، أي حجة ظاهرة فتوكل الرسل في ورودها على الله، وأما قوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فهو راجع إلى قولهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا ءَاذَيْتُمُونَا﴾ أي نتوكل على الله في دفع أذاكم، وقال الزمخشري[1]: إن هذا الثاني في معنى الثبوت على التوكل.

﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ أو هنا بمعنى إلا أن، أو على أصلها لوقوع أحد الشيئين، والعود هنا بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب، ولا يقتضي أن الرسل كانوا في ملة الكفار قبل ذلك.

﴿خَافَ مَقَامِى﴾ فيه ثلاثة أوجه هنا وفي ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ في الرحمن:

فالأول: أن معناه مقام الحساب في القيامة.

والثاني: أن معناه قيام الله على عباده بأعمالهم.

والثالث: أن معناه خافني وخاف ربه على إقحام المقام، أو على التعبير به عن الذات.

﴿وَاسْتَفْتَحُواْ﴾ الضمير للرسل أي استنصروا بالله، وأصله طلب الفتح وهو الحكم. ﴿جَبَّارٍ﴾ أي قاهر أو متكبر. ﴿عَنِيدٍ﴾ مخالف لا ينقاد.

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ في الموضعين، الوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان، وقيل: معناه هنا أمامه وهو بعيد. ﴿وَيُسْقَىٰ﴾ معطوف على محذوف، تقديره: من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى، وإنما ذكر هذا السقي تجريدا بعد ذكر جهنم؛ لأنه من أشد عذابها.

---

(١) لفظه فإن قلت: كيف كرّر الأمر بالتوكل؟ قلت: الأول لاستحداث التوكل، وقوله: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدّم. الكشاف: ٢/٥١١.

• أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَىٰنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ

﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ أي يتكلف جرعه وتصعب عليه إساغته، ونفي كاد يقتضي وقوع الإساغة بعد جهد، ومعنى يسيغه يبتلعه. ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ أي يجد ألما مثل ألم الموت وكربته من جميع الجهات. ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ أي لا يراح بالموت.

﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مذهب سيبويه والفراء فيه كقولهما في مثل الجنة التي في الرعد والقتال، والخبر عند سيبويه محذوف، تقديره: فيما يتلى عليكم، والخبر عند الفراء الجملة التي بعد، والمثل هنا بمعنى الشبيه. ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ﴾ شبهها بالرماد في ذهابها وتلاشيها. ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ أي شديد الريح، والعصوف في الحقيقة من صفة الريح. ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ أي لا يرون له منفعة.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾ أي ظهروا ومعنى الظهور هنا خروجهم من القبور، وقيل: معناه صاروا بالبراز وهي الأرض المتسعة. ﴿تَبَعًا﴾ جمع تابع، أو مصدر وصف به مبالغة، أو على حذف مضاف. ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ من الأولى للبيان، والثانية للتبعيض، ويجوز أن يكونا للتبعيض معا، قاله الزمخشري[1] والأظهر أن الأولى للبيان والثانية زائدة، والمعنى: هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئا من عذاب الله؟ ﴿مَّحِيصٍ﴾ أي مهرب حيث وقع، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسم مكان.

(١) الكشاف: ٢/٥١٥.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ يعني إبليس الأقدم روي[1] أنه يقوم خطيبا بهذا الكلام يوم القيامة، أو في النار يقوله لأهلها. ﴿لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ إن كان كلام إبليس في القيامة بمعنى قضي الأمر تعين قوم للنار وقوم للجنة، وإن كان في النار فمعنى قضي الأمر حصل أهل النار في النار وأهل الجنة في الجنة. ﴿إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ استثناء منقطع. ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ أي ما أنا بمغيثكم وما أنتم مغيثين لي. ﴿بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ﴾ ما مصدرية أي بإشراككم لي مع الله في الطاعة. ﴿مِن قَبْلُ﴾ يتعلق بأشركتمون، ويحتمل أن يتعلق بكفرتم والأول أظهر وأرجح. ﴿إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ استئناف من كلام الله تعالى، ويحتمل أن يكون حكاية عن إبليس.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ يتعلق بأدخل أو بخالدين والأول أحسن.

﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ ابن عباس[2] وغيره هي لا إله إلا الله، وقيل: كل حسنة. ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة في قول الجمهور، واختار ابن عطية: أنها شجرة غير معينة إلا أنها كل ما اتصف بتلك الصفات. ﴿وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ أي في الهواء وذلك عبارة عن طولها. ﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ﴾ الحين في اللغة وقت غير محدود، وقد تقترن به قرينة تحده، وقيل: في كل حين، كل سنة لأن النخلة تطعم كل سنة، وقيل: غير ذلك.

---

(١) الدر المنثور: ١٨/٤ عن ابن المبارك في الزهد بسند ضعيف. والطبري في جامع البيان: ٥٦٢/١٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٢٤٠/٧، والبغوي في معالم التنزيل: ٣٤٥/٤.

(٢) قال ابن جرير حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (كلمة طيبة)، شهادةُ أن لا إله إلا الله (كشجرة طيبة)، وهو المؤمن (أصلها ثابتٌ)، يقول: لا إله إلا الله، ثابتٌ في قلب المؤمن (وفرعها في السماء)، يقول: يُرْفَع بها عملُ المؤمن إلى السماء. جامع البيان: ٥٦٧/١٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٢٤١/٧ بإسناد حسن.

تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ • أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

ربع

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي كلمة الكفر، وقيل: كل كلمة قبيحة. ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ هي الحنظلة عند الجمهور، واختار ابن عطية أنها غير معينة. ﴿اجْتُثَّتْ﴾ أي اقتلعت، وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة وهذا في مقابلة قوله: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾.

﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هو لا إله إلا الله، والإقرار بالنبوءة. ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي إذا فتنوا لم يزلوا. ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ هو عند السؤال في القبر عند الجمهور.

﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ نعمة الله هنا هو محمد ﷺ ودينه، أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها، والتقدير: بدلوا شكر نعمة الله كفرا. ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ أي من أطاعهم واتبعهم. ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ فسرها بقوله جهنم.

﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا﴾ هي جواب شرط مقدر يتضمنه قول قل، تقديره: إن تقل لهم أقيموا يقيموا، ومعمول القول على هذا محذوف، وقيل: جزم بإضمار لام الأمر، تقديره: ليقيموا. ﴿وَلَا خِلَالٌ﴾ من الخلة وهي المودة.

﴿إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ يريد الجنس.

﴿الْبَلَدَ آمِنًا﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَاجْنُبْنِي﴾ أي امنعني والماضي منه جنب، يقال جنب وجنب بالتشديد وأجنب بمعنى واحد. ﴿وَبَنِيَّ﴾ يعني بنيه من صلبه،

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ ءَامِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٧﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٨﴾ رَّبَّنَا إِنِّيَ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٩﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٤٠﴾ • الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٤١﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٢﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٣﴾ وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٤﴾

ثمن

وفيهم أجيبت دعوته، وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام.

﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾ يريد: من عصاه بغير الكفر وبالكفر ثم تاب منه فهو الذي يصح أن يدعى له بالمغفرة، ولكنه ذكر اللفظ بالعموم لما كان عَلَيْهِ السَّلَامُ من الرحمة للخلق وحسن الخلق.

﴿أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي﴾ يعني ابنه إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما ولدته أمه هاجر، غارت منها سارة زوجة إبراهيم، فحمله مع أمه من الشام إلى مكة. ﴿بِوَادٍ﴾ يعني مكة، والوادي ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء. ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ يعني الكعبة، فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء في بعض الروايات، وإما أن يكون إبراهيم قد علم أنه سيبني هناك بيتا. ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ اللام يحتمل أن تكون لام الأمر بمعنى الدعاء، أو لام كي وتتعلق بأسكنت، وجمع الضمير يدل على أنه قد كان علم أن ابنه يعقب هناك نسلا. ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ أي تسير بجد وإسراع، ولهذه الدعوة حبب الله حج البيت إلى الناس، على أنه قال من الناس بالتبعيض، قال بعضهم: لو قال أفئدة الناس، لحجته فارس والروم. ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾ أي ارزقهم في ذلك الوادي مع أنه غير ذي زرع، وأجاب الله دعوته، فجعل مكة تجبى إليها ثمرات كل شيء.

﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ﴾ الآية يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى أو حكاية عن إبراهيم.

﴿وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ روي[1] أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مائة وسبع عشرة عاما، وروي أقل من هذا، وإسماعيل أسن من إسحق.

﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ إن أراد بالدعاء الطلب والرغبة فمعنى القبول الاستجابة، وإن أراد بالدعاء العبادة فالقبول على حقيقته.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ قيل: إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما، والصحيح أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله، حسبما ورد في براءة.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا﴾ هذا وعيد للظالمين وهم الكفار هنا على الأظهر، فإن قيل: لمن هذا الخطاب هنا وفي قوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾؟ فالجواب: أنه يحتمل أن يكون خطابا للنبي ﷺ أو لغيره، فإن كان لغيره فلا إشكال، وإن كان له فهو مشكل لأن النبي ﷺ لا يحسب أن الله غافل، وتأويل ذلك بوجهين:

أحدهما: أن المراد الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغير مخلف وعده.

والآخر: أن المراد إعلامه بعقوبة الظالمين فقصد الكلام الوعيد لهم.

﴿تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ أي تحد النظر من الخوف.

﴿مُهْطِعِينَ﴾ قيل: الإهطاع الإسراع، وقيل: شدة النظر من غير أن يطرف. ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ قيل: الإقناع هو رفع الرأس، وقيل: خفضه من الذلة. ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ أي لا يطرفون بعيونهم من الحذر والجزع. ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ أي منحرفة لا تعي شيئا من شدة الجزع فشبهها بالهواء في تفرغه من الأشياء، ويحتمل أن يريد مضطربة في صدورهم.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٧/١٧ بإسناد ضعيف.

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ يعني يوم القيامة، وانتصاب يوم على أنه مفعول ثان لأنذر، ولا يجوز أن يكون ظرفا. ﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا﴾ تقديره: يقال لهم أولم تكونوا الآية.

﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ هو المقسم عليه، ومعنى من زوال أي من الأرض بعد الموت أي حلفتم أنكم لا تبعثون.

﴿وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ أي جزاء مكرهم. ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ إن هنا نافية واللام لام الجحود والجبال يراد بها الشرائع والنبوءات شبهت بالجبال في ثبوتها، والمعنى: تحقير مكرهم لأنه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة، وقرأ الكسائي[1] لتزول بفتح اللام ورفع تزول، وإن على هذه القراءة مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد، والمعنى تعظيم مكرهم، أي أن مكرهم من شدته تزول منه الجبال، ولكن الله عصم ووقى منه.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾ يعني وعد النصر على الكفار، فإن قيل: هلا قال مخلف رسله وعده، ولم قدم المفعول الثاني على الأول؟ فالجواب: أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا على الإطلاق، ثم قال: ﴿رُسُلَهُ﴾ ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه؟ فقدم الوعد أولا بقصد الإطلاق، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص.

---

(١) قال الإمام الداني: الكسائي ﴿لَتَزُولُ مِنْهُ﴾ بفتح اللام الأولى، ورفع الثانية، والباقون بكسر الأولى ونصب الثانية. التيسير، ص: ٩٥.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ العامل في الظرف ذو انتقام أو محذوف، وتبديل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقي، هكذا ورد في الحديث الصحيح[1] ﴿وَالسَّمَاوَاتُ﴾ تبديلها بانشقاقها وانتشار كواكبها وخسوف شمسها وقمرها، وقيل: تبدل أرضا من فضة وسماء من ذهب، وهذا ضعيف.

﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني الكفار. ﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ أي مربوطين في الأغلال.

﴿سَرَابِيلُهُم﴾ أي قمصهم والسربال القميص. ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾ متعلق بمحذوف أي جعل الله فيه ذلك وهو الذي تهنأ به الإبل، وللنار فيه اشتعال شديد فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ يتعلق بمحذوف أي فعل الله ذلك ليجزي.

﴿هَٰذَا بَلَاغٌ﴾ إشارة إلى القرآن أو إلى ما تضمنته هذه السورة. ﴿وَلِيُنذَرُوا﴾ معطوف على محذوف تقديره لينصحوا به ولينذروا ﴿وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي هذا الذكر لأولي العقول، وهم أهل العلم رضي الله عنهم.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٦٥٢١)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٩٠)، والطبراني في المعجم الكبير: ٥٨٣١/١٦)، وابن حبان في صحيحه: ٣١٢/١٦، والطبري في جامع البيان: ٤٧/١٧، وقوله: كقرصة النقى بفتح النون وكسر القاف: أي الدقيق النقي من الغش والنخال قاله الخطابي. وعفراء بالعين المهملة والمد: أي بيضاء إلى حمرة. فتح الباري: ٣٧٥/١١، والديباج على مسلم: ١٤٩/٦..

سورة الحجر
الآيات ٩٩
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ يحتمل أن يريد بالكتاب الكتب المتقدمة وعطف القرآن عليها، والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات.

﴿رُّبَمَا﴾ قرئ[1] بالتخفيف والتشديد، وهما لغتان وما حرف كافة لرب، ومعنى رب التقليل وقد تكون للتكثير، وقيل: إن هذه منه، وقيل: إنما عبر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكم كقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، و﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾، وقيل: إن معنى التقليل في هذه أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه، فكيف وهم يودونه مرارا كثيرة، ولا تدخل رب إلا على الفعل الماضي، وإنما دخلت هنا على المضارع لأنه في التحقيق كالماضي. ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ قيل: إن ذلك عند الموت، وقيل: في القيامة، وقيل: إذا خرج عصاة المسلمين من النار، وهذا هو الأرجح لحديث[2] روي في ذلك.

﴿ذَرْهُمْ﴾ وما بعده تهديد.

---

(١) قال الداني: قرأ نافع وعاصم ﴿رُّبَمَا﴾ بتخفيف الباء، والباقون بتشديدها. التيسير، ص: ٩٥.

(٢) حديث صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/٢٤٢، والطبراني كما في تفسير ابن كثير: ٢/٥٤٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٢٥٥، والطبري في جامع البيان: ١٧/٦١ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وله عدة شواهد تقويه.

﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي وقت محدود.

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ الضمير في قالوا لكفار قريش، وقولهم نزل عليه الذكر يعنون على وجه الاستخفاف، أي بزعمك ودعواك.

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ لو ما عرض وتحضيض، والمعنى أنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالملائكة معه.

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ رد عليهم فيما اقترحوا، والمعنى: أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحي والمصالح التي يريدها الله، لا باقتراح مقترح ولا باختيار كافر معترض، وقيل: الحق هنا العذاب. ﴿وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ إذا جواب وجزاء، والمعنى: لو أنزل الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار الذين اقترحوا نزولهم؛ لأن من عادة الله أن من اقترح آية فرآها ولم يؤمن، أنه يعجل له العذاب، وقد علم الله أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الذكر هنا هو القرآن، وفي قوله إنا نحن نزلنا الذكر رد لإنكارهم واستخفافهم في قولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾ ولذلك أكده بنحن واحتج عليه بحفظه، ومعنى حفظه حراسته عن التبديل والتغيير، كما جرى في غيره من الكتب، فتولى الله حفظ القرآن فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا تبديله، بخلاف غيره من الكتب فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾.

﴿فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ الشيع جمع شيعة، وهي الطائفة التي تتشيع لمذهب أو رجل.

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ معنى نسلكه ندخله، والضمير في نسلكه يحتمل أن يكون للاستهزاء الذي دل عليه قوله: ﴿بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أو يكون للقرآن أي نسلكه في قلوبهم فيستهزئوا به، ويكون قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ تشبيها للاستهزاء المتقدم، و﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ تفسير لوجه إدخاله في قلوبهم، والضمير في به للقرآن.

﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ أي تقدمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء حتى هلكوا بذلك، ففي الكلام تهديد لقريش.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ الضمائر لكفار قريش المعاندين المختوم عليهم بالكفر، وقيل: الضمير في ظلوا وفي يعرجون للملائكة، وفي قالوا للكفار، ومعنى يعرجون يصعدون، والمعنى: أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا إنها تخييل أو سحر، وقرئ[1] سكرت بالتشديد والتخفيف، ويحتمل أن يكون مشتقا من السكر فيكون معناه أجبرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته، أو من السكر وهو السد فيكون معناه منعت أبصارنا من النظر.

﴿بُرُوجًا﴾ يعني المنازل الاثني عشر.

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ استثناء من حفظ السموات فهو في موضع نصب.

﴿مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ أي مقدر بقصد وإرادة، فالوزن على هذا استعارة، وقيل: المراد ما يوزن حقيقة كالذهب والأطعمة والأول أظهر وأحسن.

﴿وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ﴾ يعني البهائم والحيوانات، ومن معطوف على معايش، وقيل: على الضمير في لكم وهذا ضعيف في النحو لأنه عطف على

---

(١) ﴿سُكِّرَتْ﴾ قرأ ابن كثير بتخفيف الكاف، وقرأ الباقون بتشديدها، النشر: ٢/٣٣٨.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ (١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ (١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥) ● وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١)

ثمن

الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض، وهو قوي في المعنى، أي جعلنا في الأرض معايش لكم وللحيوانات.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾ قيل: يعني المطر، واللفظ أعم من ذلك، والخزائن المواضع الخازنة، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت، وقيل: ذلك تمثيل، والمعنى: وإن من شيء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه. ﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي بمقدار محدود.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ يقال لقحت الناقة والشجرة إذا حملت فهي لاقحة، وألقحت الريح الشجر فهي ملقحة، ولواقح جمع لاقحة لأنها تحمل الماء، أو جمع ملقحة على حذف الميم الزائدة.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الآية، يعني الأولين والآخرين من الناس، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذي ذكر بعد ذلك في قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾ لأنه إذا أحاط بهم علما لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم، وقيل: يعني من استقدم ولادة وموتا، ومن تأخر، وقيل: من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ﴾ الإنسان هنا: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والصلصال الطين اليابس الذي يصلصل أي يصوت، وهو غير مطبوخ فإذا طبخ فهو فخار. ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ الحمأ الطين الأسود، والمسنون المتغير المنتن، وقيل: إنه من أسن

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٍ مَّسۡنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٌ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

ربع

الماء إذا تغير، والتصريف يرد هذا القول، وموضع من حمإ صفة لصلصال أي صلصال كائن من حمإ.

﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ﴾ يراد به جنس الشياطين، وقيل: إبليس الأول، وهذا أرجح لقوله: ﴿مِن قَبۡلُ﴾ وتناسلت الجن من إبليس، وهو للجن كآدم للناس.

﴿ٱلسَّمُومِ﴾ شدة الحر.

﴿خَٰلِقُۢ بَشَرٗا﴾ يعني آدم عَلَيۡهِ السَّلَامُ.

﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ يعني الروح التي في الجسد، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة ملك إلى مالك، أي من الروح الذي هو لي وخلق من خلقي، وتقدم الكلام على سجود الملائكة في البقرة.

﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي من الجنة أو من السماء.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ يقتضي إقراره بالربوبية وأن كفره كان بوجه غير الجحود، وهو اعتراضه على الله في أمره بالسجود لآدم.

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ اليوم الذي طلب إبليس أن ينظر إليه هو يوم القيامة، ويوم الوقت المعلوم الذي أنظر إليه هو يوم النفخ في الصور النفخة الأولى، حين يموت من في السموات ومن في الأرض، وكان سؤال إبليس الإنظار إلى يوم القيامة جهلا منه ومغالطة إذ سأل ما لا سبيل إليه؛ لأنه لو أعطي ما سأل لم يمت أبدا لأنه لا يموت أحد بعد البعث، فلما سأل ما لا سبيل إليه أعرض الله عنه

وأعطاه الانتظار إلى النفخة الأولى.

﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ الباء للسببية أي لأغوينهم بسبب إغوائك لي، وقيل: للقسم كأنه قال: بقدرتك على إغوائي لأغوينهم، والضمير لذرية آدم.

﴿قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ القائل لهذا هو الله تعالى، والإشارة بهذا إلى نجاة المخلصين من إبليس، وأنه لا يقدر عليهم أو إلى تقسيم الناس إلى غوي ومخلص.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس، فيكون قوله إلا من اتبعك استثناء متصلا، أو يريد بالعباد المخلصين فيكون الاستثناء منقطعا.

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ الضمير للغاوين.

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ روي[1] أنها سبعة أطباق في كل طبقة باب، فأعلاها للمذنبين من المسلمين، والثاني: لليهود، والثالث: للنصارى، والرابع: للصابئين، والخامس: للمجوس، والسادس: للمشركين، والسابع: للمنافقين.

﴿ادْخُلُوهَا﴾ تقديره: يقال لهم ادخلوها، والسلام يحتمل أن يكون التحية أو السلامة.

﴿إِخْوَانًا﴾ يعني أخوة المودة والإيمان. ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ أي يقابل بعضهم بعضا في الأسرة.

﴿نَصَبٌ﴾ أي تعب. ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾ الآية أي أعلمهم والآية آية ترجية وتخويف.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ضيف هنا واقع على جماعة وهم الملائكة

---

(١) أوله صحيح عن علي موقوفا، أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/١٠٦، والبيهقي في الشعب، وأما آخره فهو ضعيف، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٢٦٥.

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشَّرْنَٰكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ ءَالَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

الذين جاءو إلى إبراهيم بالبشرى.

﴿وَجِلُونَ﴾ أي خائفون، والوجل: الخوف.

﴿لَا تَوْجَلْ﴾ أي لا تخف.

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق[1].

﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ﴾ المعنى أبشرتموني بالولد مع أنني قد كبر سني وكان حينئذ ابن مائة سنة وقيل أكثر.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ قال ذلك على وجه التعجب من ولادته في كبره أو على وجه الاستبعاد لذلك، وقرئ[2] تبشرون بتشديد النون وكسرها على إدغام نون الجمع في نون الوقاية، وبالكسر والتخفيف على حذف إحدى النونين وبالفتح وهي نون الجمع.

﴿قَالُوا بَشَّرْنَٰكَ بِالْحَقِّ﴾ أي باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه.

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ دليل على تحريم القنوط وقرئ[3] يقنط بفتح النون وكسرها، وهما لغتان.

---

(١) الصحيح أنه إسماعيل. وقد جئنا بدليل ذلك في موضعه.

(٢) ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونِ﴾ فقرأ نافع وابن كثير بكسر النون وفتحها الباقون وشددها ابن كثير، وقرأ الباقون بتخفيفها. النشر: ٢/٣٣٩.

(٣) ﴿يَقْنَطُ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي وكذا يعقوب وخلف بكسر النون وافقهم اليزيدي والحسن والأعمش، والباقون بفتحها. إتحاف فضلاء البشر للدمياطي، ص: ٣٨٧..

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي ما شأنكم وبأي شيء جئتم.

﴿إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعنون قوم لوط.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ يحتمل أن يكون استثناء من قوم لوط فيكون منقطعا لوصف القوم بالإجرام ولم يكن آل لوط مجرمين، ويحتمل أن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كأنه قال: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط فلم يجرموا.

﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ استثناء من آل لوط فهو استثناء من استثناء، وقال الزمخشري: إنما هو استثناء من الضمير المجرور في قوله: ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾ وذلك هو الذي يقتضيه المعنى. ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الغابر يقال بمعنى الباقي وبمعنى الذاهب، وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم وهو لله وحده لما لهم من القرب والاختصاص بالله لا سيما في هذه القضية كما يقول خاصة الملك: دبرنا كذا، ويحتمل أن يكون حكاية عن الله.

﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي لا نعرفهم.

﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي جئناك بالعذاب لقومك ومعنى يمترون يشكون فيه.

﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ أي كن خلفهم وفي ساقتهم حتى لا يبقى منهم أحد وليكونوا قدامه فلا يشتغل قلبه بهم ولو كانوا وراءه لاشتغل لخوفه عليهم. ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ تقدم في هود. ﴿وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قيل: هي مصر، وقيل: حيث هنا للزمان إذ لم يذكر مكان.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ هو من القضاء والقدر، وإنما تعدى بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا، وقيل: معناه أعلمناه بذلك الأمر. ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ﴾ هذا تفسير لذلك الأمر، ودابر القوم أصلهم، والإشارة إلى قوم لوط. ﴿مُّصْبِحِينَ﴾

قَالَ هَٰؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ ثمن • وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

في الموضعين أي إذا أصبحوا ودخلوا في الصباح.

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ المدينة هي سدوم، واستبشار أهلها بالأضياف طمعا أن ينالوا منهم الفاحشة. ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كانوا قد نهوه أن يضيف أحدا.

﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ﴾ دعاهم إلى تزويج بناته ليقي بذلك أضيافه.

﴿لَعَمْرُكَ﴾ قسم، والعمر الحياة ففي ذلك كرامة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الله أقسم بحياته، أو قيل هو من قول الملائكة للوط وارتفاعه بالابتداء وخبره محذوف تقديره لعمرك قسمي واللام للتوطئة. ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الضمير لقوم لوط وسكرتهم ضلالهم وجهلهم ويعمهون أي يتحيرون.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ أي صيحة جبريل وهي أخذه لهم. ﴿مُشْرِقِينَ﴾ أي داخلين في الشروق وهو وقت بزوغ الشمس، وقد تقدم تفسير ما بعد هذا من قصتهم في هود.

﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ أي للمتفرسين، ومنه فراسة المؤمن، وقيل: للمعتبرين وحقيقة التوسم النظر إلى السيمة.

﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ أي بطريق ثابت يراه الناس، والضمير للمدينة المهلكة.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ﴾ أصحاب الأيكة قوم شعيب، والأيكة: الغيضة من الشجر لما كفروا أضرمها الله عليهم نارا.

﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ الضمير في إنهما قيل: إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب، فالإمام على هذا الطريق أي إنهما بطريق واضح يراه الناس، وقيل: الضمير للوط وشعيب، أي إنهما على طريق من الشرع واضح، والأول أظهر.

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ﴾ هم ثمود قوم صالح، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام. ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدا منهم، وفي ذلك تأويلان:

أحدهما: أن من كذب واحدا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق من التوحيد.

والثاني: أنه أراد الجنس كقولك فلانا يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ يعني الناقة، وما كان فيها من العجائب.

﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتاً﴾ النحت: النقر بالمعاويل وشبهها، في الحجر والعود وشبه ذلك، وكانوا ينقرون بيوتهم في الجبال.

﴿ءَامِنِينَ﴾ يعني آمنين من تهدم بيوتهم لوثاقتها، وقيل: آمنين من عذاب الله.

﴿إِلاَّ بِٱلْحَقِّ﴾ يعني أنها لم تخلق عبثا. ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ قيل: إن الصفح الجميل هو الذي ليس معه عقاب ولا عتاب، وفي الآية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعاً مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ قيل: يعني أم القرآن لأنها سبع آيات، وقيل: يعني السور السبع الطوال؛ وهي: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والأنفال مع براءة، والأول أرجح لوروده في

الحديث[1] ، والمثاني: مشتق من التثنية وهي التكرير؛ لأن الفاتحة تكرر قراءتها في الصلاة ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها، وقيل: هو مشتق من الثناء، لأن فيها ثناء على الله، ومن يحتمل أن تكون للتبعيض، أو لبيان الجنس، وعطف القرآن على السبع المثاني لأنه يعني ما سواها من القرآن فهو عموم بعد الخصوص.

﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أي لا تنظر إلى ما متعناهم به في الدنيا ومعنى الآية تزهيد في الدنيا، كأنه يقول: قد آتيناك السبع المثاني والقرآن العظيم فلا تنظر إلى الدنيا فإن الذي أعطيناك أعظم منها. ﴿أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ﴾ يعني أصنافا من الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تتأسف لكفرهم. ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أي تواضع ولن. ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ والجناح هنا استعارة.

﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ الكاف من كما متعلقة بقوله: أنا النذير أي أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذي أنزل على المقتسمين، وقيل متعلق بقوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين. واختلف في المقتسمين فقيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه فاقتسموا إلى قسمين، وقيل هم قريش اقتسموا أبواب مكة في الموسم فوقف كل واحد منهم على باب يقول أحدهم هو شاعر ويقول الآخر هو ساحر وغير ذلك.

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ أي أجزاء وقالوا فيه أقوالا مختلفة. وواحد عضين عضة، وقيل: هو من العضه وهو السحر والعاضه الساحر والمعنى على هذا قالوا أنه سحر، والكلمة محذوفة اللام ولامها على القول الأول واو وعلى الثاني هاء.

---

(١) صحيح في البخاري وغيره، وقد تقدم تخريجه من حديث أبي هريرة، وحديث أبي سعيد بن المعلى في المقدمات.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربع

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان؟ فالجواب: أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ وأن السؤال المنفي هو على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي صرح به وأنفذه.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ يعني قوما من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعي النبي ﷺ وكانوا خمسة؛ الوليد بن المغيرة، والعاصي بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن غيطلة، وقصة هلاكهم مذكورة في السير[1]، وقيل هم: الذين قتلوا ببدر؛ كأبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعقبة بن معيط أي وغيرهم والأول أرجح لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ تسلية للنبي ﷺ وتأنيس.

﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي الموت.

*** *** ***

(١) ابن كثير: ٢/٦٩١.

سورة النحل

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قيل: يعني القيامة، وقيل: النصر على الكفار، وقيل: عذاب الكفار في الدنيا ووضع الماضي موضع المستقبل لتحقق وقوع الأمر ولقربه، وروي[1] أنها لما نزلت وثب رسول الله ﷺ قائما، فلما قال: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ سكن.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ أي بالنبوءة، وقيل: بالوحي.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ أي من نطفة المني والمراد جنس الإنسان. ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه.

والثاني: يخاصم في ربه ودينه وهذا في الكفار والأول أعم.

﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ أي ما يتدفأ به، يعني ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب، ويحتمل أن يكون قوله لكم متعلقا بما قبله أو بما بعده، ويختلف الوقوف باختلاف ذلك. ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ يعني شرب ألبانها، والحرث بها، وغير ذلك. ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن يريد بالمنافع ما عدا الأكل فيكون الأكل أمرا زائدا عليها، أو يريد بالمنافع الأكل وغيره ثم جرد ذكر الأكل لأنه أعظم المنافع.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ الجمال حسن المنظر، وحين تريحون يعني حين تردونها بالعشي إلى المنازل، وحين تسرحون حين تردونها

---

(١) أورده الواحدي في أسبابه معلقا، ص: ٢٣٤، والبغوي في معالم التنزيل: ٥/٧ بدون إسناد عن ابن عباس.

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

بالغداة إلى الرعي، وإنما قدم تريحون على تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشي أكثر لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروعها حافلة.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ يعني الأمتعة وغيرها، وقيل: أجساد بني آدم. ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ﴾ أي إلى أي بلد توجهتم، وقيل: يعني مكة. ﴿بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ أي بمشقة.

﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ استدل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير[1]، لكونه علل خلقتها بالركوب والزينة دون الأكل، ونصب زينة على أنه مفعول من أجله وهو معطوف على موضع لتركبوها. ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عبارة على العموم، أي أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها، وكل من ذكر في هذه الآية شيئا مخصوصا فهو على وجه المثال.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة وبعث الرسل، والمراد بالسبيل هنا الجنس، ومعنى القصد: القاصد الموصل، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف. ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ الضمير في منها يعود على السبيل، إذ المراد به الجنس، ومعنى الجائر الخارج عن الصواب، أي ومن الطريق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم.

---

(١) وهو استنباط حسن لولا الحديث الصحيح، فقد ذهب الشافعية والحنابلة، وقول للمالكية: إلى إباحة أكل لحم الخيل، لحديث جابر، قال: «نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية، ورخص في لحوم الخيل». فتح الباري: ٩/٦٤٨.

ثمن

• وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿مَاءً لَّكُم﴾ يحتمل أن يتعلق لكم بأنزل أو يكون في موضع خبر لشراب أو صفة لماء. ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ يعني ما ينبت بالمطر من الشجر. ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي ترعون أنعامكم.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك. ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي أصنافه وأشكاله.

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ يعني الحوت. ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ يعني الجواهر والمرجان. ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ جمع ماخرة، يقال: مخرت السفينة، والمخر شق الماء، وقيل: صوت جرى الفلك بالرياح. ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ يعني في التجارة، وهو معطوف على لتأكلوا.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ الرواسي الجبال، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت، وأن تميد في موضع مفعول من أجله، والمعنى أنه ألقى الجبال في الأرض لئلا تميد الأرض، وروي[1] أن الله لما خلق الأرض جعلت تميد، فقالت الملائكة لا يستقر على ظهر هذه أحد، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال. ﴿وَأَنْهَارًا﴾ قال ابن عطية: أنهارا منصوب بفعل مضمر، تقديره: وجعل أو خلق أنهارا، قال وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن ألقى أخص من جعل وخلق، ولو كانت ألقى بمعنى خلق لم يحتج إلى هذا الإضمار. ﴿وَسُبُلًا﴾ يعني الطرق.

﴿وَعَلَامَاتٍ﴾ يعني ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك،

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨٣/١٧، وهو حديث ضعيف.

وهو معطوف على أنهارا وسبلا، قال ابن عطية: هو نصب على المصدر أي لعلكم تعتبرون وعلامات أي عبرة وأعلاما. ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني الاهتداء بالليل في الطرق، والنجم هنا جنس، وقيل: المراد الثريا والفرقدان، فإن قيل: قوله ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ مخرج عن سنن الخطاب، وقدم فيه النجم كأنه يقول: وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون، فمن المراد بهم؟ فالجواب: أنه أراد قريشا؛ لأنهم كان لهم في الاهتداء بالنجوم في سيرهم علم لمن يكن لغيرهم، فكان الاعتبار ألزم لهم فخصصوا قال ذلك الزمخشري.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ تقرير يقتضي الرد على من عبد غير الله، وإنما عبر عنهم بمن لأن فيهم من يعقل ومن لا يعقل أو مشاكلة لقوله: أفمن يخلق.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته، ولذلك أعقبها بقوله: أفمن يخلق كمن لا يخلق، وفيها أيضا تعداد لنعمه على خلقه، ولذلك أعقبها بقوله: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، ثم أعقب ذلك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي يغفر لكم التقصير في شكر نعمه.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ نفى عن الأصنام صفات الربوبية، وأثبت لهم أضدادها، وهي أنهم مخلوقون غير خالقين، وغير أحياء، وغير عالمين بوقت البعث، فلما قام البرهان على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده، فقال: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ أي لم تكن لهم حياة قط ولا تكون، وذلك أغرق في موتها ممن تقدمت له حياة ثم مات ثم يعقب موته حياة. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ الضمير في يشعرون للأصنام، وفي يبعثون للكفار الذين عبدوهم، وقيل: إن الضميرين للكفار.

﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ أي تنكر وحدانية الله ﷻ .

﴿لَا جَرَمَ﴾ أي لا بد ولا شك، وقيل: إن (لا) نفي لما تقدم، وجرم معناه وجب أو حق، وأن فاعلة بجرم.

﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي ما سطره الأولون، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتب تواريخ، وكان يقول: إنما يحدث محمد بأساطير الأولين، وحديثي أجمل من حديثه، و﴿مَّاذَا﴾ يجوز أن يكون اسما واحدا مركبا من ما وذا ويكون منصوبا بأنزل، أو أن تكون ما استفهامية في موضع رفع بالابتداء، وذا بمعنى الذي، وفي أنزل ضمير محذوف.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾ اللام لام العاقبة والصيرورة، أي قالوا أساطير الأولين، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم ويحتمل أن تكون للأمر. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حال من المفعول في يضلونهم أو من الفاعل.

﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ الآية، قيل: المراد بالذين من قبلهم نمروذ، فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه، فلما علا فيه فرسخين هدمه الله وخر سقفه عليه، وقيل: المراد بالذين من قبلهم كل من كفر من الأمم المتقدمة ونزلت به عقوبة الله، فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل.

﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ توبيخ للمشركين وأضاف الشركاء إلى نفسه، أي على زعمكم ودعواكم وفيه تهكم بهم. ﴿الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَآقُّونَ فِيهِمْ﴾ أي تعادون من أجلهم، فمن قرأ[1] بكسر النون فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله ﷻ ، ومن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف، تقديره: تعادون المؤمنين من أجلهم. ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هم الأنبياء والعلماء من كل أمة، وقيل: يعني الملائكة، واللفظ أعم من ذلك.

---

(١) ﴿تُشَآقُّونِ فِيهِمْ﴾ قرأ نافع بكسر النون وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٣٤١/٢..

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)

ربع

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٤)

﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ حال من الضمير المفعول في تتوفاهم. ﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾ أي استسلموا للموت. ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ﴾ أي قالوا ذلك، ويحتمل قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصاما به، كقولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم في أنفسهم فلم يقصدوا الكذب، ولكنه كذب في نفس الأمر. ﴿بَلَىٰ﴾ من قول الملائكة للكفار، أي قد كنتم تعملون السوء.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين، قابل ذلك بمقالة المؤمنين، **فإن قيل**: لم نصب جواب المؤمنين وهو قولهم خيرا، ورفع جواب الكافرين وهو أساطير الأولين؟ **فالجواب**: أن قولهم خيرا منصوب بفعل مضمر، تقديره: أنزل خيرا، ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله، وأما أساطير الأولين فهو خبر ابتداء مضمر، تقديره: هو أساطير الأولين، فلم يعترفوا بأن الله أنزله، فلا وجه لنصبه ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا؛ لأن قولهم أساطير الأولين يقتضي التكذيب بأن الله أنزله، والنصب بفعل مضمر يقتضي التصديق بأن الله أنزله؛ لأن تقديره: أنزل، **فإن قيل**: يلزم مثل هذا في الرفع؛ لأن تقديره: هو أساطير الأولين، فهو غير مطابق للسؤال الذي هو ماذا أنزل ربكم؟، **فالجواب**: أنهم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين ولم ينزله الله.
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ ارتفع حسنة بالابتداء وللذين خبره،

وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴿٣٥﴾ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴿٣٦﴾ إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ﴿٣٧﴾ ۞ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿٣٨﴾ ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ﴿٣٩﴾ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴿٤٠﴾ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴿٤١﴾ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴿٤٢﴾

ثمن

والجملة بدل من خيرا وتفسير للخير الذي قالوه، وقيل: هي استئناف كلام الله تعالى لا من كلام الذين قالوا خيرا.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بنعم فيكون مبتدءا، وخبره فيما قبله، أو خبر ابتداء مضمر، ويحتمل أن يكون مبتدءا وخبره يدخلونها، أو مضمر تقديره: لهم جنات عدن.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظرون والضمير للكفار و﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يعني لقبض أرواحهم. ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ يعني قيام الساعة، أو العذاب في الدنيا.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي أصابهم جزاء سيئات ما عملوا. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي أحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون، وهذا تفسيره حيث وقع.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم، أي أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه، والرد عليهم بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضاه على من يشاء من عباده، ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في الآخرة على وجه التمني فإن لو تكون للتمني، والمعنى على هذا: أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره، ولم يحرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ قرئ[1] بضم الياء من يهدي وفتح الدال على البناء للمفعول، أي لا يهدي غير الله من يضله الله وقرئ يهدي بفتح الياء وكسر الدال والمعنى على هذا لا يهدي الله من قضى بإضلاله. ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ الضمير عائد على من يضل لأنه في معنى الجمع.

﴿بَلَىٰ﴾ رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت أي أنه يبعثه.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ اللام تتعلق بما دل عليه بلى أي يبعثهم ليبين لهم وهذا برهان على البعث فإن الناس مختلفون في أديانهم ومذاهبهم فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ﴾ الآية برهان أيضا على البعث لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ﴾ يعني الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعد هذا، وقيل: نزلت[2] في أبي جندل بن سهيل، وخبره مذكور في السير في قصة الحديبية، وهذا بعيد؛ لأن السورة نزلت قبل ذلك. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وعد أن ينزلهم بقعة حسنة وهي المدينة التي استقروا بها، وقيل: إن حسنة صفة لمصدر أي نبوئنهم تبوئة حسنة، وقرئ[3] لنثوينهم بالثاء من الثواء.

---

(١) ﴿لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر: لا يهدى برفع الياء وفتح الدال، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿لَا يَهْدِي﴾ بفتح الياء وكسر الدال، ولم يختلفوا في يضل أنها مرفوعة الياء مكسورة الضاد. السبعة لابن مجاهد، ص: ٣٧٢.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٣٥٦/٢، والطبري في جامع البيان: ٢٠٧/١٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٢٨٣/٧.

(٣) قال ابن عطية: وقرأ الجمهور ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾ وقرأ ابن مسعود، ونعيم بن ميسرة، والربيع بن خثيم، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، «لنثوينهم»، وهاتان اللفظتان معناهما التقرير.. المحرر الوجيز: ٣٩٤/٣.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤) أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٤٧) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ (٥٠) ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤)

حزب

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ وصف للذين هاجروا، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتا أو على تقدير: هم الذين، أو أمدح الذين.

﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ رد على من استبعد أن يكون الرسول من البشر. ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني أحبار اليهود والنصارى، أي لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر.

﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ يتعلق بـ ﴿أَرْسَلْنَا﴾ الذي في أول الآية على التقديم والتأخير في الكلام، أو بأرسلنا مضمرا أو بـ ﴿يُوحَىٰ﴾ أو بـ ﴿تَعْلَمُونَ﴾. ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ يعني القرآن. ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يحتمل أن يريد لتبين القرآن بسردك نصه، وتعليمه للناس، أو لتبين معانيه بتفسير مشكله، فيدخل في هذا ما بينته السنة من الشريعة.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ يعني كفار قريش عند جمهور المفسرين، والسيآت تحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد به الأعمال السيئات أي المعاصي فيكون ﴿مَكَرُوا﴾ يتضمن معنى عملوا.

والآخر: أن يريد بمكر السيئات أي مكرهم بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون المكر على بابه.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ يعني في أسفارهم. ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي

بمفلتين حيث وقع.

﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه على تنقص، أي ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئا بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة، ولهذا أشار بقوله: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ لأن الأخذ هكذا أخف من غيره، وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف في الآية[1] حتى قال له رجل من هذيل: التخوف التنقص في لغتنا.

والوجه الثاني: أنه من الخوف، أي يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه، وذلك خلاف قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ﴾ معنى الآية اعتبار بانتقال الظل، ويعني بقوله: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ الأجرام التي لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان وغير ذلك، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى، ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس، وقوله يتفيأ من الفيء، وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غدوة، وقال رؤبة بن العجاج: يقال بعد الزوال ظل وفيء، ولا يقال قبله إلا ظل، ففي لفظة يتفيأ هنا تجوز ما لوقوع الخصوص في موضع العموم؛ لأن

---

(١) رُوي أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: توقف في معناها، فقال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا، فقام شيخ من هذيل، فقال: هذه لغتنا، التخوف: التنقص. فقال: هل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ فقال: نعم. قال شاعرنا أبو كثير يصف ناقته:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبعةِ السَّفَنُ

فقال عمر: عليكم بديوانكم؛ لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم. هـ. اللباب: ١٢/٦٥، وتفسير أبي السعود: ٥/١١٧، والبيضاوي: ١/٤٠٠.

المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره، فوضع يتفيأ موضع ينتقل أو يميل، والضمير في ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ يعود على ما أو على شيء. ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ يعني عن الجانبين أي يرجع الظل من جانب إلى جانب، واليمين بمعنى الأيمان، واستعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام، فإن اليمين والشمائل إنما هما في الحقيقة للإنسان. ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ حال من الظلال، وقال الزمخشري: حال من الضمير في ظلاله، إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾ فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام، واختلف في معنى هذا السجود، فقيل: عبر به عن الخضوع والانقياد، وقيل: هو سجود حقيقة. ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ أي صاغرون، وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ يحتمل أن يكون من دابة بيان لما في السموات وما في الأرض معا؛ لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب، ويحتمل أن يكون بيانا لما في الأرض خاصة، وإنما قال ما في السموات وما في الأرض ليعم العقلاء وغيرهم، ولو قال من في السموات لم يدخل في ذلك غير العقلاء، قاله الزمخشري. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إن كان قوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ بيانا لما في السموات والأرض فقد دخل الملائكة في ذلك، وكرر ذكرهم تخصيصا لهم بالذكر وتشريفا، وإن كان من دابة لما في الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة في ذلك فعطفهم على ما قبلهم.

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ هذا إخبار عن الملائكة، وهو بيان نفي الاستكبار، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة، أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها، وقيل: معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم.

﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ وصف إلهين باثنين تأكيدا وبيانا للمعنى، وقيل: إن اثنين مفعول أول، وإلهين مفعول ثان، فلا يكون في الكلام تأكيد. ﴿فَإِيَّٰىَ

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ۞ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

ثمن

فَارْهَبُونِ﴾ خرج من الغيبة إلى التكلم لأن الغائب هو المتكلم، وإياي مفعول بفعل مضمر، ولا يعمل فيه فارهبون؛ لأنه قد أخذ معموله.

﴿وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا﴾ أي واجبا وثابتا، وقيل: دائما وانتصابه على الحال من الدين.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو للحال، فيكون الكلام متصلا بما قبله، أي كيف تتقون غير الله وما بكم من نعمة فمنه وحده؟. ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾ أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ اللام لام الأمر على وجه التهديد، لقوله بعدها: ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فعلى هذا يبتدأ بها، وقيل: هي لام العاقبة فعلى هذا توصل بما قبلها؛ لأنها في الأصل لام كي وذلك بعيد في المعنى، والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله: ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أو كفر الجحود والشرك، لقوله: ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾. ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ يريد التمتع في الدنيا وذلك أمر على وجه التهديد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ الضمير في يجعلون لكفار العرب فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبا من ذبائحهم وغيرها، والمراد بقوله لما لا يعلمون للأصنام، والضمير في لا يعلمون للكفار، أي لا يعلمون ربوبيتهم

ببرهان ولا بحجة، وقيل: الضمير في لا يعلمون للأصنام أي لأشياء غير عالمة، وهذا بعيد.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ إشارة إلى قول الكفار: إن الملائكة بنات الله، ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك بقوله: ﴿سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ المعنى: أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون، يعني بذلك الذكور من الأولاد، وأما الإعراب فيجوز أن يكون ما يشتهون مبتدءا وخبره المجرور قبله، وأن يكون مفعولا بفعل مضمر، تقديره: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون، وأن يكون معطوفا على البنات، على أن هذا يمنعه البصريون؛ لأنه من باب ضربتني[1] وكان يلزم عندهم أن يقال لأنفسهم.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ إخبار عن حال العرب في كراهتهم البنات، وظل هنا يحتمل أن تكون على بابها أو بمعنى صار، والسواد عبارة عن العبوس والغم، وقد يكون معه سواد حقيقة وكظيم قد ذكر في يوسف.

﴿يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي يستخفي من أجل سوء ما بشر به. ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ المعنى: يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التي بشر بها على هوان وذل لها، أو يدفنها في التراب حية، وهي الموءودة وهذا معنى يدسه في التراب.

﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ أي صفة السوء من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص. ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ أي الوصف الأعلى من الغنى عن كل شيء والنزاهة عن صفات المخلوقين.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ﴾ يعني لو يعاقبهم في الدنيا. ﴿بِظُلْمِهِم﴾ أي بكفرهم ومعاصيهم. ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ الضمير للأرض. ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ يعني بني آدم وغيرهم،

---

(١) المحرر الوجيز: ٣/٤٠٢.

وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نَّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) ۞ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٧١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢)

ربع

وهذا يقتضي أن تهلك الحيوانات بذنوب بني آدم، وقد ورد ذلك في الأثر، وقيل: يعني بني آدم خاصة.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني البنات. ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾ أن بدل من الكذب، والحسنى هنا قيل هي الجنة، وقيل: ذكور الأولاد. ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرِطُونَ﴾ بكسر الراء[1] والتخفيف من الإفراط أي متجاوزون الحد في المعاصي، أو بفتح الراء والتخفيف من الفرط أي معجلون إلى النار وبكسر الراء والتشديد من التفريط.

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾ يحتمل أن يريد باليوم وقت نزول الآية أو يوم القيامة.

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ معطوفان على موضع لنبين وانتصبا على أنهما مفعول من أجله أي لأجل البيان والهدى والرحمة.

﴿نَّسْقِيكُم﴾ بفتح النون وضمها لغتان يقال: سقى، وأسقى. ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ الضمير للأنعام وإنما ذكر لأنه مفرد بمعنى الجمع كقولهم ثوب أخلاق لأنه اسم جنس وإذا أنث فهو جمع نعم. ﴿مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ الفرث: هي ما في الكرش من الغدد، والمعنى: أن الله يخلق اللبن متوسطا بين الفرث والدم يكتنفانه ومع ذلك فلا يغيران له لونا ولا طعما ولا رائحة، ومن في قوله ﴿مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾

---

(١) ﴿مُفْرِطُونَ﴾ قرأ المدنيان بكسر الراء، وقرأ الباقون بفتحها، وشددها أبو جعفر، وخففها الباقون.
النشر: ٢/٣٤٢.

للتبعيض قوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ﴾ لابتداء الغاية. ﴿سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ يعني سهلا للشرب حتى قيل: لم يغص أحد قط باللبن.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ﴾ المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره: نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أي من عصيرها، ويدل عليه نسقيكم الأول، أو يكون من ثمرات معطوف على مما في بطونها أو يتعلق من ثمرات بتتخذون وكرر منه توكيدا أو يكون تتخذون صفة لمحذوف تقديره شيئا تتخذون. ﴿سَكَرٗا﴾ يعني الخمر ونزل ذلك قبل تحريمها فهي منسوخة بالتحريم، وقيل: إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التي في الخمر ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم فلا نسخ، وقيل: السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والرب، والرزق الحسن العنب والتمر والزبيب.

﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ الوحي هنا بمعنى الإلهام فإن الوحي على ثلاثة أنواع: وحي كلام، ووحي منام، ووحي إلهام. ﴿أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾ أن مفسرة للوحي الذي أوحى إلى النحل وقد جعل الله بيوت النحل في هذه الثلاثة الأنواع إما في الجبال وكواها وإما في متجوف الأشجار وإما فيما يعرش بنو آدم من الأجباح والحيطان ونحوها، ومن في المواضع الثلاثة للتبعيض لأن النحل إنما تتخذ بيوتا في بعض الجبال وبعض الشجر وبعض الأماكن، وعرش: معناه هيأ أو بنى، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب.

﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ عطف كلي على اتخذي ومن للتبعيض، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار، وقيل: المعنى من كل الثمرات التي تشتهيها. ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ يعني الطرق في الطيران وأضافها إلى الرب لأنها ملكه وخلقه. ﴿ذُلُلٗا﴾ أي مطيعة منقادة، ويحتمل أن يكون حالا من السبل، قال مجاهد[1]: لم

---

(١) صحيح أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٤٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٢٩٠.

يتوعر قط على النحل طريق أو حالا من النحل أي منقادة لما أمرها الله به. ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾ يعني العسل. ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُۥ﴾ أي منه أبيض وأصفر وأحمر. ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ الضمير للعسل؛ لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل، كالمعاجين، والأشربة النافعة من الأمراض، وكان ابن عمر يتداوى به من كل شيء[1] فكأنه أخذه على العموم، وعلى ذلك الحديث عن النبي ﷺ أن رجلا جاء إليه فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلا، فذهب ثم رجع، فقال: قد سقيته فما نفع، قال: فاذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فشفاه الله ﷻ[2].

﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ أي إلى أخسه وأحقره وهو الهرم، وقيل: حده خمسة وسبعون عاما، وقيل: ثمانون، والصحيح أنه لا يحصر إلى مدة معينة، وأنه يختلف بحسب الناس. ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ اللام لام الصيرورة، أي يصير إذا هرم لا يعلم شيئا بعد أن كان يعلم قبل الهرم، وليس المراد نفي العلم بالكلية بل ذلك عبارة عن قلة العلم لغلبة النسيان، وقيل: المعنى لئلا يعلم زيادة على علمه شيئا.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾ الآية في معناها قولان:

أحدهما: أنها احتجاج على الوحدانية كأنه يقول أنتم لا تسوون بين أنفسكم وبين مماليككم في الرزق ولا تجعلونهم شركاء لكم، فكيف تجعلون عبيدي شركاء لي؟.

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: ١٤٥/٥ عن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان لا يشكو قرحة ولا شيئا إلا جعل عليه عسلا فقلنا له: تداوي الدمل بالعسل؟ قال: أليس يقول الله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

(٢) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٥٦٨٤)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٢١٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٠٨٢)، والنسائي في الكبرى: ١٦٣/٤، وأحمد في مسنده: ١٩/٣، والطبري في جامع البيان: ٢٥٠/١٧.

والآخر: أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء في الحديث: «**أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون**»[1] والأول أرجح

﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الجحد هنا على المعنى الأول إشارة إلى الإشراك بالله وعبادة غيره، وعلى المعنى الثاني إشارة إلى بخس[2] المماليك فيما يجب لهم من الإنفاق.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ يعني الزوجات، ومن أنفسكم يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقتكم، أو يريد أن حواء خلقت من ضلع آدم، وأسند ذلك إلى بني آدم لأنهم من ذريته. ﴿وَحَفَدَةً﴾ جمع حافد قال ابن عباس[3]: هم أولاد البنين، وقيل: الأصهار، وقيل: الخدم، وقيل: البنات، إلا أن اللفظ لا يدل عليهم، والحفدة في اللغة الخدمة.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآية توبيخ للكفار، ورد عليهم في عبادتهم للأصنام وهي لا تملك لهم رزقا، وانتصب رزقا لأنه مفعول بيملك، ويحتمل أن يكون

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٣٠) و(٢٥٤٥)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٦٦١)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٥١٥٧)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٩٤٥)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٣٦٩٠)، وأحمد في مسنده: ١٥٨/٥ من طريق: المعرور بن سويد، قال: مررنا بأبي ذر بالربذة عليه برد وعلى غلامه مثله، قال...: فسألته عن ذلك، فذكر أنه ساب رجلا على عهد رسول الله ﷺ فعيره بأمه، فأتى الرجل النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ: إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليكسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه...

(٢) في المطبوعات و(ف): (جنس).

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٥٧/١٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٢٩١/٧ بإسناد صحيح.

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ • أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

ثمن

مصدرا أو اسما لما يرزق، فإن كان مصدرا فإعراب ﴿شَيْئًا﴾ مفعول به؛ لأن المصدر ينصب المفعول، وإن كان اسما فإعراب شيئا بدل منه. ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ الضمير عائد على ما لأن المراد به الإلٓهية، ونفي الاستطاعة بعد نفي الملك لأن نفيها أبلغ في الذم.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ الآية مثل لله تعالى وللأصنام، فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له الملك وبيده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام؟ وإنما قال: ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾؛ لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور، كالمكاتب والمأذون له. ﴿وَمَن رَّزَقْنَاهُ﴾ من هنا نكرة موصوفة والمراد بها من هو حر قادر، كأنه قال: وحرا رزقناه ليطلق عبدا، ويحتمل أن تكون موصولة. ﴿هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ أي هل يستوي العبيد والأحرار، الذين ضرب لهم المثل. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكر لله على بيان هذا المثال ووضوح الحق. ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني الكفار.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ الآية مثل لله تعالى وللأصنام كالذي قبله، والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين وإثبات الوحدانية لله تعالى، وقيل: إن الرجل الأبكم أبو جهل، والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر، والأظهر عدم التعيين. ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾ الكل الثقيل، يعني أنه عيال على وليه، أو سيده وهو مثل للأصنام، والذي يأمر بالعدل هو الله تعالى.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بيان لقدرة الله على إقامتها، وأن ذلك يسير عليه، كقوله: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، وقيل: المراد سرعة إتيانها.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الأمهات جمع أم زيدت فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل، وقرئ[1] بضم الهمزة وبكسرها إتباعا للكسرة قبلها.

﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ أي في الهواء البعيد من الأرض.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ السكن مصدر يوصف به، وقيل: هو فعل بمعنى مفعول ومعناه ما يسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ يعني الأدم من القباب وغيرها. ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ أي تجدونها خفيفة. ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ يعني في السفر والحضر واليوم هنا بمعنى الوقت ويقال ظعن الرجل إذا رحل وقرئ[2] ظعنكم بفتح العين وإسكانها تخفيفا. ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ الأصواف للغنم، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز والبقر. ﴿أَثَاثًا﴾ الأثاث متاع البيت من البسط وغيرها،

---

(١) ﴿بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ كسر حمزة الهمز والميم من ﴿بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وصلا والكسائي الهمزة فقط. إتحاف فضلاء البشر، ص: ٣٥٢.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿ظَعَنِكُمْ﴾ بفتح العين، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي ﴿ظَعْنِكُمْ﴾ بسكون العين، وهما لغتان وليس بتخفيف. التيسير، ص: ٩٦.

وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر، تقديره: جعل. ﴿وَمَتَاعاً إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي إلى وقت غير معين، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتفنى، أو إلى أن تموت.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالاً﴾[1] نعمة عددها الله عليهم بالظل؛ لأن الظل مطلوب في بلادهم محبوب لشدة حرها، ويعني بما خلق من الشجر وغيرها. ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً﴾ الأكنان جمع كن وهو ما يقي من المطر والريح وغير ذلك، ويعني بذلك الغيران والبيوت المنحوتة في الجبال. ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ السرابيل هي الثياب من القمص وغيرها، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد؛ لأن وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم، وقيل: لأن ذكر أحدهما يغني عن ذكر الآخر. ﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يعني دروع الحديد.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إشارة إلى ما ذكر من النعم من أول السورة إلى هنا والضمير في يعرفون للكفار وإنكارهم لنعم الله إشراكهم به وعبادة غيره، وقيل: نعمة الله هنا نبوءة محمد ﷺ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً﴾ أي يشهد عليهم بإيمانهم وكفرهم ﴿ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي لا يؤذن لهم في الاعتذار. ﴿وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي لا يسترضون وهو من العتبى بمعنى الرضى.

﴿وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو بمعنى النظر أي لا ينظر الله إليهم.

﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ الضمير في القول للمعبودين والمعنى: أنهم كذبوهم في قولهم أنهم كانوا يعبدونهم كقولهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا

(١) قال ابن عطية هنا: نعم عددها الله عليهم بحسب أحوالهم وبلادهم، وأنها الأشياء المباشرة لهم لأن بلادهم من الحرارة وقهر الشمس بحيث للظل غناء عظيم ونفع ظاهر.. المحرر الوجيز: ٤١٦/٣.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ • إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

ربع

﴿تَعْبُدُونَ﴾ فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب: أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله لا في العبادة.

﴿وَأَلْقَوْاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ﴾ أي استسلموا له وانقادوا.

﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ روي[1]: أن الزيادة في العذاب هي حيات وعقارب كالبغال تلسعهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ يعني بالعدل فعل الواجبات وبالإحسان المندوبات وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود[2]: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى. ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك في العدل والإحسان، ولكنه جرده بالذكر اهتماما به. ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ قيل: يعني الزنا واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ هو أعم من الفحشاء لأنه يعم جميع المعاصي. ﴿وَٱلْبَغْيِ﴾ يعني الظلم.

﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾ هذا في الأيمان التي في الوفاء بها خير، وأما ما كان

---

(١) في تفسير ابن مسعود ﴿عذابا فوق العذاب﴾ حيات وعقارب لها أنياب مثل النخل الطوال. تفسير ابن أبي حاتم ص٣٥٠.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٩/١٣٢، وعبد الرزاق في المصنف: ٣/٣٧٠، والحاكم في المستدرك: ٢/٣٥٦، والطبري في جامع البيان: ١٧/٢٨٠، والبخاري في الأدب المفرد: ١/٥٧٠ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

تركه أولى فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه كما جاء في الحديث[١] أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان في حق غيره أو معاهدة لغيره. ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ أي رقيبا ومتكفلا بوفائكم بالعهد، وقيل: إن هذه الآية نزلت[٢] في بيعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيل[٣]: فيما كان بين العرب من حلف في الجاهلية.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التي تغزل غزلا قويا ثم تنقضه، وروى[٤]: أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى ربطة بنت سعد، كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه، وقيل: إنما شبه بامرأة غير معينة. ﴿أَنكَاثًا﴾ جمع نكث وهو ما ينكث أي ينقض وانتصابه على الحال. ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ الدخل الدغل، وهو قصد الخديعة. ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أن في موضع المفعول من أجله، أي بسبب أن تكون أمة، ومعنى أربى أكثر عددا أو أقوى، ونزلت الآية[٥] في العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية، وقيل: الإشارة بالأربى هنا إلى كفار قريش، إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين. ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ الضمير للأمر بالوفاء أو لكون أمة هي أربى من أمة، فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولا.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استعارة في الرجوع عن الخير إلى الشر، وإنما أفرد القدم ونكرها لاستعظام الزلل في قدم واحدة، فكيف في أقدام كثيرة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٦٦٢٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (١٦٥٢)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٢٧٧)، والنسائي في سننه: ٧/١٠، وأحمد في مسنده: ٥/٦٢، والبيهقي: ١٠/٥٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٨١ بسند ضعيف.

(٣) مرسل أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٨٢ عن مجاهد بإسناد صحيح لكنه مرسل.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٨٥ بسند ضعيف. وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٣٠٠.

(٥) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٨٤ بسند مرسل.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلَۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ • فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

نصف

﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني في الدنيا. ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يدل على أن الآية فيمن بايع النبي ﷺ. ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يعني في الآخرة.

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الثمن القليل عرض الدنيا، وهذا نهي لمن بايع النبي ﷺ أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار، ورجاء الانتفاع في الدنيا إن رجع عن البيعة.

﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ﴾ أي يفنى. ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ يعني في الدنيا، قال ابن عباس[1]: هي الرزق الحلال، وقيل: هي القناعة، وقيل: هي حياة الآخرة.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة؛ لأن الفاء تقتضي الترتيب، وقد شذ قوم فأخذوا بذلك، وجمهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة، وتأويل الآية إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ، أو إذا أخذت في قراءة القرآن فاستعذ بالله.

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي ليس له عليهم سبيل، ولا يقدر على إضلالهم.

﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ أي يتخذونه وليا. ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ

---

(١) صحيح أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٣٦٠، والطبري في جامع البيان: ١٧/٢٩٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥/١٦٢ لابن المنذر وابن أبي حاتم.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ
الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ
﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ
بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ
اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ
﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ
جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

مُشْرِكُونَ﴾ الضمير لإبليس والباء سببية.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ التبديل هنا النسخ، كان الكفار إذا نسخت آية يقولون هذا افتراء ولو كان من عند الله لم يبدل. ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ جملة اعتراض بين الشرط وجوابه، وفيها رد على الكفار أي الله أعلم بما يصلح للعباد في وقت، ثم ما يصلح لهم بعد ذلك.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ يعني جبريل. ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي مع الحق في أوامره ونواهيه وأخباره، ويحتمل أن يكون قوله بالحق بمعنى حقا أو بمعنى أنه واجب النزول.

﴿أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ كان بمكة غلام أعجمي اسمه يعيش[1]، وقيل: كانا غلامين[2] اسم أحدهما جبر والآخر يسار، فكان النبي ﷺ يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام، فقالت قريش: هذان يعلمان محمدا. ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ اللسان هنا بمعنى اللغة والكلام، ويلحدون من ألحد إذا مال، وقرئ[3] بفتح الياء من لحد وهما بمعنى واحد، وهذا رد عليهم فإن الشخص

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٢٩٩.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٣٠٠، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٣٧، والبيهقي في الشعب: ١/٩٥ قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ٤/٤١٩ سنده صحيح.

(٣) حمزة والكسائي ﴿يَلْحَدُونَ﴾ هنا بفتح الياء والحاء، والباقون بضم الياء وكسر الحاء. التيسير، ص: ٩٦.

الذي أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمي اللسان، وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة، فلا يمكن أن يأتي به أعجمي.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ هذا في حق من علم الله منه أنه لا يؤمن كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فاللفظ عام يراد به الخصوص، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ الآية وقال ابن عطية: المعنى: إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بآياته، ولكنه قدم في هذا الترتيب وأخر تهكما بتقبيح أفعالهم.

﴿يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ رد على قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، يعني: إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن؛ لأنه لا يخاف الله، وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه. ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله، أي هم الذين عادتهم الكذب؛ لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾.

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ الآية من شرطية في موضع رفع بالابتداء، وكذلك من في قوله: ﴿مَّن شَرَحَ﴾ لأنه تخصيص من الأول، وقوله: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ جواب عن الأولى والثانية؛ لأنهما بمعنى واحد، أو يكون جوابا للثانية وجواب الأولى محذوف، يدل عليه جواب الثانية، وقيل: من كفر بدل من الذين لا يؤمنون، أو من المبتدإ في قوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ أو من الخبر. ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ﴾ استثناء من قوله: ﴿مَن كَفَرَ﴾ وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام فنزلت فيهم الآية[1] وكان فيهم من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر وهو يعتقد الإيمان، منهم: عمار بن ياسر، وصهيب، وبلال، فعذرهم الله، روي[2]: أن عمار بن ياسر شكا إلى رسول

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٥/١٧٠ بسند ضعيف.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٣٦٠، وعنه عبد بن حميد كما في الفتح: ١٢/٣٢٧،=

الله صلى الله عليه وسلم ما صنع به من العذاب وما تسامح به من القول، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تجد قلبك؟ قال: أجده مطمئنا بالإيمان، قال: فأجبهم بلسانك، فإنه لا يضرك. وهذا الحكم فيمن أكره على النطق بالكفر، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم، فاختلف: هل تجوز الإجابة إليه أم لا؟ فأجازه الجمهور، ومنعه قوم، وكذلك قال مالك: لا يلزم المكره يمين، ولا طلاق، ولا عتق، ولا شيء فيما بينه وبين الله، ويلزمه ما كان من حقوق الناس، ولا تجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد، أو أخذ ماله.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ الإشارة إلى العذاب والباء للتعليل فعلل عذابهم بعلتين: إحداهما: إيثارهم الحياة الدنيا. والأخرى: أن الله لا يهديهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ قرأه الجمهور فتنوا بضم الفاء أي عذبوا، فالآية على هذا في عمار وشبهه من المعذبين على الإسلام، وقرأ ابن عامر[1] بفتح الفاء أي عذاب المسلمين فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ثم هاجر وجاهد كالحضرمي وأشباهه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ كرر إن ربك توكيدا والضمير في بعدها يعود على الأفعال المذكورة وهي الهجرة والجهاد والصبر.

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ يحتمل أن يتعلق بغفور رحيم أو بمحذوف تقديره: اذكر، وهذا أظهر. ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ النفس هنا بمعنى الجملة، كقولك: إنسان، والنفس في قوله: ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ بمعنى الذات المعينة التي نقيضها الغير، أي تجادل عن ذاتها لا عن غيرها، فهي كقولك: جاء زيد نفسه وعينه. ﴿تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي تحتج

= والطبري في جامع البيان: ١٧/٣٠٤، وابن سعد في الطبقات: ٣/١٨٩، وأبو نعيم في الحلية: ١/١٤٠ قال الحافظ في الفتح مرسل ورجاله ثقات.

(١) قال ابن الجزري: ﴿فُتِنُواْ﴾ قرأ ابن عامر بفتح الفاء والتاء، وقرأ الباقون بضم الفاء وكسر التاء. النشر: ٢/٣٤٣.

ربع

• يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

وتعتذر، فإن قيل: كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون؟ فالجواب: أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ الآية، قيل: إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التي ذكرها الله. ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ يعني بنبوءة محمد ﷺ فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبي ﷺ إليهم، وقيل: إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلا لمكة، وهذا أظهر لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم، والضمائر في قوله: ﴿كَفَرَتْ﴾ و﴿أَذَاقَهَا﴾ يراد بها أهل القرية بدليل قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ الإذاقة هنا واللباس مستعاران، أما الإذاقة فقد كثر استعمالها في البلايا حتى صارت كالحقيقة، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتمالهما على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ إن كان المراد بالقرية مكة فالرسول هنا محمد ﷺ، والعذاب الذي أخذهم القحط وغيره، وإن كانت القرية غير معينة، فالرسول من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما، والعذاب ما أصابهم من الهلاك.

﴿كُلُوا﴾ وما بعده مذكور في البقرة.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ هذه

الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرموا أشياء كالبحيرة وغيرها مما ذكر في سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل فيها كل من قال هذا حلال أو حرام بغير علم، وانتصب الكذب بلا تقولوا أو يكون قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب، وما في قوله: ﴿لِمَا تَصِفُ﴾ موصولة ويجوز أن ينتصب الكذب بقوله: ﴿تَصِفُ﴾ وتكون ما على هذا مصدرية، ويكون قوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ معمول لا تقولوا.

﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ يعني عيشهم في الدنيا أو انتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ يعني قوله في الأنعام حرمنا كل ذي ظفر إلى آخر الآية فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود ليعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراء على الله، كما فعلت العرب.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾ هذه الآية تأنيس لجميع الناس وفتح باب إلى التوبة.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم بكماله وجمعه لصفات الخير، كقول الشاعر[1]:

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

(١) القائل هو الحسن بن هانئ (أبو نواس) كما في ديوانه، ص: ٢٨٨، وقبله:

(قولا لهارونَ إمامَ الهدَى ... عند احتفالِ المجلس الحاشدِ)
(نصيحةُ الفضلِ، وإشفاقُهُ ... أخلى له وجهك من حاسِدِ)
(بصادقِ الطّاعةِ، ديّانِها ... وواحدِ الغائبِ والشّاهدِ)
(أنتَ على ما بكَ من قُدْرَةٍ ... فلستَ مثلَ الفضلِ بالواجدِ)
(أوجدَهُ الله، فما مثلُه ... لطالبِ ذاك، ولا ناشدِ)
(وليسَ لله بمستنكَرٍ ... أن يجمعَ العالَم في واحدِ)

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ • إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

والآخر: أن يكون أمة بمعنى إمام كقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال ابن مسعود[1]: والأمة معلم الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والحنيف.

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ يعني لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه، وقيل: يعني المال والأولاد ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي من أهل الجنة.

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفي عنه الشرك لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أمر موسى بني إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضي بعضهم بذلك، وقال أكثرهم بل يكون يوم السبت فألزمهم الله يوم السبت، فاختلافهم فيه هو ما ذكر، والسبت على هذا هو اليوم، وقيل: اختلافهم فيه هو أن منهم من حرم الصيد فيه ومنهم من أحله فعاقبهم الله بالمسخ قردة، فالمعنى: إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه والسبت، على هذا مصدر من سبت إذا عظم يوم السبت، قاله الزمخشري، وتقتضي الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ المراد بالسبيل هنا

---

(١) صحيح أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٣٦٠، والحاكم في المستدرك: ٢/٣٥٨، والطبراني في الكبير: ١٠/٥٩، والطبري في جامع البيان: ١٧/٣١٧ قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

الإسلام والحكمة هي الكلام الذي يظهر صوابه والموعظة هي الترغيب والترهيب والجدال هو الرد على المخالف وهذه الأشياء الثلاثة يسميها أهل العلوم العقلية بالبرهان، والخطابة، والجدال، وهذه الآية تقتضي مهادنة نسخت بالسيف، وقيل: إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار، وأما العصاة فهي في حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ المعنى: إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ، ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى أصبتم كقوله في الممتحنة ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ بمعنى غنمتم، فيكون في الكلام تجنيس، وقال الجمهور: إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنه يوم أحد قال النبي ﷺ: «والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم»[1] فنزلت الآية، فكفر النبي ﷺ عن يمينه وترك ما أراد من المثلة، ولا خلاف أن المثلة حرام، وقد وردت الأحاديث[2] بذلك، ويقتضي ذلك أن الآية مدنية، ويحتمل أن تكون الآية عامة، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال، وتكون على هذا مكية كسائر السورة، واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه؟ فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية، ومنعه مالك[3]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/١٩٧، والطبراني في الكبير: ٣/١٥٦، والبزار في مسنده: ٢/٣٢٦، والبيهقي في الدلائل: ٣/٢٨٨، والحديث حسن بشواهده.

(٢) البخاري في صحيحه: ٣/١٧٧، ومسلم الحديث رقم: (١٧٣١)، وأبو داود: ٢/٢٦، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤٠٨)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٨٥٨)، وابن أبي شيبة كما في الإرواء: ٧/٢٩١، وأحمد في مسنده: ٤/٣٠٧.

(٣) «في هذه المسألة أربعة أقوال في مذهب مالك، والمشهور منها عند أئمة المذهب أن له الأخذ بقدر حقه، إن أمن العقوبة والرذيلة». جامع الأمهات ١/٣٤٢، والشرح الكبير ٣/٤٣١.

لقوله ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[١] . ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ هذا ندب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك، فإن العقوبة مباحة وتركها أفضل، والضمير راجع للصبر، ويحتمل أن يراد بالصابرين هنا العموم أو يراد به المخاطبون، كأنه قال: خير لكم.

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ هذا عزم على النبي ﷺ في خاصته على الصبر، ويروى[٢]: أنه قال لأصحابه: أما أنا فأصبر كما أمرت، فماذا تصنعون؟ قالوا: نصبر كما ندبنا، ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله، وقد قيل إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف وكذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فعل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ. ﴿وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تتأسف لكفرهم. ﴿وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ أي لا يضيق صدرك بمكرهم، والضيق: بفتح الضاد تخفيف من ضيق كميت وميت، وقرئ[٣] بالكسر وهو مصدر، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدران.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ يريد أنه معهم بمعونته ونصره. ﴿وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات، والمعنى الذي أشار له النبي ﷺ بقوله: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[٤] وهذا هو الأظهر؛ لأنه رتبة فوق التقوى.

---

(١) صحيح وهو من حديث أبي هريرة، رواه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٣٥٣٥)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٢٦٤)، والدارقطني في سننه: ٣/٣٥، والبيهقي في سننه: ١٠/٢٧١، والطحاوي في مشكل الآثار: ٥/٩١، والحاكم: ٢/٤٦.

(٢) هذا الحديث لم أجد له سندا، وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٣/٤٤٠، والثعالبي: ٢/٣٢٧.

(٣) ﴿ضَيْقٍ﴾ قرأ ابن كثير بكسر الضاد، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٤٤.

(٤) صحيح سبق تخريجه.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سورة الإسراء

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ معنى سبحان تنزيه وهو مصدر غير منصرف، وأسرى وسرى لغتان، وهو فعل غير متعد، واختار ابن عطية[1] أن يكون أسرى هنا متعديا، أي أسرى الملائكة بعبده، وهذا بعيد، والعبد هنا هو نبينا محمد ﷺ، وإنما وصفه بالعبودية تشريفا له وتقريبا.

﴿لَيْلًا﴾ إن قيل: ما فائدة قوله ليلا مع أن السرى هو السير بالليل؟ فالجواب: أنه أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ في الأعجوبة. ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ يعني بالمسجد الحرام مسجد مكة المحيط بالكعبة، وقد روي في الحديث أنه ﷺ قال: بينما أنا نائم في الحجر إذ جاءني جبريل[2]، وقيل: كان النبي ﷺ ليلة الإسراء في بيته، فالمسجد الحرام على هذا مكة، أي بلد المسجد الحرام، وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذي بإيلياء، وسمي الأقصى لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد فيكون المقصد إظهار العجب في الإسراء إلى هذا الموضع البعيد في ليلة، واختلف العلماء في كيفية الإسراء، فقال الجمهور: كان بجسد النبي ﷺ وروحه،

---

(١) المحرر الوجيز: ٣/٤٤١.

(٢) سبق تخريجه.

وقال قوم: كان بروحه خاصة، وكانت رؤيا نوم حقا، فحجة الجمهور أنه لو كان مناما لم تنكره قريش، ولم يكن في ذلك ما يكذب به الكفار، ألا ترى قول أم هانئ له: «لا تخبر بذلك فيكذبك قومك»[١]، وحجة من قال إن الإسراء كان مناما، قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ وإنما تقال الرؤيا في المنام، ويقال فيما يرى بالعين رؤية، وفي الحديث أنه ﷺ قال: بينما أنا بين النائم واليقظان، وذكر الإسراء، وقال في آخر الحديث: فاستيقظت وأنا في المسجد الحرام[٢]، وجمع بعض الناس بين الأدلة، فقال: إن الإسراء كان مرتين: إحداهما: بالجسد والروح، والأخرى: بالروح، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس، وهو الذي أنكرته قريش، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس، ولقي الأنبياء في السموات. ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صفة للمسجد الأقصى، والبركة حوله بوجهين:

أحدهما: ما كان فيه وفي نواحيه من الأنبياء.

والآخر: كثرة ما فيه من الزروع والأشجار التي خص الله بها الشام.

﴿لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا﴾ أي لنري محمدا ﷺ تلك الليلة من العجائب، فإنه رأى السموات، والجنة والنار، وسدرة المنتهى، والملائكة، والأنبياء، وكلمه الله تعالى حسبما ورد في أحاديث الإسراء[٣]، وهي في مصنفات الحديث، فأغنى ذلك عن ذكرها هنا.

﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى﴾ يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب، أو على موسى ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ أي ربا تكلون إليه أمركم، وأن يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة.

---

(١) أخرجه الطبراني: ٤٣٢/٢٤ بسند ضعيف جدا.

(٢) صحيح سبق تخريجه، وهو جزء من حديث الإسراء.

(٣) البخاري الحديث رقم: (٧٥١٥)، ومسلم الحديث رقم: (١٦٢)، وغيرهما.

﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ منادى، وفي ندائهم بذلك تلطف وتذكير بنعمة الله، وقيل: هي مفعول تتخذوا، ويتعين معنى ذلك على قراءة من قرأ[1] يتخذوا بالياء، ويعني بمن حملنا مع نوح أولاده الثلاثة، وهم: سام، وحام، ويافث، ونساؤهم، ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ أي كثير الشكر، كان يحمد الله على كل حال، وهذا تعليل لما تقدم، أي كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآءِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ قيل: إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا، كما قيل في ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾ والكتاب على هذا التوراة، وقيل: قضينا إليه من القضاء والقدر، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه مقادير الأشياء، وإلى بمعنى على. ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ هذه الجملة بيان للمقضي وهي في موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره: والله لتفسدن، والجملة في موضع معمول قضينا، والمرتان المشار إليهما، إحداهما: قتل زكرياء، والأخرى: قتل يحيى عليهما السلام ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ من العلو وهو الكبر والتجبر.

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَـٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا﴾ معناه أنهم إذا أفسدوا في المرة الأولى بعث الله عليهم عبادا له لينتقم منهم على أيديهم، واختلف في هؤلاء العبيد، فقيل: يعني جالوت وجنوده، وقيل: بختنصر ملك بابل. ﴿فَجَاسُواْ خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أي ترددوا بينها بالفساد، وروي[2]: أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة، وخربوا المساجد، وسبوا منهم سبعين ألفا.

---

(١) ﴿أَلاَّ تَتَّخِذُواْ﴾ قرأ أبو عمرو بالغيب، وقرأ الباقون بالخطاب. النشر: ٢/٣٤٤.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٣٥٧ بسند ضعيف.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم، ويعني رجوع الملك إلى بني إسرائيل واستنقاذ أسراهم وقتل بختنصر، وقيل: قتل داود لجالوت. ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي أكثر عددا وهو مصدر من قولك نفر الرجل إذا خرج مسرعا أو جمع نفر.

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ أحسنتم الأول بمعنى فعل الحسنات، والثاني بمعنى الإحسان، كقولك: أحسنت إلى فلان ففيه تجنيس، واللام فيه بمعنى إلى، وكذلك اللام في قوله: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ يعني إذا أفسدوا في المرة الآخرة بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم، فالآخرة صفة للمرة، ومعنى يسوءوا وجوهكم يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء، كقوله: ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ واللام لام كي وهي تتعلق ببعثنا المحذوف لدلالة الأول عليه، وقيل: هي لام الأمر. ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾ يعني بيت المقدس. ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ من التبار وهو الإهلاك وشدة الفساد. ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ ما مفعول ليتبروا أي يهلكوا ما غلبوا عليه من البلاد، وقيل: إن ما ظرفية أي يفسدوا مدة علوهم.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ خطاب لبني إسرائيل، ومعناه ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد الرحمة الثانية ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ خطاب لبني إسرائيل أي إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى عقابكم، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمدا ﷺ وأمته يقتلونهم ويذلونهم إلى يوم القيامة. ﴿حَصِيرًا﴾ أي سجنا وهو من الحصر، وقيل: أراد به ما يفرش ويبسط كالحصير المعروف.

﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ أي الطريقة والحالة التي هي أقوم، وقيل: يعني لا إله إلا الله، واللفظ أعم من ذلك.

عَسَىٰ رَبُّكُمُ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿١٠﴾ • وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴿١٧﴾

﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾ المعنى: ذم وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأولادهم وأموالهم، وأنهم يدعون بالشر في ذلك الوقت كما يدعون بالخير في وقت التثبت، وقيل: إن الآية نزلت في النضر بن الحارث[(١)] حين قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية، وقد تقدم أن الصحيح في قائلها إنه أبو جهل.

﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولاً﴾ الإنسان هنا وفي الذي قبله اسم جنس، وقيل: يعني هنا آدم، وهو بعيد.

﴿فَمَحَوْنَا ءَايَةَ الَّيْلِ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار، كقولك: مسجد الجامع أي الآية التي هي الليل والآية التي هي النهار، ومحو آية الليل على هذا كونه مظلما.

والوجه الثاني: أن يراد بآية الليل القمر، وآية النهار الشمس، ومحو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس.

﴿وَجَعَلْنَا ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ يحتمل أن يريد النهار بنفسه، أو الشمس، ومعنى مبصرة تبصر فيها الأشياء. ﴿لِّتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي لتتوصلوا بضوء

---

(١) لم أقف عليه مسندا.

النهار إلى التصرف في معايشكم. ﴿وَلِتَعْلَمُواْ﴾ باختلاف الليل والنهار أو بمسير الشمس والقمر: ﴿عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ الأشهر والأيام. ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلاً﴾ انتصب كل بفعل مضمر، والتفصيل البيان.

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ﴾ انتصب كل بفعل مضمر والطائر هنا العمل، والمعنى: أن عمله لازم له، وقيل: إن طائره ما قدر عليه وله من خير وشر، والمعنى على هذا أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء وإنما عبر عن ذلك بالطائر؛ لأن العرب كانت عادتها التيمن والتشاؤم بالطير، وقوله: ﴿فِي عُنُقِهِۦ﴾ أي هو كالقلادة، أو الغل لا ينفك عنه. ﴿كِتَٰباً يَلْقَىٰهُ مَنشُوراً﴾ يعني صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات.

﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ تقديره: يقال له اقرأ. ﴿حَسِيباً﴾ أي محاسبا، أو من الحساب بمعنى العدد.

﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ معناه حيث وقع لا يؤاخذ أحد بذنب أحد، والوزر في اللغة: الثقل والحمل، ويراد به هنا الذنوب، ومعنى ﴿تَزِرُ﴾ تحمل ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي وزر نفس أخرى ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ قيل: إن هذا في أحكام الدنيا، أي أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم، وقيل: هو عام في الدنيا والآخرة، وأن الله لا يعذب قوما في الآخرة إلا وقد أرسل إليهم رسولا فكفروا به وعصوه، ويدل على هذا قوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۞ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ في تأويل أمرنا هنا ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون في الكلام حذف، تقديره: أمرنا مترفيها بالخير والطاعة، فعصوا وفسقوا.

والثاني: أن يكون أمرنا عبارة عن القضاء عليهم بالفسق، أي قضينا عليهم بالفسق ففسقوا.

والثالث: أن يكون أمرنا بمعنى كثرنا، واختاره أبو علي الفارسي، وأما على قراءة آمرنا[١] بمد الهمزة فهو بمعنى كثرنا، وأما على قراءة أمرنا بتشديد الميم[٢] فهو من الإمارة أي جعلناهم أمراء ففسقوا، والمترف الغني المنعم في الدنيا.

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ أي القضاء الذي قضاه الله.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ﴾ القرن مائة سنة، وقيل: أربعون.

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ الآية في الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يؤمنون بالآخرة، على أن لفظها أعم من ذلك، والمعنى أنهم يعجل الله لهم حظا من الدنيا بقيدين:

أحدهما: تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله.

والآخر: تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله، و﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾ بدل من ﴿لَهُۥ﴾ وهو بدل بعض من كل.

﴿مَّدْحُورًا﴾ أي مبعدا أو مهانا.

---

(١) ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ قرأ يعقوب بمد الهمزة، وقرأ الباقون بقصرها. النشر: ٢/٣٤٤.

(٢) قال ابن مجاهد: لم يختلفوا في قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أنها خفيفة الميم... إلى أن يقول: وحدثني موسى بن إسحق القاضي، قال: حدثنا هرون بن حاتم، قال: حدثنا أبو العباس ختن ليث، قال: سمعت أبا عمرو يقرأ (أمّرنا) مشددة الميم. السبعة، ص: ٣٧٩، وقال ابن عطية: وقرأ الجمهور أمرنا على صيغة الماضي من أمر ضد نهى وقرأ نافع وابن كثير في بعض ما روي عنهما (آمرنا) بمد الهمزة بمعنى كثرنا ورويت عن الحسن. المحرر الوجيز: ٣/٤٥٥.

مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ • وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

ربع

﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ أي عمل لها عملها.

﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾ انتصب ﴿كُلًّا﴾ بـ﴿نُّمِدُّ﴾ وهو من المدد، ومعناه نزيدهم من عطائنا. ﴿هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ﴾ بدل من ﴿كُلًّا﴾ والإشارة إلى الفريقين المتقدمين. ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ يعني رزق الدنيا، وقيل: من الطاعات لمن أراد الآخرة ومن المعاصي لمن أراد الدنيا، والأول أظهر. ﴿مَحْظُورًا﴾ أي ممنوعا.

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني في رزق الدنيا.

﴿لَّا تَجْعَلْ﴾ خطاب لواحد والمراد به جميع الخلق؛ لأن المخاطب غير معين. ﴿مَذْمُومًا﴾ أي يذمه الله وخيار عباده. ﴿مَّخْذُولًا﴾ أي غير منصور.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ أي حكم وألزم وأوجب، أو أمر، ويدل على ذلك ما في مصحف ابن مسعود[1] ووصى ربك. ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا. ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما المؤكدة، وجوابها: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ والمعنى الوصية ببر الوالدين إذا كبرا أو كبر أحدهما، وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما

---

(١) قال ابن عطية: وفي مصحف ابن مسعود ووصى ربك وهي قراءة أصحابه وقراءة ابن عباس والنخعي وسعيد بن جبير وميمون بن مهران وكذلك عند أبي بن كعب المحرر الوجيز: ٤٥٩/٣.

لضعفهما، ومعنى عندك أي في بيتك وتحت كنفك. ﴿أُفٍّ﴾ حيث وقعت اسم فعل معناها قول مكروه يقال عند الضجر ونحوه، وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين، فأولى وأحرى ألا يقال لهما ما فوق ذلك، ويجوز في ﴿أُفٍّ﴾ الكسر والفتح والضم، وهي حركات بناء[1] وأما تنوينها فهو للتنكير. ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ من الانتهار وهو الإغلاظ في القول.

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ استعارة في معنى التواضع لهما والرفق بهما فهو كقوله: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأضافه إلى الذل مبالغة في المعنى كأنه قال الجناح الذليل ومن في قوله من الرحمة للتعليل أي من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما.

﴿لِلْأَوَّابِينَ﴾ قيل معناه الصالحين وقيل المسبحين وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع فحقيقته الراجعين إلى الله.

﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ خطاب لجميع الناس بصلة قرابتهم والإحسان إليهم، وقيل: هو خطاب خاص بالنبي ﷺ أن يؤتي قرابته حقهم من بيت المال، والأول أرجح.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ﴾ الآية معناه إن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ما تعطيهم فقل لهم كلاما حسنا، «وكان النبي ﷺ إذا سأله أحد فلم يكن عنده ما يعطيه أعرض عنه حياء منه»[2] فأمر بحسن القول مع ذلك، وهو أن يقول: رزقكم الله، أو أعطاكم الله، وشبه ذلك، والميسور مشتق من اليسر

(١) واختلفوا في ﴿أُفٍّ﴾ هنا والأنبياء والأحقاف، فقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بفتح الفاء من غير تنوين في الثلاثة، وقرأ المدنيان وحفص بكسر الفاء مع التنوين، وقرأ الباقون بكسر الفاء من غير تنوين فيهن. النشر: ٢/٣٤٥.

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٥/٨٩ بدون سند.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً ﴿٢٨﴾ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴿٣٠﴾ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴿٣١﴾ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً ﴿٣٣﴾ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ ۞ وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴿٣٦﴾ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴿٣٨﴾

ثمن

﴿ابْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ مفعول من أجله يحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ والمعنى على هذا أنه يعرض عنهم انتظارا لرزق يأتيه فيعطيه إياهم، فالرحمة على هذا هو ما يرتجيه من الرزق، أو يتعلق بقوله: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُوراً﴾ أي ابتغ رحمة ربك بالقول الميسور، والرحمة على هذا هي الأجر والثواب.

﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ استعارة في معنى غاية البخل، كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه ﴿وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ استعارة في معنى غاية الجود، فنهى الله عن الطرفين، وأمر بالتوسط بينهما كقوله: ﴿إِذَا أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾. ﴿مَلُوماً﴾ أي يلومك صديقك عن كثرة عطائك وإضرارك بنفسك، أو يلومك من يستحق العطاء لأنك لم تترك ما تعطيه، أو يلومك سائر الناس على التبذير في العطاء ﴿مَّحْسُوراً﴾ أي منقطعا بك لا شيء عندك وهو من قولهم: حسر السفر البعير إذا أتعبه حتى لم تبقَ له قوة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء، فلا تهتم بما تراه من ذلك فإن الله أعلم بمصالح عباده.

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ﴾ ذكر في الأنعام.

﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ الحق الموجب لقتل النفس هو

ما ورد في الحديث، من قوله ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث، كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل نفس أخرى»[١] وتتصل بهذه الأشياء أشياء أخر لأنها في معناها كالحرابة، وترك الصلاة ومنع الزكاة ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰناً﴾ المظلوم هنا من قتل بغير حق، والولي هو ولي المقتول وسائر العصبة، وليس النساء من الأولياء عند مالك، والسلطان الذي جعل الله له هو القصاص، أو تخييره بين العفو والقصاص. ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ نهى عن أن يسرف ولي المقتول بأن يقتل غير قاتل وليه، أو يقتل اثنين بواحد، أو غير ذلك من وجوه التعدي، وقرئ[٢] فلا تسرف بالتاء خطابا للقاتل، أو لولي المقتول ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُوراً﴾ الضمير للمقتول، أو لوليه ونصره هو القصاص.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ ذكر في الأنعام قال بعضهم: لا تقربوا ولا تقتلوا معطوفان على ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ وذلك خطأ، والظاهر أنهما مجزومان بالنهي، بدليل قوله بعدها ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ ﴿وَلَا تَمْشِ﴾ ويصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا: لا تعبدوا مجزوما على النهي، وأن مفسرة. ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ﴾ عام في العهود مع الله ومع الناس. ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون في معنى الطلب، أي يطلب الوفاء به.

والثاني: أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة هل وفى به أم لا؟

﴿وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ قيل: القسطاس الميزان، وقيل: العدل وقرئ[٣] بكسر

---

(١) صحيح سبق تخريجه.

(٢) قال الداني: حمزة والكسائي ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ بالتاء والباقون بالياء.. التيسير، ص: ٩٧.

(٣) قال ابن عطية: وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر القسطاس بضم القاف، وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم القسطاس بكسر القاف، وهما لغتان، واللفظة منه للمبالغة من القسط، والمراد بها في الآية جنس الموازين المعدلة على أي صفة كانت. المحرر الوجيز: ٣/٤٦٨.

القاف وهي لغة. ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ أي أحسن عاقبة ومآلا، وهو من آل إذا رجع.

﴿وَلاَ تَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ المعنى: لا تقل ما لا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك، واللفظ مشتق من قفوته إذا اتبعته. ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد، وإنما عاملها معاملة العقلاء في الإشارة بأولئك؛ لأنها حواس لها إدراك والضمير في عنه يعود على كل، ويتعلق عنه بمسئولا، والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده، وقيل: الضمير يعود على ما ليس لك به علم، والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هي التي تسأل عما ليس لها به علم، وهذا بعيد.

﴿وَلاَ تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحاً﴾ المرح الخيلاء والكبر في المشية، وقيل: هو إفراط السرور بالدنيا، وإعرابه مصدر في موضع الحال ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها، والخرق هو القطع، وقيل: معناه لا تقدر أن تستوفي جميعها بالمشي، والمراد بذلك تعليل النهي عن الكبر والخيلاء، أي إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض ولا على مطاولة الجبال، فكيف تتكبر وتختال في مشيك؟ وإنما الواجب عليك التواضع.

﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات، والمكروه هنا بمعنى الحرام لا على اصطلاح الفقهاء في أن المكروه دون الحرام، وإعراب مكروها نعت لسيئة، أو بدل منها، أو خبر ثان لكان.

﴿أَفَأَصْفَٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله، والمعنى كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات، ومعنى أصفاكم خصكم ﴿قَوْلًا عَظِيماً﴾ أي عظيم النكر والشناعة.

ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ هذا احتجاج على الوحدانية، وفي معناه قولان:

أحدهما: أن المعنى لو كان مع الله آلهة لابتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته، فيكون من جملة عباده.

والآخر: لابتغوا سبيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته في قدرته، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو.

﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ﴾ الآية اختلف في كيفية هذا التسبيح، فقيل: هو تسبيح بلسان الحال، أي بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة، وقيل: إنه تسبيح حقيقة، وهذا أرجح لقوله: ﴿لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أن الله أخبر نبيه ﷺ أنه يستره من الكفار، إذا أرادوا به شرا ويحجبه منهم.

والآخر: أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن، وهذا أرجح لما بعده والمستور هنا قيل معناه مستور عن أعين الخلق؛ لأنه من لطف الله وكفايته، فهو من المغيبات، وقيل: معناه ساتر.

﴿أَكِنَّةً﴾ جمع كنان وهو الغطاء و﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ مفعول من أجله، تقديره:

كراهة أن يفقهوه، وهذه استعارات في إضلالهم. ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ﴾ معناه إذا ذكرت في القرآن وحدانية الله تعالى فر المشركون من ذلك، لما فيه من رفض آلهتهم وذمها، ونفورا مصدر في موضع الحال.

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء، والضمير في به عائد على ما أي نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء. ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ﴾ أي جماعة يتناجون أو ذو نجوى، والنجوى كلام السر. ﴿رَجُلاً مَّسْحُوراً﴾ قيل: معناه جن فسحر، وقيل: معناه ساحر، وقيل: هو من السحر بفتح السين وهي الرئة، أي بشرا ذا سحر مثلكم، وهذا بعيد.

﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ أي مثلوك بالساحر والشاعر والمجنون. ﴿فَضَلُّواْ﴾ عن الحق. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾ إلى الهدى، ونزلت الآية في الوليد بن المغيرة[(١)] وأصحابه من الكفار.

﴿وَقَالُواْ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً﴾ الآية، معناها إنكار للبعث، واستبعادهم أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد فنائهم، والرفات الذي بلي حتى صار غبارا، أو فتاتا، وقد ذكر في الرعد اختلاف القراء في الاستفهامين.

﴿قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾ المعنى: لو كنتم حجارة أو حديدا لقدرنا على بعثكم وإحيائكم، مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التي في الحياة، فأولى وأحرى أن يبعث أجسادكم ويحيي عظامكم البالية، فذكر الحجارة والحديد تنبيها بهما على ما هو أسهل في الحياة منهما، ومعنى قوله: كونوا أي كونوا في الوهم والتقدير، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم في ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري ي جامع البيان: ٤٦٤/١٧، وعزاه في الدر: ٢٩٨/٥ لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

• قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى الْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾

﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ قيل: يعني السموات والأرض والجبال، وقيل: بل أحال على فكرتهم عموما في كل ما هو كبير عندهم، أي لو كنتم حجارة أو حديدا أو شيئا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة لقدرنا على بعثكم.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ أي يحركونها تحريك المستبعد للشيء والمستهزئ. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ أي متى يكون البعث.

﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ في الصور، والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين، وبحمده في موضع الحال أي حامدين له، وقيل: معنى بحمده بأمره. ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني لبثتم في الدنيا أو في القبور.

﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما لينا طيبا، وقيل: أن يقولوه للمشركين، ثم نسخ بالسيف، وإعراب يقولوا كقوله: ﴿يُقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ﴾ في إبراهيم وقد ذكر ذلك.

﴿قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ قيل: يعني الملائكة، وقيل: عيسى وأمه وعزير، وقيل: نفر من الجن كان العرب يعبدونهم والمعنى: أنهم لا يقدرون على كشف الضر عنكم فكيف تعبدونهم؟.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ المعنى: أن أولئك الآلهة

الذين يدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله ويرجونه ويخافونه، فكيف تعبدونهم معه؟ وإعراب أولئك مبتدأ والذين يدعون صفة له ويبتغون خبره والفاعل في يدعون ضمير للكفار، وفي يبتغون للآلهة المعبودين، وقيل: إن الضمير في يدعون ويبتغون للأنبياء المذكورين قبل في قوله: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والوسيلة: هي ما يتوسل به ويتقرب. ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ بدل من الضمير في يبتغون أي يبتغي الوسيلة من هو أقرب منهم فكيف بغيره أو ضمن يبتغون معنى يحرصون فكأنه قال: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله، بالاجتهاد في طاعته، ويحتمل أن يكون المعنى: أنهم يتوسلون بأيهم أقرب إلى الله. ﴿مَحْذُورًا﴾ من الحذر وهو الخوف.

﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ يحتمل هذا الهلاك وجهين:

أحدهما: أن يكون بالموت والفناء الذي لا بد منه.

والآخر: أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة فيهلكها، وهذا أظهر؛ لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به، والهلاك والتعذيب المذكوران في الآية هما في الحقيقة لأهل القرى أي مهلكو أهلها أم معذبوهم، وروي: أن هلاك مكة بالحبشة، والمدينة بالجوع، والكوفة بالترك، والأندلس بالخيل، وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة فقال: أصابها العذاب يوم قتل الموحدين بها في ثورة ابن هود، وأما هلاك قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغيرها فأخذ الروم لها. ﴿فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا﴾ يعني اللوح المحفوظ.

﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الآيات هنا يراد بها التي يقترحها الكفار، فإذا رأوها ولم يؤمنوا أهلكهم الله، وسبب الآية[1] أن

---

(١) صحيح أخرجه أحمد: ٢٥٨/١، والنسائي في تفسيره رقم: (٣١٠)، والطبري في جامع البيان: ٤٧٦/١٧، والحاكم في المستدرك: ٣٦٢/٢، والبيهقي: ٢٧١/٢.

وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ
وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾
• وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا
الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ
ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ
مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ
وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ
لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

قريشا اقترحوا على رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا بها فيهلكوا، وعبر بالمنع عن ترك ذلك، وأن نرسل في موضع نصب، وأن كذب في موضع رفع، ثم ذكر ناقة ثمود تنبيها على ذلك؛ لأنهم اقترحوها فكانت سبب هلاكهم، ومعنى مبصرة بينة واضحة الدلالة.

﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من العذاب العاجل وهو الإهلاك، وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن، وقيل: المراد بالآيات هنا الرعد والزلازل والكسوف وغير ذلك من المخاوف.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ المعنى اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش، يعني: بشرناك بقتلهم يوم بدر، وذلك قوله: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ وإنما قال أحاط بلفظ الماضي وهو لم يقع لتحققه وصحة وقوعه بعد، وقيل: المعنى أحاط بالناس في منعك وحمايتك منهم كقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ اختلف في هذه الرؤيا، فقيل: إنها الإسراء فمن قال إنه كان في اليقظة فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين، ومن قال إنه كان في المنام فالرؤيا منامية، والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ، وقيل: إنها رؤيا النبي ﷺ في منامه هزيمة الكفار

وقتلهم ببدر، والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك وقيل: إنه رأى أنه يدخل مكة فعجل في سنة الحديبية فرد عنها، فافتتن بعض المسلمين بذلك، وقيل: رأى في المنام أن بني أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك. ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ﴾ يعني شجرة الزقوم، وهي معطوفة على الرؤيا، أي جعلنا الرؤيا والشجرة فتنة للناس، وذلك أن قريشا لما سمعوا أن في جهنم شجرة الزقوم سخروا من ذلك وقالوا: كيف تكون شجرة في النار والنار تحرق الشجر؟ وقال أبو جهل: ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد، **فإن قيل**: أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن؟ **فالجواب**: أن المراد لعنة آكلها، وقيل: اللعنة هنا بمعنى الإبعاد والكراهة لأنها في أصل الجحيم. ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ الضمير لكفار قريش.

﴿طِيناً﴾ تمييز، أو حال من «من»، أو من مفعول خلقت.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾ الكاف من أرأيتك للخطاب لا موضع لها من الإعراب وهذا مفعول بأرأيت، والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته علي أي فضلته وأنا خير منه، فاختصر الكلام بحذف ذلك، وقال ابن عطية أرايتك هنا بمعنى: أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرني. ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ معناه لأميلنهم وأقودهم وهو مأخوذ من تحنيك الدابة، وهو أن يشد على حنكها بحبل فتنقاد.

﴿قَالَ اذْهَبْ﴾ قال ابن عطية اذهب وما بعده من الأوامر صيغة أمر على وجه التهديد، وقال الزمخشري: ليس المراد الذهاب الذي هو ضد المجيء إنما معناه امض لشأنك الذي اخترته خذلانا له وتخلية، ويحتمل عندي أن يكون معناه الطرد والإبعاد. ﴿فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ﴾ كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة ليرجع إلى من اتبعك، ولكنه ذكره بلفظ الخطاب تغليبا للمخاطب على الغائب، وليدخل إبليس معهم. ﴿جَزَآءً مَّوْفُوراً﴾ مصدر في موضع الحال والموفور المكمل.

﴿وَاسْتَفْزِزْ﴾ أي اخدع واستخف. ﴿بِصَوْتِكَ﴾ قيل: يعني الغناء والمزامير، وقيل: الدعاء إلى المعاصي. ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ أي هول وهو من الجلبة وهي الصياح. ﴿بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ﴾ الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكبون على الخيل، والرجل جمع راجل وهو الذي يمشي على رجليه، وقيل: هو مجاز واستعارة بمعنى افعل جهدك، وقيل: إن له من الشياطين خيلا ورجلا، وقيل: المراد فرسان الناس ورجالهم المتصرفون في الشر. ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ مشاركته في الأموال هي بكسبها من الربا وإنفاقها في المعاصي وغير ذلك، ومشاركته في الأولاد هي بالاستيلاد بالزنا وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك. ﴿وَعِدْهُمْ﴾ يعني المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك.

﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يعني المؤمنين الذين يتوكلون على الله بدليل قوله بعد ذلك: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ونحوه، ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

﴿يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ﴾ أي يجريها ويسيرها، والفلك هنا جمع، وابتغاء الفضل في التجارة وغيرها.

﴿الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ يعني خوف الغرق. ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ ضل هنا بمعنى تلف وفقد، أي تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده، فلجأتم إليه حينئذ دون غيره، فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون في تلك الشدة إلا إياه؟ ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا﴾ أي كفورا بالنعم، والإنسان هنا جنس.

﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ الهمزة للتوبيخ والفاء للعطف، أي أنجوتم من البحر فأمنتم الخسف في البر. ﴿حَاصِبًا﴾ يعني حجارة أو ريحا شديدة ترمي بالحصباء. ﴿وَكِيلًا﴾ أي قائما بأموركم وناصرا لكم.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا
نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُوراً ﴿٦٧﴾
أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ
حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ
فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم
بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ
كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾ يَوْمَ
نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ
فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴿٧٢﴾
وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا
غَيْرَهُ وَإِذاً لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ
كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ﴿٧٤﴾ إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ
الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً ﴿٧٥﴾

ربع

﴿قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ﴾ يعني الذي يقصف ما يلقى أي يكسره. ﴿تَبِيعاً﴾ أي مطالبا بثأركم: أي فلا تجدون من ينصركم منا كقوله: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ يعني فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان، ولم يفضلهم على الملائكة، ولذلك قال: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾ وأنواع التفضيل كثيرة لا تحصى، وقد ذكر المفسرون منها: كون الإنسان يأكل بيده، وكونه منتصب القامة، وهذه أمثلة.

﴿بِإِمَامِهِمْ﴾ قيل: يعني بنبيهم، يقال يا أمة فلان، وقيل: يعني كتابهم الذي أنزل عليهم، وقيل: كتابهم الذي فيه أعمالهم. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ الفتيل: هو الخيط الذي في شق نواة التمرة، والمعنى أنهم لا يظلمون من أعمالهم قليلا ولا كثيرا، فعبر بأقل الأشياء تنبيها على الأكثر.

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ الإشارة بهذه إلى الدنيا، والعمى يراد به عمى القلب، أي من كان في الدنيا أعمى عن الهدى والصواب فهو في يوم القيامة أعمى أي حيران يائس من الخير، ويحتمل أن يريد بالعمى في الآخرة عمى البصر كقوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ وإنما جعل الأعمى في الآخرة أضل سبيلا؛ لأنه حينئذ لا ينفعه الاهتداء، ويجوز في أعمى الثاني أن يكون صفة كالأول، وأن يكون من أفعل التي للتفضيل، وهذا أقوى لقوله: وأضل سبيلا، فعطف أضل الذي هو من أفعل من كذا على ما هو شبيهه، قال سيبويه: لا يجوز أن

يقال هو أعمى من كذا، ولكن إنما يمتنع ذلك في عمى البصر لا عمى القلب.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآية سببها[1] أن قريشا قالوا للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقبل بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك، وقيل[2]: إن ثقيفا طلبوا من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى، والآية على هذا القول مدنية. ﴿لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ الافتراء هنا يراد به المخالفة لما أوحي إليه من القرآن أو في غيره. ﴿وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي لو فعلت ما أرادوا منك لاتخذوك خليلا.

﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ لولا تدل على امتناع شيء لوجود غيره، فدلت هنا على امتناع مقاربة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته، وكدت تقتضي أيضا نفي الركون لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أي أنه لم يفعله فانتفى الركون إليهم ومقاربته، فليس في ذلك نقص من جانب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن التثبيت منعه من مقاربة الركون، ولو لم يثبته الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئا قليلا، وأما مع التثبيت فلم يركن قليلا ولا كثيرا، ولا قارب ذلك.

﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ أي ضعف عذابهما لو فعل ذلك.

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الضمير لقريش كانوا قد هموا أن يخرجوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة، وذلك قبل الهجرة فالأرض هنا يراد بها مكة لأنها بلده. ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي لو أخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك من مكة إلا قليلا، فلما خرج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهاجرا من مكة إلى المدينة

---

(١) أخرجه ابن إسحاق وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس كما في الدر المنثور: ٥/٣١٨.

(٢) لم أجده مسندا وذكره ابن حجر في الكافي الشافي: ٢/٦٨٤ بدون سند.

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ۞ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

ثمن

من أجل إذاية قريش له ولأصحابه لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلا وقتلوا يوم بدر.

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ انتصب سنة على المصدر ومعناه العادة، أي هذه عادة الله مع رسله.

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة، فدلوك الشمس زوالها، والإشارة إلى الظهر والعصر، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء، وقرآن الفجر صلاة الصبح، وانتصب قرآن الفجر بالعطف على موضع اللام في قوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ فإن اللام فيه ظرفية بمعنى عند، وقيل: هو عطف على الصلاة، وقيل: مفعول بفعل مضمر، تقديره: اقرأ قرآن الفجر، وإنما عبر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر؛ لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تصلى بسورتين طويلتين. ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ أي تشهده ملائكة الليل والنهار، فيجتمعون فيه إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل، ومن للتبعيض والضمير في به للقرآن، والتهجد: السهر وهو ترك الهجود، ومعنى الهجود النوم، فالتفعل هنا للخروج عن الشيء، كالتحرج والتأثم: في الخروج عن الإثم والحرج. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ يعني الشفاعة يوم القيامة، وانتصب مقاما على الظرف.

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية، المدخل: دخوله إلى المدينة، والمخرج خروجه من مكة، وقيل: المدخل في القبر والمخرج إلى البعث، واختار ابن عطية أن يكون على العموم في جميع الأمور. ﴿سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ قيل: معناه حجة تنصرني بها وتظهر بها صدقي، وقيل: قوة ورياسة تنصرني بها على الأعداء وهذا أظهر.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الحق الإيمان والباطل الكفر.

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ من لبيان الجنس، أو للتبعيض، والمراد بالشفاء أنه يشفي القلوب من الريبة والجهل، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقيا به والتعويذ.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ الآية، المراد بالإنسان الجنس؛ لأن ذلك من سجية الإنسان، وقيل: إنما يراد الكافر؛ لأنه هو الذي يعرض عن الله. ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أي بعد وذلك تأكيد وبيان للإعراض، وقرئ[1] ﴿ناء﴾ وهما بمعنى واحد.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي مذهبه وطريقته التي تشاكله.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ السائلون اليهود، وقيل: قريش بإشارة اليهود، والروح هنا عند الجمهور هو الذي في الجسم، وقد يقال فيه النفس، وقيل: الروح هنا جبريل، وقيل: القرآن، والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك. ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي من الأمور التي استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه، وكانت اليهود قد قالت لقريش: اسألوه عن الروح فإن لم يجبكم فيه بشيء فهو نبيء، وذلك أنه كان عندهم في التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه، وقال ابن بريدة:

(١) ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ هنا وفي فصلت قرأ أبو جعفر وابن ذكوان بألف قبل الهمزة مثل: وناء، في الموضعين، وقرأهما الباقون بألف بعد الهمزة.. النشر: ٢/٣٤٦.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى الْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

لقد مضى النبي ﷺ وما يعرف الروح، ولقد كثر اختلاف الناس في النفس والروح، وليس في أقوالهم في ذلك ما يعول عليه. ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ خطاب عام لجميع الناس؛ لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله، وقيل: خطاب لليهود خاصة والأول أظهر؛ لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح.

﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ أي إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف، وهذه الآية متصلة المعنى بقوله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي في قدرتنا أن نذهب بالذي أوحينا إليك فلا يبقى عندك شيء من العلم. ﴿وَكِيلًا﴾: أي من يتوكل برده وإعادته بعد ذهابه.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ يحتمل أن يكون استثناء متصلا بمعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لو ذهب، أو استثناء منقطعا بمعنى أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب.

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ عجز الخلق عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلهية، والبراهين الواضحة، والمعاني العجيبة، التي لم يمكن الناس يعلمونها ولا يصلون إليها ثم جاءت فيه على الكمال، وقال أكثر الناس: إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه، ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا في غير هذا منها خمسة عشر وجها. ﴿ظَهِيرًا﴾ أي معينا.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي بينا لهم كل شيء من العلوم النافعة، والبراهين القائمة، والحجج الواضحة، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعاني والعلوم كما ذكرنا. ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ الكفور الجحود، وانتصب بقوله: ﴿أَبَىٰ﴾ لأنه في معنى النفي.

﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ الذين قالوا هذا القول هم أشراف قريش، طلبوا من النبي ﷺ أنواعا من خوارق العادات، وهي التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية، وقيل: إن الذي قاله عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، وكان ابن عمة النبي ﷺ ثم أسلم بعد ذلك، والينبوع العين، قالوا له إن مكة قليلة الماء ففجر لنا فيها عينا من ماء.

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كسفا بفتح السين جمع كسفة، وهي: القطعة، وقرئ[1] بالإسكان أي قطعا واحدا. ﴿قَبِيلًا﴾ قيل: معناه مقابلة ومعاينة، وقيل: ضامنا شاهدا بصدقك والقبالة في اللغة: الضمان.

﴿بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ أي من ذهب. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب من اقتراحاتهم أو تنزيه لله عن قولهم تأتي بالله وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التي طلبها الكفار لأن ذلك سوء أدب. ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ أي إنما أنا بشر فليس في قدرتي شيء مما طلبتم، وأنا رسول فليس علي إلا التبليغ.

﴿إِلَّا أَن قَالُواْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ المعنى: أن الذي منع الناس من الإيمان إنكارهم لبعث الرسول من البشر.

﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ الآية معناها: أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكا، ولكنهم بشر فالرسول إليهم بشر من جنسهم،

(١) نافع وعاصم وابن عامر ﴿كِسَفًا﴾ بفتح السين والباقون باسكانها. التيسير، ص: ٩٨.

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ • أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

ومعنى مطمئنين ساكنين في الأرض.

﴿شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ ذكر في الأنعام.

﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ قيل: هي استعارات بمعنى: أنهم يوم القيامة حيارى، وقيل: هي حقائق وأنهم يكونون عميا وبكما وصما حين قيامهم من قبورهم. ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ معناه في اللغة سكن لهبها، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بدلوا أجسادا أخر، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت.

﴿وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا﴾ استبعاد للحشر، وقد تقدم معنى الرفات والكلام في الاستفهامين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ﴾ الآية، احتجاج على الحشر، فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان، فكما قدر الله على خلقتها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فنائه، والرؤية في الآية رؤية قلب. ﴿أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ القيامة أو أجل الموت.

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ لو حرف امتناع، ولا يليها إلا الفعل ظاهرا أو مضمرا فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها، تقديره: تملكون، ثم فسره بتملكون الظاهر، و﴿أَنتُمْ﴾ تأكيد للضمير الذي في تملكون المضمر. ﴿خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ﴾ أي الأموال والأرزاق. ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ أي لو ملكتم الخزائن

لأمسكتم عن العطاء خشية الفقر، فالمراد بالإنفاق عاقبة الإنفاق وهو الفقر، ومفعول أمسكتم محذوف، وقال الزمخشري: لا مفعول له؛ لأن معناه بخلتم من قولهم للبخيل ممسك، ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى.

﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ الخمس منها: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والأربع: انقلاب العصا حية، وإخراج يده بيضاء، وحل العقدة من لسانه، وفلق البحر، وقد عد فيها رفع الطور فوقهم، وانفجار الماء من الحجر، على أن يسقط اثنان من الأخر، وقد عد فيها أيضا: السنون والنقص من الثمرات.

وروى[1]: أن بعض اليهود سألوا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها فقال: «**هي ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تمشوا ببريء إلى سلطان ليقتله، ولا تسحروا، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا المحصنات، ولا تفروا يوم الزحف، وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا في السبت**».

﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي اسأل المعاصرين لك من بني إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا، والآية على هذا خطاب لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال الزمخشري[2]: إن المعنى: قلنا لموسى اسأل بني إسرائيل من فرعون، أي: اطلب منه أن يرسلهم معك، فهو كقوله: أن أرسل معي بني إسرائيل، فالأمر في قوله: اسأل لموسى على إضمار القول، وقال أيضا: يحتمل أن يكون المعنى: اسأل بني

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٧٣٣)، والنسائي في سننه: ١١١/٧، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٣٧٠٥)، وأحمد في مسنده: ٢٣٩/٣، والطبري في جامع البيان: ٥٦٦/١٧، والحاكم في المستدرك: ٩/١ قال الحاكم: هذا حديث صحيح لا نعرف له علة بوجه من الوجوه ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم: (٣٩١)، والزيلعي في تخريج أحاديث. الكشاف: ٢٩٣/٢، وقال ابن كثير في تفسيره: ٦٣/٣، وهو حديث مشكل.

(٢) الكشاف: ٦٥١/٢.

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الكَهْفِ
(مكية ١٨) (آياتها ١١٠)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك، وهذا أيضا على أن يكون الخطاب لموسى والأول أظهر.

﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ الضمير لبني إسرائيل والمراد آباؤهم الأقدمون، والعامل في إذ على القول الأول آتينا موسى، أو فعل مضمر والعامل فيه على قول الزمخشري القول المحذوف. ﴿مَسْحُورًا﴾ هنا وفي الفرقان أي سحرت واختلط عقلك، وقيل: ساحر.

﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ بفتح التاء خطاب لفرعون، والمعنى: أنه علم أن الله أنزل الآيات ولكنه كفر بها عنادا، كقوله: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ والإشارة بهؤلاء إلى الآيات. ﴿مَثْبُورًا﴾ أي مهلكا، وقيل: مغلوبا، وقيل: مصروفا عن الخير، قابل موسى قول فرعون: إني لأظنك يا موسى مسحورا، بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ أي أرض مصر.

﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ يعني أرض الشام. ﴿لَفِيفًا﴾ أي جميعا مختلطين.

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ الضمير للقرآن، وبالحق معناه في الموضعين بالواجب من المصلحة والسداد، وقيل: معنى الأول كذلك، ومعنى الثاني ضد الباطل، أي بالحق في إخباره وأوامره ونواهيه.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ﴾ انتصب بفعل مضمر يدل عليه فرقناه ومعناه بيناه

وأوضحناه. ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ قيل: معناه على تمهل وترتيل في قراءته، وقيل: على طول مدة نزوله شيئا شيئا، من حين بعث النبي ﷺ إلى وفاته وذلك عشرون سنة، وقيل: ثلاث وعشرون.

﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ﴾ أمر باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم، كأنه يقول: سواء آمنتم أو لم تؤمنوا لأنكم لستم بحجة، وإنما الحجة أهل العلم من قبله، وهم المؤمنون من أهل الكتاب. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ يعني المؤمنين من أهل الكتاب، وقيل: الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة كزيد بن عمرو بن نوفل، وورقة بن نوفل، والأول أظهر، وهذه الجملة تعليل لما تقدم، والمعنى: إن لم تؤمنوا أنتم به فقد آمن به من هو أعلم منكم.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أي لناحية الأذقان، كقولهم: خر لليدين وللفم، والأذقان جمع ذقن وهو أسفل الوجه حيث اللحية، وإنما كرر يخرون للأذقان؛ لأن الأول للسجود والآخر للبكاء.

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ سببها[1] أن الكفار سمعوا النبي ﷺ يدعو: يا الله يا رحمن، فقالوا: إن كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحد، وها هو يدعو إلهين فنزلت الآية، مبينة أن قوله: الله أو الرحمن اسمان لمسمى واحد، وأنه مخير في الدعاء بأي الاسمين شاء، والدعاء في الآية بمعنى التسمية، كقولك: دعوت ولدي زيدا لا بمعنى النداء. ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أيا اسم شرط منصوب بتدعوا والتنوين فيه عوض من المضاف إليه، وما زائدة للتأكيد، والضمير في له لله تعالى، وهو المسمى لا الاسم، والمعنى: أي هذين الاسمين تدعو فحسن؛ لأن الله له الأسماء الحسنى فموضع قوله لله الأسماء الحسنى موضع الجواب وهو في المعنى تعليل للجواب لأنه إذا حسنت أسماؤه

---

(١) ضعيف سبق تخريجه.

كلها حسن هذان الاسمان. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ المخافتة هي الإسرار، وسبب الآية[١] أن رسول الله ﷺ جهر بالقرآن في الصلاة فسمعه المشركون، فسبوا القرآن ومن أنزله فأمر رسول الله ﷺ بالتوسط بين الجهر والإسرار ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركين، وقيل: المعنى لا تجهر بصلواتك كلها ولا تخافت بها كلها واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة، وقيل: الصلاة هنا الدعاء.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ أي ليس لله ناصر يمنعه من الذل؛ لأنه تعالى عزيز فلا يفتقر إلى ولي يحميه فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غني عنها ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده، وحكى الطبري[٢] أن قوله لم يتخذ ولدا رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدا، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ﴾ رد على المشركين، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ رد على الصابئين في قولهم: لو لا أولياء الله لذل الله، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. ﴿وَكَبِّرْهُ﴾ معطوف على قل، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم، أو باللسان، وهو أن يقول: الله أكبر، مع قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾.

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) صحيح أخرجه البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٤٧٢٢)، ومسلم في صحيحه الحديث رقم: (٤٤٦)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (١٤٥)، والنسائي في سننه: ٢/١٧٧، وأحمد: ١/٢٣، والطبري في جامع البيان: ١٧/٥٨٣.

(٢) ... عن القُرَظي، أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾... الآية. قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولدا، وقالت العرب: لبيك، لبيك، لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذلّ الله، فأنزل الله ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ﴾ أنت يا محمد على ما يقولون ﴿تَكْبِيرًا﴾ الطبري في جامع البيان: ١٧/٥٩٠.

سورة الكهف

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ العبد هنا هو النبي ﷺ، ووصفه بالعبودية تشريفا له وإعلاما باختصاصه وقربه، والكتاب القرآن. ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ العوج بكسر العين في المعاني التي لا تحس، وبالفتح في الأشخاص كالعصا ونحوها، ومعناه عدم الاستقامة، وقيل فيه هنا معناه: لا تناقض فيه ولا خلل فيه، وقيل: لم يجعله مخلوقا، واللفظ أعم من ذلك.

﴿قَيِّمًا﴾ أي مستقيما، وقيل: قيما على الخلق بأمر الله تعالى، وقيل: قيما على سائر الكتب بتصديقها، وانتصابه على الحال من الكتاب، والعامل فيه أنزل، ومنع الزمخشري ذلك للفصل بين الحال وذي الحال، واختار أن العامل فيه فعل مضمر، تقديره: جعله قيما[1]. ﴿لِّيُنذِرَ﴾ متعلق بأنزل، أو بقيما، والفاعل به ضمير الكتاب، أو النبي ﷺ، والبأس العذاب وحذف المفعول الثاني وهو الناس كما حذف المفعول الآخر من قوله: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ﴾ لدلالة المعنى على المحذوف. ﴿مِّن لَّدُنْهُ﴾ أي من عنده، والضمير عائد على الله تعالى. ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ يعني الجنة.

﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ﴾ أي دائمين وانتصابه على الحال من الضمير في لهم.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ هم النصارى لقولهم في عيسى، واليهود لقولهم في عزير، وبعض العرب لقولهم في الملائكة.

﴿مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ الضمير عائد على قولهم، أو على الولد. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ انتصب على التمييز، وقيل: على الحال ويعني بالكلمة قولهم: اتخذ الله ولدا، وعلى هذا يعود الضمير في ﴿كَبُرَتْ﴾.

---

(١) الكشاف: ٢/٦٥٧.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ
أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ
ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا
عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا
لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ
ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ
إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ
أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا
﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾
نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ
وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا
شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ
عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي قاتلها بالحزن والأسف، والمعنى تسلية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عدم إيمانهم. ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ استعارة فصيحة كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم، وانتصب ﴿أَسَفًا﴾ على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه باخع نفسك.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ يعني ما يصلح للتزين كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك. ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي لنختبرهم أيهم أزهد في زينة الدنيا.

﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ المعنى إخبار بفناء الدنيا وزينتها، والصعيد هو التراب والجرز الأرض التي لا نبات فيها، أي سيفنى ما على الأرض من الزينة وتبقى كالأرض التي لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء بهجة.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ أم هنا استفهام، والمعنى: أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب، والكهف الغار الواسع، والرقيم اسم كلبهم، وقيل: هو لوح رقمت فيه أسماؤهم على باب الكهف، وقيل: كتاب فيه شرعهم ودينهم، وقيل: هو القرية التي كانت بإزاء الكهف، وقيل: الجبل الذي فيه الكهف، وقال ابن عباس[١]: لا أدري ما الرقيم.

---

(١) صحيح، أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٤٠٦.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ نذكر من قصتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة في كثير مما نقلوا، وذلك أنهم كانوا قوما مؤمنين وكان ملك بلادهم كافرًا يقتل كل مؤمن، ففروا بدينهم ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا من الملك وقومه، فأمر الملك باتباعهم فانتهى المتبعون لهم إلى الغار، فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك، فوقف عليه في جنده، وأمر بالدخول إليهم فهاب الرجال ذلك، وقالوا له دعهم يموتوا جوعا وعطشا، وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نوما ثقيلا، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله، وظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاما بدراهم كانت لهم، فعجب لها البائع[١] وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك في قديم الزمان، من أين جاءتك؟ وشاع الكلام بذلك في الناس، فقال الرجل: إنما خرجت أنا وأصحابي بالأمس، فأوينا إلى الكهف، فقال الناس: هؤلاء هم الفتية الذين ذهبوا في الزمان القديم، فمشوا إليهم فوجدوهم موتى.

وأما موضع كهفهم فقيل: إنه بمقربة من فلسطين، وقال قوم: إنه الكهف الذي بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة، وفيه موتى ومعهم كلب، وقد ذكر ابن عطية ذلك[٢]، وقال: إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد، وقريب منهم بناء يقال له: الرقيم قد بقي بعض جدرانه، وروى[٣]: أن الملك الذي كانوا في زمانه اسمه: دقيوس، وفي تلك الجهة آثار مدينة يقال لها: مدينة دقيوس، والله أعلم.

ومما يبعد ذلك ما روي: أن معاوية مر عليهم وأراد الدخول إليهم[٤] ولم

(١) المحرر الوجيز: ٥٢٩/٣.

(٢) المحرر الوجيز: ٥٣٥/٣.

(٣) أخرجه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٣٦٨/٥.

(٤) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة كما في تخريج الزيلعي لأحاديث الكشاف: ٣٠١/٢، وهو بسند متصل إلى ابن عباس وانظر الدر المنثور: ٣٦٦/٤.

يدخل معاوية الأندلس قط، وأيضا فإن الموتى التي في غار لوشة يراهم الناس ولم يدرك أحدا منهم الرعب الذي ذكر الله في أصحاب الكهف.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ﴾ عبارة عن إلقاء النوم عليهم، وقال الزمخشري[1]: المعنى: ضربنا على آذانهم حجابا ثم حذف هذا المفعول. ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾ أي كثيرة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أي أيقظناهم من نومهم. ﴿لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ أي لنعلم علما يظهر في الوجود لأن الله قد كان علم ذلك، والمراد بالحزبين الذين اختلفوا في مدة لبثهم، فالحزب الواحد أصحاب الكهف والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف في مدتهم، وقيل: إن الحزبين معا أصحاب الكهف إذ كان بعضهم قد قال لبثنا يوما أو بعض يوم، وقال بعضهم: ربكم أعلم بما لبثتم، وأحصى فعل ماض، وأمدا مفعول به، وقيل: أحصى اسم للتفضيل وأمدا تمييز، وهذا ضعيف؛ لأن أفعل من التي للتفضيل لا يكون من فعل رباعي إلا في الشاذ.

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي قوينا عزمهم وألهمناهم الصبر. ﴿إِذْ قَامُوا۟﴾ يحتمل أن يريد قيامهم من النوم أو قيامهم بين يدي الملك الكافر لما آمنوا ولم يبالوا به. ﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ أي لو دعونا من دونه إلها لقلنا قولا شططا والشطط الجور والتعدي.

﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ تحضيض بمعنى التعجيز، أي: أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله.

﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم. ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ﴾ عطف على المفعول في اعتزلتموهم، أي تركتموهم وتركتم

---

(١) الكشاف: ٢/٦٥٩.

وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مَّرْفِقًا ﴿١٦﴾ • وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَّاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِّئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

ما يعبدون. ﴿إِلاَّ ٱللَّهَ﴾ أي ما يعبدون من دون الله، وإلا هنا بمعنى غير وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدون الله ويعبدون معه غيره، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله وفي مصحف ابن مسعود: «وما يعبدون من دون الله»[1]. ﴿فَأْوُواْ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ هذا الفعل هو العامل في ﴿إِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ والمعنى: أن بعضهم قال لبعض: إذا فارقنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى ونتكل على الله فهو يرحمنا ويرفق بنا. ﴿مَّرْفِقاً﴾ بفتح الميم وكسرها[2] ما يرتفق به وينتفع.

﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَّاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ قيل: هنا كلام محذوف، تقديره: فآوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه، وضرب الله على آذانهم، ومعنى تزاور تميل وتزوغ، ومعنى تقرضهم تقطعهم أي تبعد عنهم، وهو من القرض بمعنى القطع، وذات اليمين والشمال أي جهته، ومعنى الآية أن الشمس لا تصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرها، فقيل: إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة، وقيل: كان باب الكهف شماليا يستقبل

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٦١٧/١٧ بإسناد صحيح، وهو عند ابن أبي حاتم في تفسيره: ٢٣٥١/٧ معلقا. عن قتادة لم يذكر سنده.

(٢) ﴿مَّرْفِقاً﴾ قرأ المدنيان وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء، وقرأ الباقون بكسر الميم وفتح الفاء. النشر: ٣٤٨/٢.

بنات نعش، فلذلك لا تصيبهم الشمس والأول أظهر لقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾. ﴿وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أي في موضع واسع وذلك مفتح لإصابة الشمس ومع ذلك حجبها الله عنهم. ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة، وإن كان لكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بجملته.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أيقاظا جمع يقظ وهو المنتبه، كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فيحسبهم من يراهم أيقاظا، وفي قوله: ﴿أَيْقَاظًا﴾ و﴿رُقُودٌ﴾ مطابقة وهي من أدوات البيان. ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أي نقلبهم من جانب إلى جانب، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض، وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته وهم لا ينتبهون من نومهم، وروي[١] أنهم كانوا يقلبون مرتين في السنة، وقيل: من سبع سنين إلى مثلها. ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ قيل: إنه كان كلبا لأحدهم يصيد به، وقيل: كان كلبا لراع فمروا عليه فصحبهم وتبعه كلبه، وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لأنه حكاية حال. ﴿بِٱلْوَصِيدِ﴾ أي بباب الكهف، وقيل: عتبته، وقيل: البناء. ﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم، وقيل: لوحشة مكانهم وعن معاوية[٢] أنه غزا الروم فمر بالكهف فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس: لا تستطيع ذلك، قد قال الله لمن هو خير منك: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ فبعث ناسا إليهم فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأخرجتهم[٣].

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ أي كما أنمناهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضا، واللام في ليتساءلوا لام الصيرورة. ﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم: ٢٣٥٢/٧، وعزاه في الدر: ٣٧٢/٥ لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٢) صحيح سبق تخريجه.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١٨٧/٩.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾

هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة، فأنكر على من قال يوما أو بعض يوم، ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند علمها إلى الله.

﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ﴾ الورق الفضة، وكانت دراهم تزودوها حين خروجهم إلى الكهف، ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه، ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة، فإن قيل: كيف اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم؟ فالجواب: أنهم كانوا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم، فابعثوا أحدكم. ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ قيل: إنها طرسوس[1]. ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ قيل: أكثر، وقيل: أحل، وقيل: إنه أراد شراء زبيب، وقيل: تمر. ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ في اختفائه وتحيله.

﴿إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ أي إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة، وقيل: المعنى يرجموكم بالقول، والأول أظهر.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي كما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم. ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف أي أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ليستدلوا بذلك على صحة البعث من

---

(١) طرسوس: مدينة جليلة، بين انطاكية وحلب، سميت بطرسوس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح، عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قالوا: لما وصل الرشيد إليها جدد عماراتها وشق نهرها. ولها سور وخندق. انظر آثارالبلاد وأخبار العباد للقزويني: ٨٦/١، ومعجم البلدان: ٢٨/٤.

القبور. ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ العامل في إذ أعثرنا أو مضمر، تقديره: اذكر والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون في أصحاب الكهف، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء؟ وقيل: تنازعوا هل تحشر الأجساد أو الأرواح بلا أجساد، فأراهم الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحشر. ﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ أي على باب كهفهم إما ليطمس آثارهم أو ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذهم أو أخذ تربتهم تبركا، وإما ليكون علما على كهفهم ليعرف به. ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾ قيل: يعني الولاة، وقيل: يعني المسلمين؛ لأنهم كانوا أحق بهم من الكفار، فبنوا على باب الكهف مسجدا لعبادة الله.

﴿سَيَقُولُونَ﴾ الضمير لمن كان في زمان النبي ﷺ من اليهود أو غيرهم ممن تكلم في أصحاب الكهف. ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي ظنا وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمي. ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قال قوم: إن الواو واو الثمانية لدخولها هنا وفي قوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾، وفي قوله في أهل الجنة ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وفي قوله في براءة ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، وقال البصريون: لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقوله: جاء زيد وفي يده سيف، قال الزمخشري: وفائدتها التوكيد، والدلالة على أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم صدقوا وأخبروا بحق، بخلاف الذين قالوا ثلاثة ورابعهم كلبهم، والذين قالوا خمسة وسادسهم كلبهم، وقال ابن عطية: دخلت الواو في آخر إخبار عن عددهم لتدل على أن هذا نهاية ما قيل، ولو سقطت لصح الكلام وكذلك دخلت السين في قوله: سيقولون الأول، ولم تدخل في الثاني والثالث استغناء بدخولها في الأول. ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس، وهم من أهل الكتاب قال ابن عباس[1]: أنا من ذلك القليل، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم؛ لأنه قال في الثلاثة

---

(١) صحيح عن ابن عباس، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٤٠٠، والطبري في جامع البيان: ١٧/٦٤٢.

والخمسة رجما بالغيب ولم يقل ذلك في سبعة وثامنهم كلبهم. ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَآءً ظَاهِراً﴾ لا تمار من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج، والمعنى: لا تمار أهل الكتاب في عدة أصحاب الكهف، إلا مراء ظاهرا، أي غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف في الرد عليهم ﴿وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَداً﴾ أي لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف؛ لأن الله قد أوحى إليك في شأنهم ما يغنيك عن السؤال.

﴿وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً ۝ إِلاَّ أَنْ يَّشَآءَ اللَّهُ﴾ سببها[1]: أن قريشا سألوا اليهود عن أمر رسول الله ﷺ، فقالوا لهم: اسألوه عن فتية ذهبوا في الزمان الأول وهم أصحاب الكهف، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين، وعن الروح، فإن أجابكم في الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي، فسألوه فقال: غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله، فأمسك عنه الله الوحي خمسة عشر يوما، فأوجف به كفار قريش وتكلموا في ذلك، فشق ذلك على رسول الله ﷺ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف، فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذي القرنين، وأنزل الله عليه هذه الآية تأديبا لهم وتعليما، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله في كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل، وقوله: ﴿غَداً﴾ يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذي بعد يومه خاصة، وفي الكلام حذف يقتضيه المعنى، وتقديره: ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله، أو تقول: إلا أن يشاء الله، والمعنى: أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من الحول والقوة، وقيل: إن قوله إلا أن يشاء الله يتعلق بقوله: لا تقولن، والمعنى: لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله، بأن يأذن لك فيه، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل، ومعناها: إباحة القول بالإذن فيه حكى ذلك الزمخشري[2]

(١) ضعيف أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٥٩٢، والبيهقي في الدلائل: ٢/٢٦٩، وعزاه في الدر لابن إسحاق: ٥/٣٥٧.

(٢) الكشاف: ٢/٦٦٨.

وحكاه أيضا ابن عطية، وقال: إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى[1].

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ قال ابن عباس[2]: الإشارة بذلك إلى الاستثناء، أي استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا وذلك على مذهبه فإن الاستثناء في اليمين ينفع بعد سنة، وأما مذهب مالك والشافعي فإنه لا ينفع إلا أن يكون متصلا باليمين، وقيل: معنى الآية اذكر ربك إذا غضبت، وقيل: اذكره إذا نسيت شيئا ليذكرك ما نسيت، والظاهر أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت ذكره، أي: ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه واذكره في كل حال، ولذلك قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يذكر الله على كل أحيانه»[3]. ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ هذا كلام أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقوله، والإشارة بهذا إلى خبر أصحاب الكهف، أي: عسى الله أن يؤتيني من الآيات والحجج ما هو أعظم في الدلالة على نبوءتي من خبر أصحاب الكهف، واللفظ يقتضي أن المعنى: عسى أن يوفقني الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب أهل الكهف وأقرب إلى الله، وقيل: إن الإشارة بهذا إلى المنسي أي إذا نسيت شيئا فقل عسى أن يهديني الله لشيء آخر هو أرشد من المنسي.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ في هذا قولان:

أحدهما: أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك ما في قراءة ابن مسعود:

---

(١) المحرر الوجيز: ٣/٥٣٢.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٧/٦٤٥، والطبراني في الكبير: ١١/٦٨، والحاكم في المستدرك: ٤/٣٠٣ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٣٧٢)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (١٨٩)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٣٨٤)، وابن ماجه الحديث رقم: (٣٠٢)، وأحمد: ٦/٧٠.

«وقالوا لبثوا في كهفهم»[١]، وهو معطوف على ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ﴾ فقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾، رد عليهم في هذا العدد المحكي عنهم.

والقول الثاني: أنه من كلام الله تعالى، وأنه بيان لما أجمل في قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾.

ومعنى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ على هذا: أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم، وقد أخبر بمدة لبثهم، فإخباره هو الحق لأنه أعلم من الناس، وكان قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ احتجاجا على صحة ذلك الإخبار، وانتصب ﴿سِنِينَ﴾ على البدل من ثلاثمائة، أو عطف بيان، أو على التمييز، وذلك على قراءة التنوين في ثلاثمائة، وقرئ[٢] بغير تنوين على الإضافة، ووضع الجمع موضع المفرد. ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ أي: ما أبصره وما أسمعه، لأنه تعالى يدرك الخفيات كما يدرك الجليات. ﴿مَا لَهُم﴾ الضمير لجميع الخلق، أو للمعاصرين للنبي ﷺ. ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ هو خبر على القراءة بالياء والرفع وقرئ بالتاء[٣] والجزم على النهي.

﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن، فالمعنى لا يبدل أحد القرآن ولا يغيره، ويحتمل أن يريد بالكلمات القضاء والقدر. ﴿مُلْتَحَدًا﴾

---

(١) ضعيف أخرجه عبد الرزاق في تفسيره: ٢/٤٠٢، وعنه الطبري في جامع البيان: ١٧/٦٤٧، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٣٥٦.

(٢) ﴿ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بغير تنوين على الإضافة؛ وقرأ الباقون بالتنوين. النشر: ٢/٣٤٨، وقال ابن عطية: وقرأ الجمهور ثلاثمائة سنين بتنوين مائة ونصب سنين على البدل من ثلاثمائة وعطف البيان، وقيل: على التفسير والتمييز، وقرأ حمزة والكسائي ويحيى وطلحة والأعمش بإضافة مائة إلى سنين، وترك التنوين، وكأنهم جعلوا سنين بمنزلة سنة إذ المعنى بهما واحد... المحرر الوجيز: ٣/٥٣٤.

(٣) ﴿ولايشرك﴾ قرأ ابن عامر بالخطاب وجزم الكاف على النهي، وقرأ الباقون بالغيب ورفع الكاف على الخبر. النشر: ٢/٣٤٨.

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

ربع

أي ملجئا تميل إليه.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي احبسها صابرا. ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ هم فقراء المسلمين، كبلال وخباب وصهيب، وكان الكفار قد قالوا له: اطرد هؤلاء نجالسك نحن فنزلت الآية[1]. ﴿بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾ قيل المراد الصلوات الخمس، وقيل: الدعاء على الإطلاق. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي لا تتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا، وقال الزمخشري: يقال عداه إذا جاوزه، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف، وإنما تعدى هنا بعن لأنه تضمن معنى: نبت عينه عن الرجل إذا احتقره. ﴿تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ جملة في موضع الحال فهي متصلة بما قبلها، وهي في معنى تعليل الفعل المنهي عنه في قوله ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي لا تبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا. ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ أي جعلناه غافلا، أو وجدناه غافلا، وقيل: إنه يعني عيينة بن حصن الفزاري، والأظهر أنها مطلقة من غير تعيين. ﴿فُرُطًا﴾ من التفريط والتضييع، أو من الإفراط والإسراف.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي هذا هو الحق. ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن﴾ لفظه أمر وتخيير، ومعناه: أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه إما الحق الذي ينجيه، وإما الباطل الذي يهلكه، ففي ضمن ذلك تهديد. ﴿سُرَادِقُهَا﴾ السرادق في اللغة ما

---

(١) ضعيف أخرجه الواحدي في أسبابه، ص: ٢٥٠، وعزاه في الدر: ٣٨٢/٥ لعبد بن حميد عن سلمان الفارسي.

أحاط بالشيء كالسور والجدار، وأما سرادق جهنم فقيل: حائط من نار، وقيل: دخان. ﴿كَالْمُهْلِ﴾ وهو دردي الزيت إذا انتهى حره، روي ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)] وقيل: ما أذيب من الرصاص وشبهه. ﴿مُرْتَفَقاً﴾ أي شيئا يرتفق به، فهو من الرفق، وقيل: يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ﴾ خبر إن، وإنا لا نضيع اعتراض، ويجوز أن يكونا خبرين، أو يكون إنا لا نضيع الخبر وأولئك كلام مستأنف، ويقوم العموم في قوله ﴿مَنْ أَحْسَنَ﴾ مقام الضمير الرابط، أو يقدر من أحسن عملا منهم، وروي[(٢)]: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. ﴿أَسَاوِرَ﴾ جمع أسوار وسوار، وهو ما يجعل في اليد، وقيل: أساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار. ﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ السندس: رقيق الديباج، والإستبرق: الغليظ منه. ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأسرة والفرش.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم﴾ الضمير للكفار الذين قالوا اطرد فقراء المسلمين، وللفقراء الذين أرادوا طردهم، أي مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين، وهما أخوان من بني إسرائيل، أحدهما: مؤمن، والآخر كافر، ورثا مالا عن أبيهما فاشترى الكافر بماله جنتين، وأنفق المؤمن ماله في طاعة الله حتى افتقر، فعيره الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر، وروي: أن اسم المؤمن تمليخ، واسم الكافر فرطوس[(٣)]، وقيل:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٥٨١)، والبغوي في شرح السنة: ٢٤٥/١٥، والطبري في جامع البيان: ١٢/١٨، وابن حبان في صحيحه قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) لم أجده مسندا، قال ابن عطية في المحرر الوجيز: وحكى مكي والزهراوي وغيرهما حديثا مضمنه أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية نزلت في أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سأل أعرابي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الآية فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأعرابي: أعلم قومك أنها نزلت في هؤلاء الأربعة وهم حضور: ٥٤٩/٣.

(٣) لم أجده مسندا، وإنما ذكره البغوي في معالم التنزيل: ١٧٠/٥ بدون سند.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦ أَبَداً ﴿٣٤﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهُمَا مُنقَلَباً ﴿٣٥﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلاً ﴿٣٦﴾ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّيَ أَحَداً ﴿٣٧﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً ﴿٣٨﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيَ أَن يُؤْتِيَنِي خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً ﴿٣٩﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْراً فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَباً ﴿٤٠﴾ وَأُحِيطَ بِثُمُرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيَ أَحَداً ﴿٤١﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِراً ﴿٤٢﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً ﴿٤٣﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَٰحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً ﴿٤٤﴾

ثمن

كانا شريكين اقتسما المال، فاشترى أحدهما بماله جنتين، وتصدق الآخر بماله. ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الهمزة اسم لما يؤكل ويجوز ضم الكاف[1] وإسكانها. ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ أي لم تنقص.

﴿وَكَانَ لَهُۥ ثُمُرٌ﴾ بضم الثاء والميم أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك قاله ابن عباس[2] وقتادة[3]، وقيل: هو الذهب والفضة خاصة، وهو من ثمر ماله إذا كثره، ويجوز إسكان الميم تخفيفا، وأما بفتح الثاء والميم: فهو المأكول من الشجر، ويحتمل المعنى الآخر. ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥ﴾ أي يراجعه في الكلام. ﴿وَأَعَزُّ نَفَراً﴾ يعني الأنصار والخدم.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ﴾ أفرد الجنة هنا، لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخولهما معا في دفعة واحدة. ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه. ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦ أَبَداً﴾ يحتمل أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات فيكون قائلا ببقاء هذا الوجود كافرا بالآخرة، أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطا في الاغترار وقلة التحصيل.

---

(١) ﴿أُكُلَهَا﴾ أسكن الكاف نافع وأبو عمرو والباقون بضمها. النشر: ٢/٢٤٦.

(٢) حسن أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٣٦.

(٣) صحيح عن قتادة أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢١/١٨.

﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخي لأجدن في الآخرة خيرا من جنتي في الدنيا، وقرئ[1] خيرا منهما بضمير الاثنين للجنتين وبضمير الواحد للجنة. ﴿مُنقَلَبًا﴾ أي مرجعا.

﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي خلق منه أباك آدم، وإنما جعله كافرا بالله لشكه في البعث. ﴿سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ كما تقول سواك إنسانا، ويحتمل أن يقصد الرجولية على وجه تعديد النعمة في أن لم يكن أنثى.

﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ قرأ الجمهور بإثبات الألف في الوقف وحذفها في الوصل، والأصل على هذا لكن أنا، ثم ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت، ثم أدغمت النون في النون، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف في الوصل والوقف[2] ويتوجه ذلك بأن تكون لكن لحقتها نون الجماعة التي في خرجنا وضربنا ثم أدغمت النون في النون.

﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ الآية وصية من المؤمن للكافر ولولا تحضيض.

﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ يحتمل أن يريد في الدنيا أو الآخرة. ﴿حُسْبَانًا﴾ أي أمرا مهلكا كالحر والبرد ونحو ذلك. ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ الصعيد وجه الأرض، والزلق: الذي لا يثبت فيه قدم، يعني: أنه تذهب أشجاره ونباته.

﴿غَوْرًا﴾ أي غائرا ذاهبا وهو مصدر وصف به.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ عبارة عن هلاكها. ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ يريد أن السقف وقعت وهي العروش،

---

(١) ﴿خيراً منها﴾ قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر منهما بميم بعد الهاء على التثنية، وكذلك هي في مصاحفهم، وقرأ الباقون بحذف الميم على الإفراد، وكذلك في مصاحفهم. النشر: ٢/٣٤٩.

(٢) النشر: ٢/٣٤٨.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

ثم تهدمت الحيطان عليها، فالحيطان على العروش، وقيل: إن كرومها المعروشة سقطت على عروشها ثم سقطت الكروم عليها. ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ﴾ قال ذلك على وجه التمني لما هلك بستانه، أو على وجه التوبة من الشرك.

﴿هُنَالِكَ﴾ ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه منتصرا أو يكون في موضع خبر الولاية. ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك، وبفتحها من الموالاة والمودة. ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ أي عاقبة.

﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ﴾ الباء سببية، والمعنى: صار به النبات مختلطا، أي ملتفا بعضه ببعض من شدة تكاثفه. ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾ أي متفتتا وأصبح هنا بمعنى صار. ﴿تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ أي تفرقه، ومعنى المثل تشبيه الدنيا في سرعة فنائها بالزرع في فنائه بعد خضرته.

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ﴾ الآية هذا من الجمع بين شيئين في خبر واحد وذلك من أدوات البيان، وقرئ[1] زينتا بالتثنية لأنه خبر عن اثنين، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر. ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ هي: سبحان الله والحمد لله

---

(١) قال السيوطي: وقرئ شاذاً «زينتا الحياة» على التثنية، وسقطت ألفها لفظاً لالتقاء الساكنين فَيُتَوَهَّمُ أنه قرئ بنصب «زينة الحياة» الدر المنثور: ١/٣٠٨٨.

ولا إله إلا الله والله أكبر، هذا قول الجمهور، وقد روي ذلك عن النبي ﷺ[1] وقيل: الصلوات الخمس، وقيل: الأعمال الصالحة على الإطلاق.

﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ أي نحملها ومنه قوله وهي تمر مر السحاب وبعد ذلك تصير هباء ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي ظاهرة لزوال الجبال عنها ﴿وَحَشَرْنَـٰهُمْ﴾ قال الزمخشري[2]: إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضي بعد قوله: ﴿نُسَيِّرُ﴾ للدلالة على أن حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال. ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ﴾ أي لم نترك.

﴿صَفًّا﴾ أي صفوفا فهو إفراد تنزل منزلة الجمع وقد جاء في الحديث: «**إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا**»[3] ﴿لَّقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ. ﴿كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ أي حفاة عراة غرلا.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ﴾ يعني صحائف الأعمال فالكتاب اسم جنس. ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإباية إبليس عن السجود، وظاهر هذا الموضع يقتضي أن إبليس لم يكن من الملائكة، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع، فإن الجن صنف غير الملائكة، وقد يجيب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن كان هنا بمعنى صار أي خرج عن صنف الملائكة إلى صنف الجن، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار.

﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ أي خرج عن ما أمر به، والفسق في اللغة الخروج. ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ﴾ هذا توبيخ ووعظ، وذرية إبليس هم الشياطين،

---

(١) صحيح وهو من حديث أبي هريرة أخرجه الحاكم: ٥٤١/١، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٨٤٨)، والطبراني في الصغير: ٢٤٩/١ قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) الكشاف: ٦٧٨/٢.

(٣) صحيح أخرجه أحمد: ٤٥٣/١، والحاكم: ٨٢/١، والطحاوي في المشكل: ٣٣٧/١، وهو ثابت صحيح بشواهده.

ربع

• وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (٥٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا (٥٩) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١)

واتخاذهم أولياء بطاعتهم في عصيان الله والكفر به.

﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ﴾ الضمير للشياطين على وجه التحقير لهم أو للكفار أو لجميع الخلق، فيكون فيه رد على المنجمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرصة. ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ أي معينا ومعنى المضلين الذين يضلون العباد وذلك يقوي أن المراد الشياطين.

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ﴾ يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم وقد بين هذا بقوله: ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾. ﴿مَّوْبِقًا﴾ أي مهلكا وهو اسم موضع أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك، وقد قيل إنه واد من أودية جهنم، والضمير في بينهم للمشركين وشركائهم.

﴿فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ الظن هنا بمعنى اليقين. ﴿مَصْرِفًا﴾ أي معدلا ينصرفون إليه.

﴿جَدَلًا﴾ أي مخاصمة ومدافعة بالقول، ويقتضي سياق الكلام ذم الجدل، وسببها[1] فيما قيل: مجادلة النضر بن الحارث، على أن الإنسان هنا يراد به الجنس.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا﴾ الآية معناها أن المانع للناس من الإيمان

---

(١) لم أجده مسندا وذكره البغوي في معالم التنزيل: ٥/١٨١، والواحدي في الوسيط: ٢/١٥٤.

والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة وهي الإهلاك في الدنيا أو يأتيهم العذاب يعني عذاب الآخرة، ومعنى قبلا معاينة، وقرئ[١] بضمتين وهو جمع قبيل أي أنواعا من العذاب.

﴿لِيُدْحِضُواْ﴾ أي ليبطلوا. ﴿وَمَا أُنذِرُواْ﴾ يعني العذاب، وما موصولة، والضمير محذوف تقديره: أنذروه أو مصدرية.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ هذه عقوبة على الإعراض المحكي عنهم أو تعليل لهم والأكنة جمع كنان وهو الغطاء، والوقر الصمم وهما على وجه الاستعارة في قلة فهمهم للقرآن، أو عدم استجابتهم للإيمان. ﴿فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ يريد به من قضى الله أنه لا يؤمن.

﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم﴾ الضمير لكفار قريش أو لسائر الناس لقوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ والجملة خبر المبتدإ، والغفور ذو الرحمة صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة ويحتمل أن يكون الغفور وهو الخبر: بيان لمغفرته ورحمته والأول أظهر. ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ قيل: هو الموت وقيل عذاب الآخرة وقيل يوم بدر. ﴿مَوْئِلًا﴾ أي ملجئا يقال وئل للرجل إذا لجأ.

﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ يعني عادا وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد هنا أهل القرى ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ وفي ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش. ﴿وَجَعَلْنَا لِمُهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أي وقتا معلوما، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك فالمصدر على هذا مضاف للمفعول؛ لأن الفعل متعد، وقرئ[٢] بفتح الميم من هلك فالمصدر على هذا مضاف للفاعل.

---

(١) قال الداني: الكوفيون ﴿قبلا﴾ بضمتين والباقون بكسر القاف وفتح الباء. التيسير، ص: ٩٩.

(٢) ﴿لمهلكهم﴾ روى أبو بكر بفتح الميم واللام التي بعد الهاء، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام. النشر: ٢/٣٥٠.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر وهو موسى بن عمران نبي الله، وقال قوم: هو موسى آخر، وذلك باطل رده ابن عباس(١) وغيره ويدل الحديث على بطلانه، وفتاه هو يوشع بن نون، وهو ابن أخت موسى، وهو من ذرية يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، والفتى هنا بمعنى الخديم، وسبب القصة فيما روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الصحيح(٢) أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خطب يوما في بني إسرائيل فقيل له: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ فقال: لا، فأوحى الله إليه بلى عبدنا الخضر، فقال: يا رب دلني على السبيل إلى لقائه، فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا في مكتل، ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين، فإذا فقد الحوت فإن الخضر هنالك، ففعل موسى ذلك حتى لقيه. ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ قال موسى هذا الكلام وهو سائر أي لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين فحذف خبر لا أبرح اختصارا لدلالة المعنى عليه، ومعنى لا أبرح هنا لا أزال لأن حقيقة لا أبرح تقتضي الإقامة في الموضع، وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة، ومجمع البحرين عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه، وهو بحر الأندلس، وقيل: هو مجمع بحر فارس وبحر الروم في المشرق. ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي زمانا طويلا، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة، وقيل: زمان غير محدود، وقيل: هي جمع حقبة وهي السنة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا﴾ الضمير في بلغا لموسى وفتاه، والضمير في بينهما للبحرين. ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ نسب النسيان إليهما وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول فعل بنو فلان كذا إذا فعله واحد منهم، وقيل: نسي الفتى أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء. ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ فاعل اتخذ

(١) أخرجه البخاري الحديث رقم: (٢٣٨٠)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٣١٤٩)، والنسائي في تفسيره: ٢/٢١٨، والطبري في جامع البيان: ١٨/٦٤.

(٢) صحيح وهو ضمن الحديث الذي تقدم تخريجه.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ۞ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

الحوت والمعنى أنه سار في البحر، فقيل: إن الحوت كان ميتا مملوحا ثم صار حيا بإذن الله ووقع في الماء فسار فيه، وقال ابن عباس[1]: إنما حيي الحوت لأنه مسه ماء عين، يقال لها: عين الحياة ما مست قط شيئا إلا حيي، وفي الحديث: «إن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل الطاق وبقي موضع سلوكه في الماء فارغا من الماء فسار مثل السرب»[2] وهو المسلك في جوف الأرض، وذلك معجزة لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: اتخذ الحوت سبيله في البحر سربا حتى وصل إلى البحر، فعام على العادة ويرد هذا ما ورد في الحديث.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ أي جاوزا الموضع الذي وصف له وهو الصخرة التي نام عندها فسار الحوت في البحر بينما كان موسى نائما وكان ذهاب الحوت أمارة لقائه للخضر فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لفتاه آتنا غداءنا. ﴿نَصَبًا﴾ أي تعبا.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾ قال الزمخشري: أرأيت هنا بمعنى

---

(١) قال ابن عطية: ومن غريب ما روي في البخاري عن ابن عباس من قصص هذه الآية أن الحوت إنما حيي لأنه مسه ماء عين هنالك، تدعى عين الحياة ما مست قط شيئا إلا حيي، ومن غريبه أيضا أن بعض المفسرين ذكر أن موضع سلوك الحوت عاد حجرا طريقا، وأن موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى أفضى ذلك الطريق إلى الجزيرة في البحر وفيها وجد الخضر. المحرر الوجيز: ٣/٥٥٥.

(٢) صحيح مضى تخريجه.

أخبرني؟ ثم قال فإن قلت: ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من ﴿أَرَأَيْتَ﴾ و﴿إِذْ أَوَيْنَا﴾ و﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ لا متعلق له؟ فالجواب: أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه، وما اعتراه من نسيانه فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك، فكأنه قال: أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت؟ فحذف بعض الكلام. ﴿نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ أي نسيت أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه في البحر، وتقديره: نسيت ذكر الحوت. ﴿أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ بدل من الهاء في أنسانيه وهو بدل اشتمال. ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً﴾ يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا للناس، ويكون إخبارا من الله تعالى، أي: اتخذ الحوت سبيله في البحر عجبا للناس، أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبا، أي تعجب هو منه وإعراب عجبا مفعول ثان لاتخذ مثل سربا، وقيل: إن الكلام تم عند قوله: في البحر، ثم ابتدأ التعجب فقال: عجبا، وذلك بعيد.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ أي فقد الحوت هو ما كنا نطلب لأنه أمارة على وجدان الرجل. ﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ أي رجعا في طريقهما يقصان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق.

﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا﴾ هو الخضر. ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ يعني النبوة على قول من قال إن الخضر نبي وقيل إنه ليس بنبي ولكنه ولي وتظهر نبوته من هذه القصة؛ لأنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحي، واختلف أيضا هل مات أو هو حي إلى الآن؟ ويذكر كثيرا من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم. ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ في الحديث[١] أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه، فقال له السلام عليك فرفع رأسه وقال: وأني بأرضك السلام؟ قال له: من أنت؟ قال أنا موسى قال موسى بني

---

(١) مضى تخريجه في الحديث السابق.

إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أولم يكن لك في بني إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا، قال: بلى، ولكني أحببت لقاءك وأن أتعلم منك، قال له: إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه أنا.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ﴾ الآية مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع وكذلك ينبغي أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه. ﴿رُشۡدٗا﴾ قرئ[1] بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها والمعنى واحد وانتصب على أنه مفعول ثان بتعلمن، أو حال من الضمير في أتبعك.

﴿فَانطَلَقَا﴾ الضمير لموسى والخضر وفي الحديث أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة فعرفها الخضر فحملا فيها بغير نول أي بغير أجرة. ﴿خَرَقَهَا﴾ روي: أن الخضر أزال لوحين من ألواحها. ﴿شَيۡـًٔا إِمۡرٗا﴾ أي عظيما، وقيل: منكرا.

﴿فَانطَلَقَا﴾ يعني بعد نزولهما من السفينة فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضيء الصورة فاقتلع الخضر رأسه، وقيل: ذبحه، وقيل: أخذ صخرة فضرب بها رأسه، والأول هو الصحيح لوروده في الحديث الصحيح وروي أن اسم الغلام جيسور[2]، بالجيم، وقيل: بالحاء المهملة، قال الزمخشري: إن قلت: لم قال خرقها بغير فاء وقال فقتله بالفاء؟ والجواب: أن خرقها جواب الشرط وقتله من جملة الشرط معطوف عليه، والخبر ﴿قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا﴾ فإن قيل: لم خولف بينهما؟ فالجواب: أن خرق السفينة لم يتعقب الركوب، وقد تعقب القتل لقاء الغلام. ﴿نَفۡسٗا زَاكِيَةَۢ﴾ قيل: إنه كان لم يبلغ فمعنى زكية ليس له ذنب، وقيل: إنه كان بالغا، ولكنه لم ير له موسى ذنبا. ﴿بِغَيۡرِ نَفۡسٖ﴾ يقتضي أنه لو كان قد قتل نفسا

---

(١) ﴿رشدا﴾ قرأ البصريان بفتح الراء والشين، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الشين. النشر: ٢/٣٥٠.

(٢) سبق تخريجه.

• قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٥﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٦﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٧﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٨﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٧٩﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٠﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨١﴾ • وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٢﴾

لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغا، فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسا. ﴿شَيْئًا نُّكْرًا﴾ أي منكرا وهو أبلغ من قوله: ﴿إِمْرًا﴾ ويجوز ضم الكاف وإسكانها.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ﴾ بزيادة لك فيه من الزجر والإغلاظ ما ليس في قوله أولا ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

﴿بَعْدَهَا﴾ الضمير للقصة وإن لم يتقدم لها ذكر، ولكن سياق الكلام يدل عليها. ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾ أي قد أعذرت إلي فأنت معذور عندي، وفي الحديث[1]: «**كانت الأولى من موسى نسيانا**».

﴿أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ قيل هي أنطاكية وقيل برقة وقال أبو هريرة وغيره هي بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة. ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ أي طلبا منهم طعاما. ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ﴾ أن يسقط، وإسناد الإرادة إلى الجدار مجاز ومثل ذلك كثير في كلام العرب وحقيقته أنه قارب أن ينقض ووزن ينقض ينفعل وقيل يفعل بالتشديد كيحمر. ﴿فَأَقَامَهُ﴾ قيل: إنه هدمه ثم بناه، وقيل: مسحه بيده وأقامه فقام. ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي قال موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه أجرا أي طعاما نأكله.

---

(١) البخاري الحديث رقم: (١٢٢)، ومسلم الحديث رقم: (٦٣١٣)، وابن حبان الحديث رقم: (٦٢٢٠).

﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ إنما قال له هذا لأجل شرطه في قوله: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ على أن قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ ليس بسؤال ولكن في ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه؛ لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام والبين هنا ليس بظرف وإنما معناه الوصلة والقرب، وقال الزمخشري[1]: الأصل هذا فراق بيني وبينك بتنوين فراق ونصب بيني على الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الظرف والإشارة بقوله هذا إلى السؤال الثالث الذي أوجب الفراق.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ قيل: إنهم تجار ولكنه قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم أو لكونهم في لجج البحر، وقيل: كانوا عشرة إخوة، منهم خمسة عاملون بالسفينة، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم، وقرئ مساكين[2] بتشديد السين أي يمسكون السفينة. ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم﴾ قيل: معناه قدامهم، وقرأ ابن عباس[3] أمامهم وقال ابن عطية: إن وراءهم على بابه[4] ولكن روعي به الزمان فالوراء هو المستقبل، والأمام هو الماضي.

---

(١) الكشاف: ٢/٦٩١.

(٢) قال ابن عطية: قرأ الجمهور ﴿لمساكين﴾ بتخفيف السين جمع مسكين، واختلف في صفتهم فقالت فرقة: كانت لقوم تجار، ولكنهم من حيث هم مسافرون على قلة وفي لجة بحر وبحال ضعف عن مدافعة غصب جائر عبر عنهم بـ ﴿مساكين﴾ إذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها. قال القاضي أبو محمد: وهذا كما تقول لرجل غني إذا وقع في وهدة وخطب: مسكين، وقالت فرقة: كانوا عشرة إخوة أهل عاهات خمسة منهم عاملون بالسفينة لا قدرة بهم على العمل، وقرأت فرقة «لمسّاكين» بتشديد السين واختلف في تأويل ذلك، فقالت فرقة: أراد (بـ) المساكين ملاحي السفينة، وذلك أن المساك هو الذي يمسك رجل المركب وكل الخدمة يصلح لإمساكه فسمي الجميع مساكين، وقالت فرقة أراد المساكين دبغة المسوك وهي الجلود، واحدها مسك. المحرر الوجيز: ٣/٥٦٤.

(٣) قال ابن عطية المحرر الوجيز: ٣/٥٦٤، وقرأ ابن جبير وابن عباس «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة».

(٤) المحرر الوجيز المصدر السابق.

﴿كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً﴾ عموم يراد به الخصوص في الجياد والصحاح من السفن ولذلك قرأ ابن مسعود يأخذ كل سفينة صالحة[1]، وقيل: إن اسم هذا الملك هدد بن يدد، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح، وفي الكلام تقديم وتأخير؛ لأن قوله: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾، مؤخر في المعنى عن ذكر غصبها لأن خوف الغصب سبب في أنه عابها، وإنما قدم للعناية به.

﴿وَأَمَّا الْغُلَٰمُ﴾ روي: أنه كان كافرا، وروي: أنه كان يفسد في الأرض. ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ المتكلم بذلك الخضر وقيل إنه من كلام الله وتأويله على هذا فكرهنا وقال ابن عطية[2]: إنه من نحو ما وقع في القرآن من عسى ولعل وإنما هو في حق المخاطبين. ومعنى ﴿يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً﴾ يكلفهما ذلك، والمعنى: أن يحملهما حبه على اتباعها، أو يضر بهما لمخالطته مع مخالفته لهما.

﴿خَيْراً مِّنْهُ﴾ أي غلاما آخر خيرا من الغلام المقتول. ﴿زَكَوٰةً﴾ أي طهارة وفضيلة في دينه. ﴿وَأَقْرَبَ رُحْماً﴾ أي رحمة وشفقة، فقيل المعنى: أن يرحمهما، وقيل: يرحمانه.

﴿لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ﴾ اليتيم من فقد أباه قبل البلوغ، وروي: أن اسم الغلامين أصرم وصريم، واسم أبيهما كاشح، وهذا يفتقر إلى صحة نقل. ﴿كَنزٌ لَّهُمَا﴾ قيل: مال عظيم، وقيل: كان علما في صحف مدفونة، والأول أظهر. ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾ قيل: إنه الأب السابع، وظاهر اللفظ أنه الأقرب. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها في أمر مغيب مستأنف لا يعلم ما يكون منه إلا الله،

---

(١) قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا». البخاري الحديث رقم: (٤٤٤٨).

(٢) لفظه: وقرأ ابن مسعود: «فخاف ربك» وهذا بين في الاستعارة، وهذا نظير ما يقع في القرآن في جهة الله تعالى من لعل وعسى، فإن جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية إنما هو بحسبكم أيها المخاطبون. المصدر السابق.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَأَتْبَعَ سَبَباً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِيَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً ﴿٨٣﴾ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً ﴿٨٤﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَاباً نُّكْراً ﴿٨٥﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً ﴿٨٦﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً ﴿٨٧﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السُّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴿٨٩﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً ﴿٩٠﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴿٩١﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴿٩٢﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً ﴿٩٣﴾

وأسند الخضر إلى نفسه في قوله: فأردت أن أعيبها، لأنها لفظة عيب، فتأدب بأن لا يسندها إلى الله وذلك كقول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾. فأسند المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله تأدبا، واختلف في قوله: فأردنا أن يبدلهما، هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله؟ ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِے﴾ هذا دليل على نبوءة الخضر؛ لأن المعنى: أنه فعل ما فعل بأمر الله، أو بوحي.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِے اِ۬لْقَرْنَيْنِ﴾ السائلون اليهود أو قريش بإشارة اليهود وذو القرنين هو الإسكندر الملك وهو يوناني، وقيل: رومي وكان رجلا صالحا، وقيل: كان نبيا، وقيل: كان ملكا بفتح اللام، والصحيح أنه ملك بكسر اللام، واختلف: لم سمي ذو القرنين؟ فقيل: كان له ضفيرتان من شعر هما قرناه فسمي بذلك، وقيل: لأنه بلغ المشرق والمغرب، وكأنه حاز قرني الدنيا.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِے اِ۬لْأَرْضِ﴾ التمكين له أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَےْءٖ سَبَباً﴾ أي علما وفهما يتوصل به إلى معرفة الأشياء والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك. ﴿فَاتَّبَعَ سَبَباً﴾ أي: طريقا يوصله. ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِے عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرئ[1] بالهمز على وزن فعلة

(١) قال الداني: ابن عامر وأبو بكر وحمزة والكسائي ﴿فِے عَيْنٍ حَامِيَةٍ﴾ بألف من غير همز، والباقون بغير ألف مع الهمز. التيسير، ص: ١٠٠، والنشر: ٢/٣٥٤.

أي ذات حمأة، وقرئ بالياء على وزن فاعلة، وقد اختلف في ذلك معاوية وابن عباس، فقال ابن عباس: حمئة، وقال معاوية: حامية فبعثا إلى كعب الأحبار ليخبرهما بالأمر فقال: أما العربية فأنتما أعلما بها مني، ولكن أجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين فوافق ذلك قراءة ابن عباس، ومعنى حامية: حارة، ويحتمل أن يكون بمعنى حمية ولكن سهلت همزته ويتفق معنى القراءتين، وقد قيل: يمكن أن يكون فيها حمئة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للموضعين فيجتمع معنى القراءتين.

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ استدل بهذا من قال إن ذا القرنين نبي؛ لأن هذا القول وحي، ويحتمل أن يكون بإلهام فلا يكون فيه دليل على نبوءته. ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ كانوا كفارا فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام فيحسن إليهم، وقيل: الحسن هنا هو الأسر وجعله حسنا بالنظر إلى القتل.

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ اختار أن يدعوهم إلى الإسلام فمن تمادى على الكفر قتله ومن أسلم أحسن إليه والظلم هنا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله عذابا نكرا عذاب الآخرة.

﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ المراد بالحسنى الجنة، أو الأعمال الحسنة. ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ وعدهم بأن ييسر عليهم.

﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ هؤلاء القوم هم الزنج وهم أهل الهند ومن وراءهم، ومعنى لم نجعل الآية: أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء، وإنما يدخلون من حر الشمس في أسراب تحت الأرض، وقال ابن عطية[1]: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم، وقيل: الستر اللباس،

(١) المحرر الوجيز: ٣/٥٧٢.

فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي أمر ذي القرنين كذلك، أي كما وصفناه تعظيما لأمره، وقيل: إن كذلك راجع لما قبله، أي لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المباني والثياب، وقيل: المعنى وجد عندها قوما كذلك، أي مثل القوم الذين وجد عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله.

﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ أي الجبلين وهما جبلان في طرف الأرض وقرئ[1] بالضم والفتح وهما بمعنى واحد، وقيل: ما كان من خلقة الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح. ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً﴾ قيل: هم الترك. ﴿لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس فهم لا يفقهون القول إلا بالإشارة أو نحوها.

﴿يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم في خلقهم تشويه منهم مفرط الطول ومفرط القصر. ﴿مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ إفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل: كانوا يأكلون بني آدم. ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً﴾ هذا استفهام في ضمنه عرض ورغبة والخرج الجباية ويقال فيه خراج، وقد قرئ[2] بهما فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالا ليقيم بها السد.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي ما بسط الله لي من الملك خير من خرجكم فلا حاجة لي به ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي. ﴿رَدْماً﴾ أي

---

(١) ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفتح السين وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٣٥٤/٢، والتيسير، ص: ١٠٠.

(٢) ﴿سَدّاً﴾ هنا وفي الموضعين من يس، فقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص بفتح السين في الثلاثة وافقهم ابن كثير وأبو عمرو هنا، وقرأ الباقون بضم السين في الثلاثة. النشر المصدر السابق...

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١٠١) أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (١٠٥) ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا (١٠٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾

ربع

حاجزا حصينا والردم أعظم من السد.

﴿سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي بين الجبلين. ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ يريد نفخ الكير أي أوقدوا النار على الحديد. ﴿قِطْرًا﴾ أي نحاسا مذابا، وقيل: هو الرصاص، وروي[1]: أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين الجبلين، ثم أفرغ عليه النحاس المذاب.

﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أصل اسطاعوا استطاعوا حذفت التاء تخفيفا والضمير في يظهروه للسد، ومعنى يظهروه يعلوه ويصعدوا على ظهره فالمعنى أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السد لارتفاعه ولا ينقبوه لقوته.

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ يعني القيامة جعله دكا أي مبسوطا مسوى بالأرض.

﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ﴾ الضمير في تركنا لله ﷻ، ويومئذ يحتمل أن يريد به يوم القيامة؛ لأنه قد تقدم ذكره، فالضمير في قوله بعضهم على هذا لجميع الناس أو يريد بقوله يومئذ يوم كمال السد والضمير في قوله بعضهم على هذا ليأجوج ومأجوج والأول أرجح لقوله بعد ذلك: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ فيتصل الكلام ويموج عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم. ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ الصور هو القرن

(١) لم أجده مسندا ويذكر المفسرون هنا ذلك، انظر الكشاف: ٢/٦٩٧.

الذي ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء في الحديث[١]: ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق والأخرى للقيام من القبور[٢].

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي أظهرناها.

﴿كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ﴾ عبارة عن عمي بصائرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعا.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يعني أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم أنهم يقولون: أنت ولينا من دونهم، والعباد هنا من عبد مع الله ممن لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى ابن مريم. ﴿أَعْتَدْنَا﴾ أي يسرنا. ﴿نُزُلًا﴾ ما ييسر للضيف والقادم عند نزوله والمعنى أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل في قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ الآية في كفار العرب كقوله: ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ وقيل: في الرهبان؛ لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهي لا تقبل منهم، وفي قوله: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ﴾ تجنيس وهو الذي يسمى تجنيس التصحيف. ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ أي ليس لهم حسنة توزن؛ لأن أعمالهم قد حبطت.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٧٤٢)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٤٣٠)، والنسائي في تفسيره الحديث رقم: (٤٠١)، وأحمد: ١٦٢/١، والطبري في جامع البيان: ٢٤/١٦، والحاكم في المستدرك: ٤٣٦/٢، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٢٤٥)، وابن ماجه في سننه الحديث رقم: (٤٢٧٤)، وأحمد: ٤٥٠/٢، والطبري في جامع البيان: ٣١/٢٤، والبغوي في شرح السنة رقم: (٤٣٠١) قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح.

﴿جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ﴾ هي أعلى الجنة حسبما ورد في الحديث[1] ولفظ الفردوس أعجمي معرب.

﴿حِوَلًا﴾ أي تحولا وانتقالا. ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي﴾ الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى والكلمات هي المعاني القائمة بالنفس وهي المعلومات فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله، وكذلك لو جيء ببحر آخر مثله؛ وذلك لأن البحر متناه، وعلم الله غير متناه. ﴿بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ أي زيادة والمدد هو ما يمد به الشيء أي يكثر.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ إن كان الرجاء هنا على بابه، فالمعنى: يرجو حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف، فالمعنى: يخاف سوء لقاء ربه. ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعا إلى قوله: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر، واللفظ يحتمل الوجهين، ولا يبعد أن يحمل على العموم في المعنيين.

*** *** ***

---

(١) البخاري في صحيحه الحديث رقم: (٢٧٩٠)، وأحمد: ٣٣٥/٢، والحاكم: ٨٠/١، وابن حبان: ٤٧١/١٠، والبغوي في معالم التنزيل: ٢٧١/٢، وأبو نعيم في صفة الجنة: ٦١/٢.

سُورَةُ مَرْيَمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

سورة مريم

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ قد تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء، وقيل في هذا: إن الكاف من كريم أو كبير أو كاف، والهاء من هادي، والياء من علي، والعين من عزيز أو عليم، والصاد من صادق، وكان علي[1] بن أبي طالب يقول في دعائه: يا كهيعص، فيحتمل أن تكون الجملة عنده اسما من أسماء الله تعالى، أو ينادي بالأسماء التي اقتطعت منها هذه الحروف. ﴿ذِكْرُ﴾ تقديره هذا ذكر. ﴿عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآءَ﴾ وصفه بالعبودية تشريفا له، وإعلاما له بتخصيصه وتقريبه، ونصب عبده على أنه مفعول لرحمة فإنها مصدر أضيف إلى الفاعل ونصب المفعول، وقيل: هو مفعول بفعل مضمر، تقديره: رحمة عبده، وعلى هذا يوقف على ما قبله، وهذا ضعيف، وفيه تكلف الإضمار من غير حاجة إليه، وقطع العامل عن العمل بعد تهيئته له.

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ﴾ يعني دعاه. ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ أخفاه لأنه يسمع الخفي كما يسمع الجهر، ولأن الإخفاء أقرب إلى الإخلاص وأبعد من الرياء، ولئلا يلومه الناس على طلب الولد.

﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ أي ضعف. ﴿وَٱشْتَعَلَ﴾ استعارة للشيب من اشتعال النار. ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي قد سعدت بدعائي لك فيما تقدم فاستجب لي

(١) لم أجده مسندًا، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٣.

في هذا، فتوسل إلى الله بإحسانه القديم إليه.

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ يعني الأقارب، قيل: خاف أن يرثوه دون نسله، وقيل: خاف أن يضيعوا الدين من بعده. ﴿مِن وَرَآءِي﴾ أي من بعدي. ﴿عَاقِرًا﴾ أي عقيما. ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ يعني وارثا يرثني، قيل: يعني وراثة المال، وقيل: وراثة العلم والنبوءة وهو أرجح لقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»[1] وكذلك.

﴿وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ العلم والنبوءة، وقيل: الملك، ويعقوب هنا هو يعقوب بن إسحاق على الأصح. ﴿رَضِيًّا﴾ أي مرضيا، فهو فعيل بمعنى مفعول.

﴿سَمِيًّا﴾ يعني من سمي باسمه، وقيل: مثيلا ونظيرا، والأول أحسن هنا.

﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ تعجب واستبعاد أن يكون له ولد مع شيخوخته وعقم امرأته فسأل ذلك أولا لعلمه بقدرة الله عليه وتعجب منه لأنه نادر في العادة وقيل: سأله وهو في سن من يرجوه، وأجيب بعد ذلك بسنين وهو قد شاخ. ﴿عِتِيًّا﴾ قيل يبسا في الأعضاء والمفاصل وقيل: مبالغة في الكبر.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف في موضع رفع أي الأمر كذلك تصديقا له فيما ذكر من كبره وعقم امرأته وعلى هذا يوقف على قوله كذلك ثم يبتدأ ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾، وقيل: إن الكاف في موضع نصب بقال، وذلك إشارة إلى مبهم يفسره ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾.

﴿اجْعَل لِّيَ ءَايَةً﴾ أي علامة على حمل امرأته. ﴿سَوِيًّا﴾ أي سليما غير

---

(١) أما قوله ﷺ: «لا نورث» فهو في الصحيحين وغيرهما، البخاري الحديث رقم: (٢٦٢٤)، وفي عدة مواضع أخرى منه، وفيه زيادة: «ما تركناه صدق»، ومسلم الحديث رقم: (١٧٥٩)، ومواضع أخرى منه، وبقية الحديث في السنن. الترمذي الحديث رقم: (١٦٠٨)، والنسائي الحديث رقم: (٤١٤٨)، والمسند الحديث رقم: (١٧٢) قال ابن كثير في تفسيره إسناده صحيح.

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾
وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ
يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ
وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ
مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ
رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ
وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ
رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا
وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا
قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ
يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا
مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

ربع

أخرس، وانتصابه على الحال من الضمير في ﴿تُكَلِّمَ﴾ والمعنى: أنه لا يكلم الناس مع أنه سليم من الخرس، وقيل: إن سويا يرجع إلى الليالي أي مستويات.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ﴾ أي أشار، وقيل: كتبه في التراب إذ كان لا يقدر على الكلام ﴿أَن سَبِّحُوا۟﴾ قيل: معناه صلوا، والسبحة في اللغة الصلاة، وقيل: قولوا سبحان الله.

﴿يَٰيَحْيَىٰ﴾ التقدير: قال الله ليحيى بعد ولادته يا يحيى. ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة. ﴿بِقُوَّةٍ﴾ أي في العلم به، والحفظ له، والعمل به. ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ قيل: الحكم معرفة الأحكام، وقيل: الحكمة، وقيل: النبوءة.

﴿وَحَنَانًا﴾ قيل: معناه رحمة، وقال ابن عباس[1]: لا أدري ما الحنان. ﴿وَزَكَوٰةً﴾ أي طهارة، وقيل: ثناء كما يزكي الشاهد.

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾ خطاب لمحمد ﷺ، والكتاب القرآن.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨/١٥٧ بإسناد صحيح، وأورده ابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٤٠٠ معلقا عن ابن عباس. وفي الدر المنثور: أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس قال: ما أنزل شيء من القرآن إلا وأنا أعلمه إلا أربع آيات: إلا ﴿الرقيم﴾ الكهف الآية: ٩ فإني لا أدري ما هو فسألت كعبا؟ فزعم أنها القرية التي خرجوا منها، ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ قال: لا أدري ما الحنان؟ ولكنها الرحمة. ﴿مِنْ غِسْلِينٍ﴾ لا أدري ما هو؟ ولكني أظنه الزقوم، قال الله ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ قال و﴿الأواه﴾ هو الموقن بالحبشية. الدر المنثور: ٤/٣٠٧.

﴿إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ أي اعتزلت منهم وانفردت عنهم. ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ أي إلى جهة الشرق، ولذلك يصلي النصارى إلى المشرق.

﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ يعني جبريل، وقيل: عيسى، والأول هو الصحيح؛ لأن جبريل هو الذي تمثل لها باتفاق، وعليه فالتقدير: فتمثل هو لها، ومن قال إنه عيسى قدر الكلام: فتمثل الملك لها، قاله ابن عطية[١].

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ لما رأت الملك الذي تمثل لها في صورة البشر قد دخل عليها، خافت أن يكون من بني آدم، فقالت له هذا الكلام، ومعناه إن كنت ممن يتقي الله فابعد عني فإني أعوذ بالله منك، وقيل: إن تقيا اسم رجل معروف بالشر عندهم، وهذا ضعيف وبعيد.

﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ الغلام الزكي هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقرئ[٢]: لأهب بالياء، والفاعل فيه هو ضمير الرب سبحانه وتعالى وقرئ بهمزة التكلم وهو جبريل، وإنما نسب الهبة إلى نفسه لأنه هو الذي أرسله الله بها، أو يكون قال ذلك حكاية عن الله تعالى.

﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ البغي: هي المرأة المجاهرة بالزنا، ووزن بغي فعول.

﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً﴾ الضمير للولد واللام تتعلق بمحذوف، تقديره: لنجعله آية فعلنا ذلك.

﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني في بطنها وكانت مدة حملها ثمانية أشهر، وقال ابن عباس[٣]: حملته وولدته من ساعة ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أي بعيدا، وإنما بعدت حياء

---

(١) المحرر الوجيز: ٤/١١.

(٢) ﴿لأهب لك﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب وورش بالياء بعد اللام، والباقون بالهمز. ينظر النشر: ٢/٣٥٧.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ١٨/١٧٠، وابن كثير: ٥/٢٢٢، وقد أشار إلى إعلال الأثر من حيث المعنى بقوله: «وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل صفتين أربعين يوما...».

من قومها أن يظنوا بها الشر.

﴿فَأَجَآءَهَا﴾ معناه ألجأها وهو منقول من جاء بهمزة التعدية. ﴿ٱلْمَخَاضُ﴾ أي النفاس. ﴿إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ روي: أنها احتضنت الجذع لشدة وجع النفاس. ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ﴾ إنما تمنت الموت خوفا من إنكار قومها وظنهم بها الشر ووقوعهم في دمها، وتمني الموت جائز في مثل هذا وليس هذا من تمني الموت لضر نزل بالبدن فإنه منهي عنه. ﴿وَكُنتُ نَسْيًا﴾ النسي: الشيء الحقير الذي لا يؤبه له، ويقال بفتح النون وكسرها[1].

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَا﴾ قرئ من بفتح الميم وكسرها وقد اختلف على كلتا القراءتين هل هو جبريل أو عيسى؟ وعلى أنه جبريل، قيل: إنه كان تحتها كالقابلة، وقيل: كان في مكان أسفل من مكانها ﴿أَلَّا تَحْزَنِى﴾ تفسير للنداء فأن مفسرة. ﴿سَرِيًّا﴾ جدولا، وهي ساقية من ماء كان قريبا من جذع النخلة، وروي[2]: أن النبي ﷺ فسره بذلك، وقيل: يعني عيسى فإن السري الرجل الكريم.

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ كان جذعا يابسا فخلق الله فيه الرطب كرامة لها وتأنيسا، وقد استدل بعض الناس بهذه الآية على أن الإنسان ينبغي له أن يتسبب في طلب الرزق؛ لأن الله أمر مريم بهز النخلة، والباء في بجذع زائدة كقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾. ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ الفاعل بتساقط النخلة وقرئ[3] بالياء والفاعل على ذلك الجذع ورطبا تمييز والجني معناه الذي

---

(١) قرأ حمزة وحفص بفتح النون وقرأ الباقون بكسرها. المصدر السابق.

(٢) هو مرفوع ضعيفا أخرجه الطبراني في المعجم الصغير: ٢/١١، وابن عدي في الكامل: ٦/٤٠٢، وهو موقوف صحيحا، وعلقه البخاري في صحيحه: ٢/٤٨٥.

(٣) ﴿تساقط﴾ قرأ حمزة بفتح التاء والقاف وتخفيف السين، ورواه حفص بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين أيضاً، وقرأ يعقوب بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف، واختلف عن أبي بكر فرواه العليمي كقراءة يعقوب، وكذا رواه أبو الحسن الخياط عن شعيب عن يحيى عنه=

فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً فَلَنُ اكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً (٢٥) فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً (٢٦) يَٰأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتُ امُّكِ بَغِيّاً (٢٧) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً (٢٨) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَٰنِيَ الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً (٢٩) وَجَعَلَنِي مُبَٰرَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيّاً (٣٠) وَبَرّاً بِوَالِدَتِيَ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً (٣١) وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ ابْعَثُ حَيّاً (٣٢) ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلُ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٣) مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٣٤) وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٣٥) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٦) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّٰلِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣٧)

طاب وصلح لأن يجتني.

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي﴾ أي كلي من الرطب واشربي من ماء الجدول وهو السري. ﴿وَقَرِّي عَيْناً﴾ أي طيبي نفسا بما جعل الله لك من ولادة نبي كريم، أو من تيسير المأكول والمشروب. ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد، وترين فعل خوطبت به المرأة ودخلت عليه النون الثقيلة للتأكيد. ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْماً﴾ أي صمتا عن الكلام، وقيل: يعني الصيام لأن من شرطه في شريعتهم الصمت، وإنما أمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتهمين لها، ولأن عيسى تكلم عنها فإخبارها بأنها نذرت الصمت بهذا الكلام، وقيل: بالإشارة، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت.

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ لما رأت الآيات علمت أن الله سيبين عذرها فجاءت به من المكان القصي إلى قومها. ﴿شَيْئاً فَرِيّاً﴾ أي شنيعا، وهو من الفرية.

﴿يَٰأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ كان هارون عابدا من بني إسرائيل شبهت به مريم في كثرة العبادة، فقيل لها: أخته بمعنى أنها شبهه، وقيل: كان أخاها من أبيها وكان رجلا صالحا، وقيل: هو هارون النبي أخو موسى وكانت من ذريته فأخت على هذا كقولك أخو بني فلان أي واحد منهم، ولا يتصور على هذا القول أن تكون أخته من

= ورواه سائر أصحاب يحيى بن آدم عنه عن أبي بكر كذلك، إلا أنه بالتأنيث وبذلك قرأ الباقون. النشر: ٣٥٧/٢.

النسب حقيقة، فإن بين زمانهما دهرا طويلا.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي إلى ولدها ليتكلم وصمتت هي كما أمرت. ﴿كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ كان بمعنى يكون والمهد هو المعروف، وقيل: المهد هنا حجرها.

﴿ءَاتَىٰنِيَ الْكِتَٰبَ﴾ يعني الإنجيل أو التوراة والإنجيل.

﴿مُبَارَكًا﴾ من البركة، وقيل: نفاعا، وقيل: معلمًا للخير واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَأَوْصَٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ﴾ هما المشروعتان، وقيل: الصلاة هنا الدعاء والزكاة التطهير من العيوب.

﴿وَبَرًّا﴾ معطوف على مباركا، روي: أن عيسى تكلم بهذا الكلام وهو في المهد، ثم عاد إلى حالة الأطفال على عادة البشر، وفي كلامه هذا رد على النصارى لأنه اعترف أنه عبد الله، ورد على اليهود لقوله ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

﴿وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ أدخل لام التعريف هنا لتقدم السلام المنكر في قصة يحيى فهو كقولك: رأيت رجلا فأكرمت الرجل، وقال الزمخشري[1]: الصحيح أن هذا التعريف تعريض بلغة من اتهم مريم كأنه قال: السلام كله علي لا عليكم، بل عليكم ضده.

﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ بالرفع خبر مبتدأ تقديره: هذا قول الحق أو بدل أو خبر بعد خبر وبالنصب على المدح بفعل مضمر أو على المصدرية من معنى الكلام المتقدم. ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي يختلفون فهو من المراء أو يشكون فهو من المرية، والضمير لليهود والنصارى.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ من كلام عيسى وقرئ[2] بفتح الهمزة تقديره: ولأن الله ربي

---

(١) الكشاف: ٣/١٨.

(٢) ﴿وأن الله ربي﴾ قرأ الكوفيون وابن عامر وروح بكسر الهمزة، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٥٨.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

وربكم فاعبدوه، ويكسرها لابتداء الكلام، وقيل: هو من كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والمعنى: يا محمد قل لهم ذلك عيسى ابن مريم، وأن الله ربي وربكم، والأول أظهر.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ هذا ابتداء إخبار والأحزاب اليهود والنصارى لأنهم اختلفوا في أمر عيسى اختلافا شديدا، فكذبه اليهود وعبده النصارى، والحق خلاف أقوالهم كلها. ﴿مِنۢ بَيْنِهِمْ﴾ معناه من تلقائهم ومن أنفسهم، وأن الاختلاف لم يخرج عنهم. ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ أي ما أسمعهم وما أبصرهم يوم القيامة على أنهم في الدنيا في ضلال مبين.

﴿يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ هو يوم يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح، ثم يقال يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت[1]، وقيل: هو يوم القيامة،

(١) في الصحيحين: عن أبي سعيد قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملح فينادي منادٍ يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت ويا أهل النار خلودٌ فلا موت، ثم قرأ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ ـ أهل الدنيا — ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

صحيح البخاري رقم (٤٧٣٠)، وصحيح مسلم رقم (٢٨٤٩)، وغيرهما.

وانتصاب يوم على المفعولية لا على الظرفية. ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ يعني في الدنيا فهو متعلق بقوله: ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أو بأنذرهم.

﴿صِدِّيقاً﴾ بناء مبالغة من الصدق أو من التصديق، ووصفه بأنه صديق قبل الوحي نبيء بعده، ويحتمل أنه جمع الوصفين.

﴿مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ﴾ يعني الأصنام. ﴿صِرَاطاً سَوِيّاً﴾ أي قويما.

﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾ قيل: يعني الرجم بالحجارة، وقيل: الشتم. ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً﴾ أي حينا طويلا، وعطف اهجرني على محذوف، تقديره: احذر رجمي لك.

﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ هو وداع مفارقة، وقيل: مسالمة لا تحية لأن ابتداء الكافر بالسلام لا يجوز. ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ﴾ وعد وهو الذي أشير إليه بقوله: ﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ قال ابن عطية: معناه سأدعو الله أن يهديك فيغفر لك بإيمانك، وذلك لأن الاستغفار للكافر لا يجوز، وقيل: وعده أن يستغفر له مع كفره، ولعله كان لم يعلم أن الله لا يغفر للكفار حتى أعلمه بذلك، ويقوي هذا القول قوله: ﴿وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ ومثل هذا قول النبي ﷺ لأبي طالب: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»[1] ﴿حَفِيّاً﴾ أي بارا متلطفا.

﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ أي ما تعبدون.

﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ هما ابنه وابن ابنه وهبهما الله له عوضا من أبيه وقومه الذين اعتزلهم.

﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ النبوءة، وقيل: المال والولد، واللفظ أعم من ذلك، ﴿لَهُمْ لِسَانَ﴾ يعني الثناء الباقي عليهم إلى آخر الدهر.

---

(١) البخاري الحديث رقم: (١٢٩٤)، ومسلم الحديث رقم: (٢٤)، والنسائي الحديث رقم: (٢٠٣٥)، وهذا الحديث سبق تخريجه.

وَنَادَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

﴿مُخْلِصًا﴾ بكسر اللام[1] أي أخلص نفسه وأعماله لله وبفتحها أي أخلصه الله للنبوءة والتقريب. ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ النبي أعم من الرسول؛ لأن النبي كل من أوحى الله إليه، ولا يكون رسولا حتى يرسله الله إلى الناس مع النبوءة، فكل رسول نبيء وليس كل نبيء رسولا.

﴿وَنَادَيْنَٰهُ﴾ هو تكليم الله له. ﴿ٱلطُّورِ﴾ وهو الجبل المشهور بالشام. ﴿ٱلْأَيْمَنِ﴾ صفة للجانب، وكان على يمين موسى حين وقف عليه، ويحتمل أن يكون من اليمن. ﴿نَجِيًّا﴾ النجي فعيل وهو المنفرد بالمناجاة، وقيل: هو من النجاة، والأول أصح.

﴿مِن رَّحْمَتِنَا﴾ من سببية أو للتبعيض، وأخاه على الأول مفعول وعلى الثاني بدل.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ روي[2]: أنه وعد رجلا إلى مكان فانتظره فيه سنة، وقيل: الإشارة إلى صدق وعده في قصة الذبح في قوله ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، وهذا يدل على قول من قال إن الذبيح هو إسماعيل.

﴿إِدْرِيسَ﴾ هو أول نبيء بعث إلى أهل الأرض بعد آدم، وهو أول من خط

---

(١) ﴿مخلصا﴾ قرأ الكوفيون بفتح اللام، وقرأ الباقون بكسر اللام. النشر: ٢/٣٣٢.

(٢) ضعيف أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٧/٢٤١١ معلقا عن سفيان الثوري قال: بلغني أن إسماعيل وصاحبا له إلى آخر القصة.

بالقلم، ونظر في علم النجوم، وخاط الثياب، وهو من أجداد نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال ابن عباس: رفعه الله إلى السماء وهناك مات، وفي حديث الإسراء: وإنه في السماء الرابعة، وقيل: يعني رفعة النبوءة تشريف منزلته، والأول أشهر ورجحه الحديث.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إشارة إلى كل من ذكر في هذه السورة من زكرياء إلى إدريس. ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ من هنا للبيان، والتي بعدها للتبعيض. ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ يعني نوحا وإدريس. ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا﴾ يعني إبراهيم. ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ يعني إسماعيل وإسحاق ويعقوب. ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ يعني أن من ذريته موسى وهارون ومريم وعيسى وزكرياء ويحيى. ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ يحتمل العطف على من الأولى أو الثانية. ﴿وَبُكِيًّا﴾ جمع باك ووزنه فعول.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ يقال في عقب الخير خلف بفتح اللام، وفي عقب الشر خلف بالسكون، وهو المعنى هنا، واختلف فيمن المراد بذلك فقيل: النصارى لأنهم خلفوا اليهود، وقيل: كل من كفر وعصى من بعد بني إسرائيل ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قيل: تركوها، وقيل: أخرجوها عن أوقاتها. ﴿يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ الغي: الخسران، وقد يكون بمعنى الضلال فيكون على حذف مضاف، تقديره: يلقون جزاء غي.

﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ استثناء يحتمل الاتصال والانقطاع.

﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ أي أخبرهم من ذلك بما غاب عنهم. ﴿مَأْتِيًّا﴾ وزنه مفعول، فقيل: إنه بمعنى فاعل لأن الوعد هو الذي يأتي، وقيل: إنه على بابه؛ لأن الوعد هو الجنة وهم يأتونها.

﴿لَغْوًا﴾ يعني ساقط الكلام. ﴿إِلَّا سَلَٰمًا﴾ استثناء منقطع. ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

قيل: المعنى أن زمانهم يقدر بالأيام والليالي، إذ ليس في الجنة نهار ولا ليل، وقيل: المعنى أن الرزق يأتيهم في كل حين يحتاجون إليه، وعبر عن ذلك بالبكرة والعشي على عادة الناس في أكلهم.

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ حكاية قول جبريل حين غاب عن النبي ﷺ، فقال له: أبطأت عني واشتقت إليك، فقال: إني كنت أشوق، ولكني عبد مأمور، إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست، ونزلت هذه الآية ﴿لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي له ما قدامنا، وما خلفنا، وما نحن فيه، من الجهات والأماكن فليس لنا الانتقال من مكان إلى مكان إلا بأمر الله، وقيل: ما بين أيدينا الدنيا إلى النفخة الأولى في الصور، وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين، وقيل: ما مضى من أعمارنا وما بقي منها والحال التي نحن فيها والأول أكثر مناسبة لسياق الآية. ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ هو فعيل من النسيان بمعنى الذهول، وقيل: بمعنى الترك، والأول أظهر.

﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي مثيلا ونظيرا فهو من المسامي والمضاهي، وقيل: من تسمى باسمه لأنه لم يتسم باسم الله غير الله تعالى.

﴿وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ هذه حكاية قول من أنكر البعث من القبور، والإنسان هنا جنس يراد به الكفار، وقيل: إن القائل لذلك أبي بن خلف، وقيل: أمية بن خلف، والهمزة التي دخلت على أئذا ما مت للإنكار

والاستبعاد، واللام في قوله: لسوف سيقت على الحكاية لقول من قال بهذا المعنى والإخراج يراد به البعث.

﴿أَوَلاَ يَذْكُرُ ٱلإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ﴾ احتجاج على صحة البعث، ورد على من أنكره لأن النشأة الأولى دليل على الثانية.

﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَـٰطِينَ﴾ يعني قرناءهم من الشياطين الذين أضلوهم والواو للعطف أو بمعنى مع فيكون الشياطين مفعول معه. ﴿جِثِيّاً﴾ جمع جاث ووزنه مفعول من قولك جثا الرجل إذا جلس جلسة الذليل الخائف.

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾ الشيعة: الطائفة من الناس التي تتفق على مذهب أو اتباع إنسان، ومعنى الآية أن الله ينزع من كل طائفة أعتاها فيقدمه إلى النار. وقال بعضهم المعنى نبدأ بالأكبر جرما فالأكبر جرما. ﴿أَيُّهُمْ﴾ اختلف في إعرابه، فقال سيبويه: هو مبني على الضم لأنه حذف العائد عليه من الصلة، وكأن التقدير: أيهم هو أشد فوجب البناء، وقال الخليل: هو مرفوع على الحكاية، تقديره: الذي يقال له اشد، وقال يونس: علق عنها الفعل وارتفعت بالابتداء.

﴿أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيّاً﴾ الصلي: مصدر صلى النار، ومعنى الآية أن الله يعلم من هو أولى بأن يصلى العذاب.

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ خطاب لجميع الناس عند الجمهور، فأما المؤمنون فيدخلونها ولكنها تخمد فلا تضرهم، فالورود على هذا بمعنى الدخول كقوله: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ و﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ وقيل: الورود بمعنى القدوم عليها، كقوله: ﴿وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ والمراد بذلك جواز الصراط، وقيل: الخطاب للكفار، فلا إشكال. ﴿حَتْماً﴾ أي أمرا لا بد منه.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ إن كان الورود بمعنى الدخول فنجاة الذين اتقوا بكون النار عليهم بردا وسلاما، ثم بالخروج منها، وإن كان بمعنى المرور على

الصراط فنجاتهم بالجواز والسلامة من الوقوع فيها.

﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ الفريقان هم المؤمنون والكفار، والمقام اسم مكان من قام، وقرئ[١] بالضم من أقام والندي المجلس ومعنى الآية أن الكفار قالوا للمؤمنين نحن خير منكم مقاما أي أحسن حالا في الدنيا وأجمل مجلسا فنحن أكرم على الله منكم.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ كم مفعول بأهلكنا ومعنى الآية رد على الكفار في قولهم المذكور أي ليس حسن الحال في الدنيا دليلا على الكرامة عند الله لأن الله قد أهلك من كان أحسن حالا منكم في الدنيا. ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ قال الزمخشري: هذه الجملة في موضع نصب صفة لكم. ﴿أَثَٰثًا﴾ أي متاع البيت، وقال ابن عطية: هو اسم عام في المال العين، والعروض والحيوان، وهو اسم جمع، وقيل: هو جمع واحده أثاثه. ﴿وَرِءْيًا﴾ بهمزة ساكنة قبل الياء معناه منظر حسن، وهو من الرؤية والرئي: اسم المرئي وقرئ[٢] بتشديد الياء من غير همز وهو تخفيف من الهمز فالمعنى متفق، وقيل: هو من ري الشارب أي التنعم بالمشارب والمآكل وقرأ ابن عباس[٣] زيا بالزاي.

﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ أي يمهله ويملي له، واختلف: هل هذا الفعل دعاء أو خبر سيق بلفظ الأمر تأكيدا؟.

﴿حَتَّىٰٓ﴾ هنا غاية للمد في الإضلال. ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ يعني عذاب الدنيا. ﴿شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ في مقابلة قولهم ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ ذكر في الكهف. ﴿وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي مرجعا وعاقبة.

---

(١) ﴿مقاما﴾ قرأ ابن كثير بضم الميم، وقرأ الباقون بفتحها. النشر: ٢/٣٥٨.

(٢) ﴿وريّا﴾ بتشديد الياء غير مهموز، ابن ذكوان وقالون. العنوان، ص: ٢٢.

(٣) قال ابن عطية: قرأ سعيد بن جبير ويزيد البربري وابن عباس أيضا «وزيا» بالزاي وهو بمعنى الملبس وهيئته، تقول: زييت بمعنى زينت: ٤/٣٦.

(ثمن)

• أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا (٧٧)
أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِثُهُ مَا
يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا (٨٠) وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا
لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ
ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ
أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ
الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ
جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦) لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ
الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا (٨٧) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ
الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١)
وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ هو العاصي بن وائل. ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ كان قد قال لئن بعثت كما يزعم محمد ليكونن لي هناك مال وولد.

﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ الهمزة للإنكار، والرد على العاصي في قوله.

﴿كَلَّا﴾ رد له عن كلامه. ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ إنما جعله مستقبلا لأنه إنما يظهر الجزاء والعقاب في المستقبل. ﴿وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي نزيد له فيه.

﴿وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ أي نرث الأشياء التي قال إنه يؤتاها في الآخرة وهي المال والولد ووراثتها هي بأن يهلك العاصي ويتركها، وقد أسلم ولداه هشام وعمرو رضي الله عنهما. ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي بلا مال ولا ولد ولا ولي ولا نصير.

﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ قيل: إن الضمير في يكفرون للكفار وفي عبادتهم للمعبودين، فالمعنى كقولهم: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقيل: إن الضمير في يكفرون للمعبودين، وفي عبادتهم للكفار، فالمعنى كقولهم: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾. ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ معناه يكون لهم خلاف ما أملوه منهم، فيصير العز الذي أملوه ذلة، وقيل: معناه أعداء.

﴿أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ تضمن معنى سلطانا ولذلك تعدى بعلى. ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ أي تزعجهم إلى الكفر والمعاصي.

﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ﴾ أي لا تستبطئ عذابهم وتطلب تعجيله. ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا﴾ أي نعد مدة بقائهم في الدنيا، وقيل: نعد أنفاسهم.

﴿وَفۡدٗا﴾ قيل: معناه ركبانا، ومعنى الوفد لغة القادمون وعادتهم الركوب فلذلك قيل ذلك، وقيل: مكرمون لأن العادة إكرام الوفود.

﴿وِرۡدٗا﴾ معناه عطاشا؛ لأن من يرد الماء لا يرده إلا للعطش.

﴿لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ﴾ الضمير يحتمل أن يكون للكفار، والمعنى لا يملكون أن يشفعوا لهم، ويكون ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ استثناء منقطعا بمعنى لكن، أو يكون الضمير للمتقين فالاستثناء متصل، والمعنى: لا يملكون أن يشفعوا إلا لمن اتخذ عهدا، أو لا يملكون أن يشفع منهم إلا من اتخذ عهدا، أو يكون الضمير للفريقين؛ إذ قد ذكروا قبل ذلك، فالاستثناء أيضا متصل، و﴿مَنِ ٱتَّخَذَ﴾ يحتمل أن يراد به الشافع أو المشفوع له. ﴿عَهۡدٗا﴾ يريد به الإيمان والأعمال الصالحة، ويحتمل أن يريد به الإذن في الشفاعة، وهذا أرجح لقوله: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ والظاهر أن ذلك إشارة إلى شفاعة سيدنا محمد ﷺ في الموقف، حين ينفرد بها، ويقول غيره من الأنبياء: «نفسي نفسي»[1].

﴿شَيۡـًٔا إِدّٗا﴾ أي شيئا صعبا.

﴿يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ﴾ أي يتشققن من قول الكفار اتخذ الله ولدا. ﴿هَدًّا﴾ أي انهداما.

﴿أَن دَعَوۡاْ﴾ أي من أجل أن دعوا. ﴿لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ وقرئ[2] ولدا بضم

(١) صحيح وقد مضى تخريجه.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿ولداً﴾ جميع ما في هذه السورة وهو ﴿مالاً وولداً﴾. ﴿الرحمن ولداً﴾، ﴿دعوا للرحمن ولداً﴾، ﴿أن يتخذ ولداً﴾ أربعة أحرف، وفي الزخرف ﴿إن كان للرحمن ولد﴾ فقرأ حمزة والكسائي بضم الواو وإسكان اللام في الخمسة، وقرأ الباقون بفتح الواو واللام فيهن، ونذكر حرف نوح في موضعه إن شاء الله. النشر: ٣٥٨/٢.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَٰوَٰتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾

الواو وإسكان اللام وهي لغة.

﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ رد على مقالة الكفار، والمعنى: أن الكل عبيده، فكيف يكون أحد منهم ولدا له؟ وإن نافية، وكل مبتدأ وخبره ﴿ءَاتِي الرَّحْمَٰنِ﴾.

﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ هي المحبة والقبول الذي يجعله الله في القلوب لمن شاء من عباده، وقيل: إنها نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1].

﴿يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾ الضمير للقرآن، وبلسانك أي بلغتك. ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ جمع ألد وهو الشديد الخصومة والمجادلة، والمراد بذلك قريش، وقيل: معناه فجارا.

﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ هو الصوت الخفي، والمعنى: أنهم لم يبق منهم أثر وفي ذلك تهديد لقريش.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٤٤.

سورة طه

قيل في طه: إنه من أسماء النبي ﷺ، وقيل: معناه يا رجل، وانظر الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة.

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ﴾ قيل: إن النبي ﷺ قام في الصلاة حتى تورمت قدماه[1]، فنزلت الآية[2] تخفيفا عنه، فالشقاء على هذا إفراط التعب في العبادة، وقيل: المراد به التأسف على كفر الكفار، واللفظ عام في ذلك كله، والمعنى: أنه نفى عنه جميع أنواع الشقاء في الدنيا والآخرة؛ لأنه أنزل عليه القرآن الذي هو سبب السعادة.

﴿إِلَّا تَذْكِرَةً﴾ نصب على الاستثناء المنقطع وأجاز ابن عطية[3] أن يكون بدلا من موضع لتشقى؛ إذ هو في موضع مفعول من أجله، ومنع ذلك الزمخشري[4] لاختلاف الجنسين، ويصح أن ينتصب بفعل مضمر، تقديره: أنزلناه تذكرة.

﴿تَنزِيلًا﴾ نصب على المصدرية، والعامل فيه مضمر، أو ﴿مَا أَنزَلْنَا﴾ وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ﴿مَا أَنزَلْنَا﴾ ثم رجع إلى الغيبة في قوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ الآية، وذلك هو الالتفات. ﴿وَالسَّمَٰوَٰتِ الْعُلَى﴾ جمع عليا.

﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ تكلمنا عليه في الأعراف.

﴿الثَّرَىٰ﴾ هو في اللغة التراب الندي، والمراد به هنا الأرض.

﴿وَإِن تَجْهَرْ﴾ مطابقة هذا الشرط لجوابه، كأنه يقول: إن جهرت أو أخفيت فإنه يعلم ذلك؛ لأنه يعلم السر وأخفى. ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ السر الكلام الخفي والأخفى

---

(١) البخاري الحديث (٤٨٣٦) وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم (١١٨٣). أما سبب النزول فضعيف.
(٢) ضعيف أخرجه ابن مردويه كما في تخريج الزيلعي على الكشاف. ٣٤٨/٢.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٦/٤.
(٤) الكشاف: ٥٣/٣.

ما في النفس، وقيل: السر ما في نفوس البشر، والأخفى ما انفرد الله بعلمه.

﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ تكلمنا عليها في الأعراف.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ﴾ لفظه استفهام والمراد به التنبيه.

﴿إِذْ رَءَا﴾ العامل في إذ حديث لأن فيه معنى الفعل، وكان من قصة موسى أنه رحل بأهله من مدين يريد مصر، فسار بالليل واحتاج إلى نار، فقدح بزناده فلم ينقدح، فرأى نارا فقصد إليها فناداه الله وأرسله إلى فرعون. ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أي رأيت. ﴿بِقَبَسٍ﴾ هو الجذوة من النار تكون على رأس العود والقصبة ونحوها. ﴿أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾ يعني هدى إلى الطريق من دليل أو غيره.

﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ قيل: إنما أمر بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار ميت، فأمر بخلع النجاسة، واختار ابن عطية أن يكون أمر بخلعهما ليتأدب ويعظم البقعة المباركة ويتواضع في مقام مناجاة الله، وهذا أحسن. ﴿بِالْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ أي المطهر. ﴿طُوًى﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه اسم للوادي، وإعرابه على هذا بدل، ويجوز تنوينه على أنه مكان وترك صرفه على أنه بقعة.

والثاني: أن معناه مرتين فإعرابه على هذا مصدر، أي قدس الوادي مرة بعد مرة، أو نودي موسى مرة بعد مرة.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ قيل: المعنى لتذكرني فيها، وقيل: لأذكرك بها فالمصدر على الأول مضاف للمفعول، وعلى الثاني مضاف للفاعل، وقيل: معنى لذكري عند ذكري، كقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ أي عند دلوك الشمس، وهذا أرجح لأن النبي ﷺ استدل بالآية على وجوب الصلاة على الناسي إذا ذكرها[1].

(١) ... عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حِينَ قَفَلَ مِنْ غَزْوَةِ خَيْبَرَ سَارَ لَيْلَهُ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ=

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ (١٦) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ (١٨) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ (٢٠) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ (٢١) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ (٢٢) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧)

﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ اضطرب الناس في معناه، فقيل: أخفيها بمعنى أظهرها وأخفيت على هذا من الأضداد، وقال ابن عطية: هذا قول مختل وذلك أن المعروف في اللغة أن يقال أخفى بالألف من الإخفاء، وخفي بغير ألف بمعنى أظهر، فلو كان بمعنى الظهور لقال أخفيها بفتح همزة المضارع، وقد قرئ[1] بذلك في الشاذ، وقال

= الْكَرَى عَرَّسَ وَقَالَ لِبِلاَلٍ «اكْلأْ لَنَا اللَّيْلَ». فَصَلَّى بِلاَلٌ مَا قُدِّرَ لَهُ وَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَلَمَّا تَقَارَبَ الْفَجْرُ اسْتَنَدَ بِلاَلٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ مُوَاجِهَ الْفَجْرِ فَغَلَبَتْ بِلاَلاً عَيْنَاهُ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى رَاحِلَتِهِ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلاَ بِلاَلٌ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ حَتَّى ضَرَبَتْهُمُ الشَّمْسُ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوَّلَهُمُ اسْتِيقَاظًا فَفَزِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ «أَيْ بِلاَلُ». فَقَالَ بِلاَلٌ أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ ـ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ ـ بِنَفْسِكَ قَالَ «اقْتَادُوا». فَاقْتَادُوا رَوَاحِلَهُمْ شَيْئًا ثُمَّ تَوَضَّأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَقَامَ الصَّلاَةَ فَصَلَّى بِهِمُ الصُّبْحَ فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ قَالَ «مَنْ نَسِيَ الصَّلاَةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا فَإِنَّ اللهَ قَالَ ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي﴾. قَالَ يُونُسُ: وَكَانَ ابْنُ شِهَابٍ يَقْرَؤُهَا لِلذِّكْرَى.. مسلم الحديث رقم: (١٥٩٢)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٣٥)، والترمذي الحديث رقم: (٣١٦٣)، والنسائي في سننه الحديث رقم: (٢٩٢٦)، وابن ماجه الحديث رقم: (٦٩٧)، وابن حبان: ٥/٤٢٢.

(١) قال ابن عطية: وقرأ ابن كثير والحسن وعاصم أكاد أخفيها بفتح الهمزة بمعنى أظهرها أي أنها من صحة وقوعها وتيقن كونها تكاد تظهر لكن تنحجب إلى الأجل المعلوم. المحرر الوجيز ٤٩/٤ وقال أبو حيان: ولكن تأخرت إلى الأجل المعلوم، وتقول العرب: خفيت الشيء أي أظهرته. وقال الشاعر:

خفـــاهن مـــن إيقـــانهن كأنمـــا خفـــاهن ودق مـــن عشـــي مجلـــب

تفسيرالبحر المحيط ٢١٨/٦.

الزمخشري: قد جاء في بعض اللغات أخفي بمعنى خفي أي أظهر فلا يكون هذا القول مختلا على هذه اللغة، وقيل: أكاد بمعنى أريد فالمعنى أريد إخفاءها، وقيل: المعنى إن الساعة آتية أكاد، وتم هنا الكلام بمعنى أكاد أنفذها لقربها، ثم استأنف الإخبار فقال: أخفيها، وقيل: المعنى أكاد أخفيها عن نفسي فكيف عنكم، وهذه الأقوال ضعيفة، وإنما الصحيح أن المعنى: أن الله أبهم وقت الساعة فلم يطلع عليه أحدا، حتى أنه كاد أن يخفي وقوعها لإبهام وقتها، ولكنه لم يخفها إذ أخبر بوقوعها، فالأخفى على معناه المعروف في اللغة، وكاد على معناها من مقاربة الشيء دون وقوعه، وهذا المعنى هو اختيار المحققين. ﴿لِتُجْزَىٰ﴾ يتعلق بآتية. ﴿بِمَا تَسْعَىٰ﴾ أي بما تعمل.

﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ الضمير للساعة أي لا يصدنك عن الإيمان بها والاستعداد لها، وقيل: الضمير للصلاة وهو بعيد، والخطاب لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: لمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك بعيد. ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ معناه تهلك والردى هو الهلاك، وهذا الفعل منصوب في جواب لا يصدنك.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ إنما سأله ليريه عظيم ما يفعله في العصا من قلبها حية، فمعنى السؤال تقرير أنها عصى ليتبين له الفرق بين حالها قبل أن يقلبها وبعد أن قلبها، وقيل: إنما سأله ليؤنسه ويبسطه بالكلام.

﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ معناه أضرب بها الشجر لينتشر الورق للغنم. ﴿مَـَٔارِبُ﴾ أي حوائج.

﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ أي تمشي. ﴿سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ يعني أنه لما أخذها عادت عصى كما كانت أول مرة، وانتصب سيرتها على أنه ظرف أو مفعول بإسقاط حرف الجر.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ الجناح هنا الجنب أي تحت الإبط وهو

استعارة من جناح الطائر. ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ﴾ روي[1] أن يده خرجت وهي بيضاء تضيء كالشمس. ﴿مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ يريد من غير برص ولا عاهة.

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ يحتمل أن تكون الكبرى مفعول لنريك، وأن تكون صفة للآيات، ويختلف المعنى على ذلك.

﴿ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ إن قيل: لم قال اشرح لي ويسر لي مع أن المعنى يصح دون قوله لي؟ فالجواب: أن ذلك تأكيد وتحقيق للرغبة.

﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى﴾ العقدة هي التي اعترته بالجمرة حين جعلها في فيه وهو صغير، حين أراد فرعون أن يجرّبه، وإنما قال عقدة بالتنكير لأنه طلب حل بعضها ليفقهوا قوله، ولم يطلب الفصاحة الكاملة.

﴿وَزِيرًا﴾ أي معينا، وإعراب هارون بدل أو مفعول أول.

﴿أَزْرِى﴾ أي ظهري والمراد القوة، ومنه: ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي قواه.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أي قد أعطيناك كل ما طلبت من الأشياء المذكورة.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾ يحتمل أن يكون وحي كلام بواسطة ملك، أو وحي إلهام، كقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾. ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ إبهام يراد به تعظيم الأمر.

﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ الضمير الأول لموسى والثاني للتابوت، أو لموسى، واليم البحر، والمراد به هنا النيل، وكان فرعون قد ذكر له أن هلاكه وخراب ملكه على يد غلام من بني إسرائيل، فأمر بذبح كل ولد ذكر يولد لهم، فأوحى الله إلى أم موسى أن تلقيه في التابوت، وتلقي التابوت في البحر،

(١) أخرج ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور: ٥/٥٦٥، والبغوي في معالم التنزيل: ٥/٢٧٠، والواحدي في الوسيط: ٣/٢٠٤، والمحرر الوجيز: ٤/٥٢ بدون سند.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴿٣٩﴾ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

ففعلت ذلك، وكان فرعون في موضع يشرف على النيل، فرأى التابوت فأمر به فسيق إليه وامرأته معه، ففتح فأشفقت عليه امرأته، وطلبت أن تتخذه ولدا، فأباح لها ذلك. ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾ هو فرعون. ﴿مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ أي أحببتك، وقيل: أراد محبة الناس فيه؛ إذ كان لا يراه أحد إلا أحبه، وقيل: أراد محبة امرأة فرعون ورحمتها له، وقوله: ﴿مِّنِّي﴾ يحتمل أن يتعلق بقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ﴾ أو يكون صفة لمحبة فيتعلق بمحذوف.

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ أي تربى ويحسن إليك بمرأى مني وحفظ، والعامل في لتصنع محذوف.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ العامل في ﴿إِذْ﴾ ﴿تُصْنَعَ﴾ أو ﴿أَلْقَيْتُ﴾ أو فعل مضمر، تقديره: ومننا عليك. ﴿فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ كان لا يقبل ثدي امرأة فطلبوا له مرضعة فقالت أخته ذلك ليرد إلى أمه. ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا﴾ يعني القبطي الذي وكزه فقضى عليه. ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ يعني الخوف من أن يطلب بثأر المقتول. ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ أي اختبرناك اختبارا حتى ظهر منك أنك تصلح للنبوءة والرسالة، وقيل: خلصناك من محنة بعد محنة؛ لأنه خلصه من الذبح، ثم من البحر، ثم من القصاص بالقتل، والفتون: يحتمل أن يكون مصدرا، أو جمع فتنة ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ﴾ يعني الأعوام العشرة التي استأجره فيها شعيب. ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾

أي بميقات محدود قدره الله لنبوءتك.

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ عبارة عن الكرامة والتقريب، أي استخلصتك وجعلتك موضع صنيعتي وإحساني. ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ أي لا تضعفا ولا تقصرا، والوني هو الضعف عن الأمور، والتقصير فيها.

﴿أَن يَفْرُطَ﴾ أي يعمل بالشر.

﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أي سرحهم، وكانوا تحت يد فرعون وقومه، فكانت رسالة موسى إلى فرعون بالإيمان بالله، وتسريح بني إسرائيل. ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ كان يعذبهم بذبح أبنائهم وتسخيرهم في خدمته، وإذلالهم. ﴿قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ﴾ يعني قلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وإنما وحدهما وهما آيتان؛ لأنه أراد إقامة البرهان وهو معنى واحد. ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يحتمل أن يريد التحية أو السلامة.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ أفرد موسى بالنداء بعد جمعه مع أخيه لأنه الأصل في النبوءة وأخوه تابع له.

﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ﴾ المعنى أن الله أعطى خلقه كل شيء يحتاجون إليه، فخلقه على هذا بمعنى المخلوقين، وإعرابه مفعول أول، وكل شيء مفعول ثان، وقيل المعنى: أعطى كل شيء خلقته وصورته، أي أكمل ذلك وأتقنه، فالخلق على هذا بمعنى الخلقة، وإعرابه مفعول ثان، وكل شيء مفعول أول، والمعنى الأول أحسن. ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ أي هدى خلقه إلى التوصل لما أعطاهم وعلمهم كيف ينتفعون به.

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ يحتمل أن يكون سؤاله عن القرون الأولى محاجة ومناقضة لموسى، أي ما بالها لم تبعث كما يزعم موسى؟ أو ما بالها لم

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾

ربع

تكن على دين موسى؟ أو ما بالها كذبت ولم يصبها عذاب كما زعم موسى في قوله: ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾؟ ويحتمل أن يكون قال ذلك قطعا للكلام الأول، وروغانا عنه وحيرة لما رأى أنه مغلوب بالحجة، ولذلك أضرب موسى عن الكلام في شأنها، فقال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ ثم عاد إلى وصف الله رجوعا إلى الكلام الأول.

﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ أي فراشا، وانظر كيف وصف موسى ربه تعالى بأوصاف لا يمكن فرعون أن يتصف بها؟ لا على وجه الحقيقة، ولا على وجه المجاز، ولو قال: هو القادر أو الرازق وشبه ذلك لأمكن فرعون أن يغالطه ويدعي ذلك لنفسه. ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ أي نهج لكم فيها طرقا تمشون فيها. ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ يحتمل أن يكون من كلام موسى على تقدير: يقول الله ﷻ فأخرجنا، ويحتمل أن يكون كلام موسى تم عند قوله: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ ثم ابتدأ كلام الله. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أي أصنافا مختلفة.

﴿كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ المعنى أنها تصلح لأن تؤكل وترعاها الأنعام، وعبر عن ذلك بصيغة الأمر لأنه أذن في ذلك فكأنه أمر به. ﴿لِّأُولِي النُّهَى﴾ أي العقول واحدها نهية.

﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ الضمير للأرض، يريد خلقة آدم من تراب. ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ يعني بالدفن عند الموت. ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ يعني عند البعث.

﴿أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا﴾ يعني الآيات التي رآها فرعون، وهي تسع آيات، وليس يريد جميع آيات الله على العموم، فالإضافة في قوله آياتنا تجري مجرى التعريف بالعهد، أي آياتنا التي أعطينا موسى كلها، وإنما أضافها الله إلى نفسه تشريفا لها.

﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً﴾ يحتمل أن يكون الموعد اسم مصدر أو اسم زمان أو اسم مكان، ويدل على أنه اسم مكان قوله: ﴿مَكَاناً سِوىً﴾، ولكن يضعف بقوله: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾؛ لأنه أجاب بظرف الزمان، ويدل على أن الموعد اسم زمان قوله: ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ ولكن يضعف بقوله: ﴿مَكَاناً سِوىً﴾ ويدل على أنه اسم مصدر بمعنى الوعد قوله: ﴿لاَّ نُخْلِفُهُ﴾ لأن الإخلاف إنما يوصف به الوعد، لا الزمان ولا المكان، ولكن يضعف ذلك بقوله: ﴿مَكَاناً﴾ وبقوله: ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ فلا بد على كل وجه من تأويل أو إضمار، ويختلف إعراب قوله: ﴿مَكَاناً﴾ باختلاف تلك الوجوه، فأما إن كان الموعد اسم مكان فيكون قوله: ﴿مَوْعِداً﴾ و﴿مَكَاناً﴾ مفعولين لقوله: ﴿فَاجْعَلْ﴾ ويطابقه قوله: ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ من طريق المعنى، لا من طريق اللفظ، وذلك أن الاجتماع في المكان يقتضي الزمان ضرورة، وإن كان الموعد اسم زمان فينتصب قوله: ﴿مَكَاناً﴾ على أنه ظرف زمان، والتقدير: موعدا كائنا في مكان، وإن كان الموعد اسم مصدر فينتصب مكانا على أنه مفعول بالمصدر وهو الموعد، أو بفعل من معناه، ويطابقه قوله: ﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ على حذف مضاف، تقديره: موعدكم وعد يوم الزينة، وقرأ الحسن[1] يوم الزينة بالنصب وذلك يطابق أن يكون الموعد اسم مصدر من غير تقدير محذوف.

---

(١) قال ابن عطية: قرأ الحسن والأعمش والثقفي يوم بالنصب على الظرف. المحرر الوجيز: ٤/٦١.

﴿مَكَانًا سِوًى﴾ معناه مستو في القرب منا ومنكم، وقيل: معناه مستو الأرض ليس فيه انخفاض ولا ارتفاع، وقرئ[1] بكسر السين وضمها، والمعنى متفق.

﴿يَوْمُ الزِّينَةِ﴾ يوم عيد لهم، وقيل: يوم عاشوراء. ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ﴾ عطف على الزينة فهو في موضع خفض أو على اليوم فهو في موضع رفع، وقصد موسى أن يكون موعدهم عند اجتماع الناس على رؤوس الأشهاد؛ لتظهر معجزته ويستبين الحق للناس.

﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ معناه يهلككم، ويقال سحت وأسحت، وقد قرئ[2] بفتح الياء وضمها والمعنى متفق.

﴿قَالُوا إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ قرئ[3] إن هذين بالياء ولا إشكال في ذلك وقرئ بتخفيف إن وهي مخففة من الثقيلة وارتفع بعدها هذان بالابتداء، وأما قراءة

---

(١) قال الداني في التيسير: عاصم وابن عامر وحمزة ﴿مكانا سوى﴾ بضم السين والباقون بكسرها.، ص: ١٠٣.

(٢) ﴿فيسحتكم﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ورويس بضم الياء وكسر الحاء، وقرأ الباقون بفتحهما. النشر: ٢/٣٦٠.

(٣) قال ابن عطية: قرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: إن مشددة النون ﴿هذان﴾ بألف ونون مخففة للتثنية، وقرأ أبو عمرو وحده: ﴿إن هذين لساحران﴾ وقرأ ابن كثير: ﴿إن هذان﴾ بتخفيف نون إن وتشديد نون هذان لسحران، وقرأ حفص عن عاصم إن بالتخفيف هذان خفيفة أيضا لساحران، وقرأت فرقة: «إن هذان إلا ساحران» وقرأت فرقة: «إن ذان لساحران» وقرأت فرقة: «ما هذان إلا ساحران» وقرأت فرقة: «إن هذان» بتشديد النون من هذان، فأما القراءة الأولى: فقالت فرقة قوله إن بمعنى نعم، كما روي أن رسول الله ﷺ قال في خطبته: إن الحمد لله فرفع الحمد، وقال ابن الزبير: إن وراكبها حين، قال له الرجل: فأبعد الله ناقة حملتني إليك، ويلحق هذا التأويل أن اللام لا تدخل في خبر الابتداء، وهو مما يجوز في الشعر ومنه قول الشاعر: (الرجز)

أم الحليس لعجوز شهربه ترضى من اللحم بعظم الرقبه)

انظر المحرر الوجيز: ٤/٦٢.

قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ
بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا
تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ
كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ
سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ
أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ
أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ
وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا
جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي
هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ
أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ
مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا
قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ
تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

نافع وغيره بتشديد إن ورفع هذان فقيل: إن هنا بمعنى نعم فلا تنصب ومنه ما روي في الحديث: إن الحمد لله بالرفع، وقيل: اسم إن ضمير الأمر والشأن، تقديره: إن الأمر وهذان لساحران مبتدأ وخبر في موضع خبر إن، وقيل: جاء القرآن في هذه الآية بلغة بني الحارث بن كعب وهي: إبقاء التثنية بالألف في حال النصب والخفض. وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1]: هذا مما لحن فيه كتاب المصحف. ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ أي يذهب بسيرتكم الحسنة.

﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ﴾ أي اعزموا وأنفذوه.

﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ﴾ استدل بعضهم بهذه الآية على أن السحر تخييل لا حقيقة، وقال بعضهم: إن حيلة السحرة في سعي الحبال والعصي هي أنهم حشوها بالزئبق وأوقدوا تحتها نارا وغطوا النار لئلا يراها الناس، ثم وضعوا عليها حبالهم وعصيهم، وقيل: جعلوها للشمس فلما أحس الزئبق بحر النار أو الشمس سال وهو في حشو الحبال والعصي فحملها، فتخيل للناس أنها تمشي فألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا فابتلعتها.

---

(١) ضعيف جدا، فهذه الرواية لم تثبت عن عائشة رضي الله عنها. ومن المعروف أن كتاب المصحف كتبوه بأمر من أمير المؤمنين عثمان، ثم أجمع المسلمون على ذلك الرسم ولم يقبلوا أي تغيير فيه ولا تبديل، فلا يوجد خطأ في الرسم ، وليس محل شك واحتمال. وانظر أحكام القرآن ٤/٢٣١ وإعراب القرآن للنحاس ص/٤٤

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ • وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

ربع

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ ما هنا موصولة وهي اسم إن وكيد خبرها.

﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ قدم هارون لتعادل رؤوس الآي، ويكون على الألف.

﴿مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى.

﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ معطوف على ما جاءنا من البينات، وقيل: هي واو القسم. ﴿هَٰذِهِ الْحَيَوٰةَ﴾ نصب على الظرفية أي إنما قضاؤك في هذه الدنيا.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِماً﴾ قيل: إن هذا وما بعده من كلام السحرة لفرعون على وجه الموعظة، وقيل: هو من كلام الله.

﴿أَنِ اسْرِ بِعِبَادِي﴾ يعني ببني إسرائيل وأضافهم إلى نفسه تشريفا لهم، وكانوا فيما قيل: ستمائة ألف. ﴿يَبَساً﴾ أي يابسا وهو مصدر وصف به. ﴿لاَّ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَىٰ﴾ أي لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه ولا تخشى الغرق في البحر.

﴿مَا غَشِيَهُمْ﴾ إبهام لقصد التهويل. ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ إن قيل: إن قوله: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ﴾ يغني عن قوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ فالجواب: أنه مبالغة وتأكيد، وقال الزمخشري: هو تهكم بفرعون في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾.

﴿يَابَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ خطاب لهم بعد خروجهم من البحر وإغراق فرعون،

وقيل: هو خطاب لمن كان منهم في عصر رسول الله ﷺ، والأول أظهر. ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ﴾ لما أهلك الله فرعون وجنوده أمر موسى وبني إسرائيل أن يسيروا إلى جانب طور سيناء ليكلم فيه ربه، والطور هو الجبل، واختلف هل هذا الطور هو الذي رأى فيه موسى النار في أول نبوءته أو هو غيره؟ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ ذكر في البقرة.

﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي هلك وهو استعارة من السقوط من علو إلى سفل.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ المغفرة لمن تاب حاصلة ولا بد، والمغفرة للمؤمن الذي لم يتب في مشيئة الله عند أهل السنة، وقالت المعتزلة: لا يغفر إلا لمن تاب. ﴿ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ أي استقام ودام على الإيمان والتوبة والعمل الصالح، ويحتمل أن يكون الهدى هنا عبارة عن نور وعلم يجعله الله في قلب من تاب وآمن وعمل صالحا.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ قصص هذه الآية أن موسى عليه السلام لما أمره الله أن يسير هو وبنو إسرائيل إلى الطور تقدم هو وحده مبادرة إلى أمر الله وطلبا لرضاه، وأمر بني إسرائيل أن يسيروا بعده واستخلف عليهم أخاه هارون فأمرهم السامري حينئذ بعبادة العجل، فلما وصل موسى إلى الطور دون قومه قال له الله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ وإنما سأل الله موسى عن سبب استعجاله دون قومه ليخبره موسى بأنهم يأتون على أثره، فيخبره الله بما صنعوا بعده من عبادة العجل، وقيل: إنما سأله على وجه الإنكار لتقدمه وحده دون قومه فاعتذر موسى بعذرين:

أحدهما: أن قومه على أثره أي قريب منه فلم يتقدم عليهم بكثير فيوجب العتاب.

والثاني: أنه إنما تقدم طلبا لرضا الله.

﴿وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ كان السامري رجلا من بني إسرائيل يقال إنه ابن خال موسى، وقيل: لم يكن منهم وهو منسوب إلى قرية بمصر يقال لها سامرة وكان ساحرا منافقا.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ يعني رجع من الطور بعد إكمال الأربعين يوما التي كلمه الله فيها. ﴿أَسِفًا﴾ ذكر في الأعراف.

﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا﴾ يعني ما وعدهم من الوصول إلى الطور. ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ﴾ يعني المدة وهذا الكلام توبيخ لهم.

﴿بِمَلْكِنَا﴾ قرئ بالفتح[1] والضم والكسر، ومعناه ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا، ولكن غلبنا بكيد السامري، فيحتمل أنهم اعتذروا بقلة قدرتهم وطاقتهم، ويناسب هذا المعنى القراءة بضم الميم، أو اعتذروا بقلة ملكهم لأنفسهم في النظر وعدم توفيقهم للرأي السديد، ويناسب هذا المعنى القراءة بالفتح والكسر. ﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ الأوزار هنا الأحمال، سميت أوزارا لثقلها، أو لأنهم اكتسبوا بسببها الأوزار أي الذنوب، وزينة القوم هي حلي القبط قوم فرعون كان بنو إسرائيل قد استعاروه منهم قبل هلاكهم، وقيل: أخذوه بعد هلاكهم فقال لهم السامري: اجمعوا هذا الحلي في حفرة حتى يحكم الله فيه ففعلوا ذلك وأوقد السامري نارا على الحلي وصاغ منه عجلا، وقيل: بل خلق الله منه العجل من غير أن يصنعه السامري ولذلك قال الله لموسى قد فتنا قومك من بعدك. ﴿فَقَذَفْنَٰهَا﴾ أي قذفنا أحمال الحلي في الحفرة. ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ﴾ كان السامري قد رأى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فأخذ من وطء فرسه قبضة من تراب، وألقى الله في نفسه أنه إذا جعلها على شيء مواتا صار حيوانا، فألقاها على العجل فخار العجل، أي صاح

(١) قرأ نافع وعاصم ﴿بملكنا﴾ بفتح الميم، وحمزة والكسائي بضمها، والباقون بكسرها. التيسير، ص: ١٠٤.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٧﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُواْ أَمْرِي ﴿٨٩﴾ قَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩٠﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩١﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيَ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٢﴾ • قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٣﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٤﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَّن تُخْلَفَهُۥ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي الْيَمِّ نَسْفاً ﴿٩٥﴾ إِنَّمَا إِلَٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ﴿٩٦﴾

ثمن

صياح العجول، فالمعنى أنهم قالوا كما ألقينا الحلي في الحفرة ألقى السامري قبضة التراب.

﴿جَسَداً﴾ أي جسما بلا روح، والخوار صوت البقر. ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ﴾ أي قال ذلك بنو إسرائيل بعضهم لبعض.

﴿فَنَسِيَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون من كلام بني إسرائيل، والفاعل موسى، أي نسي موسى إلهه هنا وذهب يطلبه في الطور، والنسيان على هذا بمعنى الذهول.

والوجه الثاني: أن يكون من كلام الله تعالى، والفاعل السامري أي نسي دينه وطريق الحق، والنسيان على هذا المعنى الترك.

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً﴾ معناه لا يرد عليهم كلاما إذا كلموه وذلك رد عليهم في دعوى الربوبية، وقرئ[1] يرجع بالرفع وأن مخففة من الثقيلة، وبالنصب وهي مصدرية.

﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّواْ أَلاَّ تَتَّبِعَنِ﴾ لا زائدة للتأكيد، والمعنى: ما منعك أن تتبعني في المشي إلى الطور، أو تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر لمن عبد العجل وقتالهم بمن لم يعبده.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأت فرقة أن لا يرجع برفع العين وأن على هذه القراءة مخففة من الثقيلة، والتقدير: أنه لا يرجع، وقرأت فرقة أن لا يرجع وأن على هذه القراءة هي الناصبة. المحرر الوجيز: ٧٤/٤.

﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ﴾ ذكر في الأعراف. ﴿لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِيَ﴾ كان موسى قد أخذ بشعر هارون ولحيته من شدة غضبه، لما وجد بني إسرائيل قد عبدوا العجل. ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ أي لو قاتلت من عبد العجل منهم بمن لم يعبده لقلت فرقت جماعتهم وأدخلت العداوة بينهم، وهذا على أن يكون معنى قوله تتبعني في الزجر والقتال، أو لو اتبعتك في المشي إلى الطور لاتبعني بعضهم دون بعض فتفرقت جماعتهم، وهذا على أن يكون معنى تتبعني في المشي إلى الطور. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ يعني قوله له: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَامِرِيُّ﴾ أي قال موسى: ما شأنك؟ ولفظ الخطب يقتضي الانتهار لأنه يستعمل في المكاره.

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ﴾ أي رأيت ما لم يروه، يعني جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وفرسه. ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي قبضت قبضة من تراب من أثر فرس الرسول وهو جبريل، وقرأ ابن مسعود: «من أثر فرس الرسول»[1] وإنما سمي جبريل بالرسول لأن الله أرسله إلى موسى، والقبضة مصدر قبض، وإطلاقها على المفعول من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الأمير، ويقال قبض بالضاد المعجمة إذا أخذ بأصابعه وكفه، وبالصاد المهملة إذا أخذ بأطراف الأصابع وقد قرئ كذلك في الشاذ[2]. ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي ألقيتها على الحلي فصار عجلا، أو على العجل فصار له خوار.

﴿فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لاَ مِسَاسَ﴾ عاقب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ السامري بأن منع الناس من مخالطته ومجالسته ومؤاكلته ومكالمته، وجعل له مع ذلك أن يقول طول حياته لا مساس أي لا مماسة ولا إذاية، وروي: أنه كان إذا مسه أحد أصابت

---

(١) لم أجده مسندا وهو في الكشاف: ٨٥/٣.

(٢) المصدر السابق.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾

ربع

الحمى له وللذي مسه[1]، فصار هو يبعد عن الناس وصار الناس يبعدون عنه. ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ يعني العذاب في الآخرة، وذلك تهديد ووعيد. ﴿ظَلْتَ﴾ أصله ظللت حذفت إحدى اللامين، والأصل في معنى ظل أقام بالنهار، ثم استعمل في الدأب على الشيء ليلا ونهارا. ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ﴾ من الإحراق بالنار، وقرئ[2] بفتح النون وضم الراء بمعنى نبرده بالمبرد، وقد حمل بعضهم قراءة الجماعة على أنها من هذا المعنى لأن الذهب لا يفنى بالإحراق بالنار، والصحيح أن المقصود بإحراقه بالنار إذابته وإفساد صورته، فيصح حمل قراءة الجماعة على ذلك. ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ أي نلقيه في البحر، والنسف تفريق الغبار ونحوه، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية من كلام موسى لبني إسرائيل.

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ مخاطبة من الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ وأنباء ما قد سبق: أخبار المتقدمين. ﴿ذِكْرًا﴾ يعني القرآن.

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٣٦٣/١٨ عن قتادة بسند حسن وذكره البغوي في معالم التنزيل: ٢٩٢/٥، والقرطبي في أحكامه: ٢٤١/١١، وابن الجوزي في زاد المسير: ٣١٩/٥.

(٢) قال ابن الجزري: واختلفوا في ﴿لنحرقنه﴾ فقرأ أبو جعفر بإسكان الحاء وتخفيف الراء، وقرأ الباقون بفتح الحاء وتشديد الراء، وروى ابن وردان عنه بفتح النون وضم الراء، وهي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وانفرد ابن سوار بهذا عن ابن جماز، كما انفرد ابن مهران بالأولى عن ابن وردان، والصواب كما ذكرناه. وقرأ الباقون بضم النون وكسر الراء. النشر: ٣٦٢/٢.

﴿مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ يعني إعراض تكذيب به. ﴿وِزْراً﴾ الوزر في اللغة الثقل، ويعني هنا العذاب لقوله: ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أو الذنوب لأنها سبب العذاب.

﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ شبه الوزر بالحمل لثقله، قال الزمخشري: ساء تجري مجرى بئس، ففاعلها مضمر يفسره. ﴿حِمْلاً﴾ وقال غيره فاعلها مضمر يعود على الوزر.

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ أي ينفخ الملك في القرن، وقرئ[1] ننفخ بالنون أي بأمرنا ﴿زُرْقاً﴾ أي زرق الألوان كالسواد وقيل زرق العيون من العمى.

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً﴾ أي يقول بعضهم لبعض في السر إن لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال وذلك لاستقلالهم مدة الدنيا وقيل يعنون لبثهم في القبور.

﴿يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْماً﴾ أي يقول أعلمهم بالأمور، فالإضافة إليهم، إن لبثتم إلا يوما واحدًا، فاستقل المدة أشد مما استقلها غيره.

﴿يَنسِفُهَا رَبِّي﴾ أي يجعلها كالغبار ثم يفرقها.

﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً﴾ الضمير في يذرها للجبال، والمراد موضعها من الأرض، والقاع الصفصف: المستوي من الأرض الذي لا ارتفاع فيه. ﴿لاَّ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً﴾ المعروف في اللغة أن العوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأشخاص، والأرض شخص، فكان الأصل أن يقال فيها بالفتح وإنما قاله بالكسر مبالغة في نفيه، فإن الذي في المعاني أدق من الذي في الأشخاص، فنفاه ليكون غاية في نفي العوج من كل وجه. ﴿وَلاَ أَمْتاً﴾ الأمت: هو الارتفاع اليسير.

---

(١) ﴿ينفخ في الصور﴾ قرأ أبو عمرو بالنون وفتحها وضم الفاء، وقرأ الباقون بالياء وضمها وفتح الفاء. النشر المصدر السابق.

﴿يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ﴾ يعني الذي يدعو الخلق إلى الحشر. ﴿لَا عِوَجَ لَهُۥ﴾ أي لا يعوج أحد عن اتباعه والمشي نحو صوته، أو لا عوج لدعوته لأنها حق.
﴿هَمْسًا﴾ هو الصوت الخفي.

﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ يحتمل أن يكون الاستثناء متصلا ومن في موضع نصب بـ ﴿تَنفَعُ﴾ وهي واقعة على المشفوع له، فالمعنى لا تنفع الشفاعة أحد إلا من أذن له الرحمن في أن يشفع له، وأن يكون الاستثناء منقطعا، ومن واقعة على الشافع، والمعنى لكن من أذن له الرحمن يشفع. ﴿وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ إن أريد بمن أذن له الرحمن المشفوع فيه فاللام في له بمعنى لأجله، أي رضي قول الشافع لأجل المشفوع فيه، وإن أريد الشافع فالمعنى رضي له قوله في الشفاعة.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الضميران للخلق، والمعنى ذكر في آية الكرسي. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ قيل: المعنى لا يحيطون بمعلوماته، كقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾، والصحيح عندي أن المعنى لا يحيطون بمعرفة ذاته، إذ لا يعرف الله على الحقيقة إلا الله، ولو أراد المعنى الأول لقال: ولا يحيطون بعلمه، ولذلك استثني إلا بما شاء هناك ولم يستثن هنا.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ أي ذلت يوم القيامة.

﴿وَلَا هَضْمًا﴾ أي بخسا ونقصا لحسناته.

﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ أي تذكرا، وقيل: شرفا وهو هنا بعيد.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ أي إذا أقرأك جبريل فاستمع إليه واصبر حتى يفرغ، وحينئذ تقرؤه أنت، فالآية كقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾، وقيل: كان النبي ﷺ إذا أوحي إليه القرآن يأمر

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾﴾

بكتبه[1] في الحين، فأمر بأن يتأنى حتى تفسر له المعاني، والأول أشهر.

﴿عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أي وصيناه أن لا يأكل من الشجرة. ﴿فَنَسِيَ﴾ يحتمل أن يكون النسيان الذي هو ضد الذكر فيكون ذلك عذرا لآدم، أو يريد الترك، وقال ابن عطية: لا يمكن غيره لأن الناسي لا عقاب عليه، وقد تقدم الكلام على قصة آدم وإبليس في البقرة.

﴿فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ أي لا تطيعاه فيخرجكما من الجنة، فجعل المسبب موضع السبب، وخص آدم بقوله: ﴿فَتَشۡقَىٰٓ﴾ لأنه كان المخاطب أولا والمقصود بالكلام، وقيل: لأن الشقاء في معيشة الدنيا مختص بالرجال.

﴿لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ الظمأ هو العطش، والضحى هو البروز للشمس.

﴿يَخۡصِفَانِ﴾ ذكر في الأعراف، وكذلك الشجرة وأكل آدم منها، ذكر ذلك في البقرة.

﴿ٱهۡبِطَا﴾ خطاب لآدم وحواء. ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم﴾ هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة وجوابها فمن اتبع.

﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ أي لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة.

---

(١) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز ٤/٨٢ بدون سند.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ الْاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٧) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي النُّهَىٰ (١٢٨) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى (١٢٩) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآءِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تُرْضَىٰ (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٢) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٣) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٤) قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ الصِّرَٰطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ (١٣٥)

﴿مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي ضيقة، فقيل: إن ذلك في الدنيا، فإن الكافر ضيق المعيشة لشدة حرصه، وإن كان واسع الحال، وقد قال بعض الصوفية: لا يعرض أحد عن ذكر الله إلا أظلم عليه وقته، وتكدر عليه عيشه. وقيل: إن ذلك في البرزخ، وقيل: في جهنم بأكل الزقوم، وهذا ضعيف؛ لأنه ذكر بعد هذا يوم القيامة وعذاب الآخرة. ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ أي يعني أعمى البصر.

﴿فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ من الترك لا من الذهول.

﴿وَلَعَذَابُ ءَالْاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ أي عذاب جهنم أشد وأبقى من العيشة الضنك ومن الحشر أعمى.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ معناه أفلم يتبين لهم، والضمير لقريش، والفاعل بـ ﴿يَهْدِ﴾ مقدر، تقديره: أولم يهد لهم الهدى، أو الأمر، وقال الزمخشري: الفاعل الجملة التي بعده، وقيل: الفاعل ضمير الله ﷻ، ويدل عليه قراءة[1] أفلم نهد بالنون، وقال الكوفيون: الفاعل ﴿كَمْ﴾. ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ يريد أن قريشا يمشون في مساكن عاد وثمود، ويعاينون آثار هلاكهم. ﴿لِّأُوْلِي النُّهَىٰ﴾ أي ذوي العقول.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا﴾ الكلمة هنا القضاء السابق، والمعنى: لولا قضاء الله بتأخير العذاب عنهم لكان العذاب لزاما أي واقعا بهم.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأت فرقة نهد بالنون وهذه القراءة تناسب تأويل من قال في التي قبلها الفاعل الله تعالى. المحرر الوجيز: ٤/٨٦.

﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ معطوف على كلمة، أي لولا الكلمة والأجل المسمى لكان العذاب لزاما، وإنما أخره لتعتدل رؤوس الآي، والمراد بالأجل المسمى يوم بدر، وبذلك ورد تفسيره في البخاري[١] وقيل: المراد به أجل الموت، وقيل: القيامة.

﴿وَسَبِّحْ﴾ يحتمل أن يريد بالتسبيح الصلاة، أو قول سبحان الله، وهو ظاهر اللفظ. ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ في موضع الحال، أي وأنت حامد لربك على أن وفقك للتسبيح، ويحتمل أن يكون المعنى سبح تسبيحا مقرونا بحمد ربك، فيكون أمرا بالجمع بين قوله: سبحان الله، وقوله: الحمد لله، وقد قال رسول الله ﷺ: «وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض»[٢]. ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ إشارة إلى الصلوات الخمس عند من قال إن معنى فسبح الصلاة، فالتي قبل طلوع الشمس الصبح، والتي قبل غروبها الظهر والعصر ﴿وَمِنْ ءَانَآءِ الَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء الآخرة ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المغرب والصبح، وكرر الصبح في ذلك تأكيدا للأمر بها، وسمى الطرفين أطرافا لأحد وجهين: إما على نحو ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، وإما أن يجعل النهار للجنس، فلكل يوم طرف، وآناء الليل ساعاته واحدها إنى.

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ ذكر في الحجر ومد العينين هو تطويل النظر، ففي ذلك دليل على أن النظر غير الطويل معفو عنه. ﴿زَهْرَةَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ شبه نعم الدنيا بالزهر وهو النوار لأن الزهر له منظر حسن ثم يذبل ويضمحل، وفي نصب زهرة خمسة أوجه: أن ينتصب بفعل مضمر على الذم، أو يضمن متعنا معنى أعطينا،

(١) في البخاري الحديث رقم (٤٧٧٤)، و﴿لزامًا﴾ يوم بدر، وانظر الطبري ١٨/٣٩٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٢٢٣)، والترمذي: ٥/٣٤٢، والدارمي رقم: (٦٥٩)، وهو بتمامه: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا، أَوْ مُوبِقُهَا».

ويكون زهرة مفعولا ثانيا له، أو يكون بدلا من موضع الجار والمجرور، أو يكون بدلا من أزواجا على تقدير: ذوي زهرة، أو ينتصب على الحال.

﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ أي لنختبرهم.

﴿لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا﴾ أي لا نسألك أن ترزق نفسك ولا أهلك فتفرغ أنت وأهلك للصلاة فنحن نرزقك، وكان بعض السلف[1] إذا أصاب أهله خصاصة، قال: قوموا فصلوا بهذا أمركم الله، ويتلو هذه الآية.

﴿أَوَ لَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ البينة هنا البرهان والصحف الأولى هي التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، والضمير في ﴿قَالُوا﴾ وفي ﴿أَوَ لَمْ تَأْتِهِم﴾ لقريش لما اقترحوا آية على وجه العناد والتعنت أجابهم الله بهذا الجواب، والمعنى: قد جاءكم برهان ما في التوراة والإنجيل من ذكر محمد ﷺ، فلأي شيء تطلبون آية أخرى؟، ويحتمل أن يكون المعنى قد جاءكم القرآن وفيه من العلوم والقصص ما في الصحف الأولى فذلك بينة وبرهان على أنه من عند الله.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ الآية: معناها لو أهلكنا هؤلاء الكفار قبل بعث محمد ﷺ لاحتجوا على الله بأن يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولا، ولولا هنا عرض فقامت عليهم الحجة ببعثه ﷺ.

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ﴾ أي قل كل واحد منا ومنكم منتظر لما يكون من هذا الأمر. ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ تهديد. ﴿الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ المستقيم.

*** *** ***

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط: ١/٤٨٧، وأبو نعيم في الحلية: ٨/١٧٦ عن عبد الله بن سلام وصحح إسناده السيوطي في الدر المنثور: ٤/٦١٣، وعزاه لأبي عبيد وابن منصور وابن المنذر والبيهقي في الشعب.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ۝٥ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ۝٨ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ۝٩ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠

سورة الأنبياء عليهم السلام

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ الناس لفظ عام، وقال ابن عباس[1] المراد هنا المشركون من قريش بدليل ما بعد ذلك، فإنه من صفاتهم وإنما أخبر عن الساعة بالقرب لأن الذي مضى من الزمان قبلها أكثر مما بقي لها، ولأن كل آت قريب.

﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ يعني بالذكر القرآن، ومحدث أي محدث النزول.

﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الواو في أسروا ضمير فاعل يعود على ما قبله، والذين ظلموا بدل من الضمير، وقيل: الفاعل هو الذين ظلموا، وجاء ذلك على لغة من قال: أكلوني البراغيث[2] وهي لغة بني الحارث بن كعب وقال سيبويه لم تأت هذه اللغة في القرآن، ويحتمل أن يكون الذين ظلموا منصوبا بفعل مضمر على الذم، أو خبر ابتداء مضمر، والأول أحسن. ﴿هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هذا الكلام في موضع نصب بدل من النجوى لأنه هو الكلام الذي تناجوا به، والبشر المذكور في الآية هو محمد ﷺ.

﴿قُل رَّبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ إخبار بأنه سمع ما تناجوا به على أنهم أسروه فإن

(١) لم أجده مسندا ومعناه في المحرر الوجيز غير منسوب لابن عباس. ٤/٨٩.

(٢) أصحاب هذه اللغة يلحقون الفعل المسند إلى ظاهر، مثنى أو مجموع، علامة كضميره. فيقولون: قاما الزيدان، وقاموا الزيدون، وقمن الهندات. فالألف والواو والنون في ذلك حروف، لا ضمائر، لإسناد الفعل إلى الاسم الظاهر، فهذه الأحرف عندهم كتاء التأنيث في نحو: قامت هند، وقد تكلم بهذه اللغة النبي ﷺ، قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار».

قيل هلا قال يعلم السر مناسبة لقوله أسروا النجوى؟ فالجواب: أن القول يشمل السر والجهر فحصل به ذكر السر وزيادة.

﴿بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ أي أخلاط منامات، وحكى عنهم هذه الأقوال الكثيرة، ليظهر اضطراب أمرهم وبطلان أقوالهم. ﴿كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ أي كما جاء الرسل المتقدمون بالآيات فليأتنا محمد بآية فالتشبيه في الإتيان بالمعجزة.

﴿مَا ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ﴾ لما قالوا فليأتنا بآية، أخبرهم الله أن الذين من قبلهم طلبوا الآيات، فلما رأوها ولم يؤمنوا أهلكوا: ثم قال: ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي أن حالهم في عدم الإيمان وفي الهلاك كحال من قبلهم، ويحتمل أن يكون المعنى أن كل قرية هلكت لم تؤمن فهؤلاء كذلك، ولا يكون على هذا جوابا لقولهم ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ بل يكون إخبارا مستأنفا على وجه التهديد، وأهلكناها في موضع الصفة لقرية والمراد أهل القرية.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً﴾ رد على قولهم ﴿هَلْ هَٰذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ والمعنى: أن الرسل المتقدمين رجال من البشر، فكيف تنكرون أن يكون هذا الرجل رسولا؟ ﴿أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ يعني أحبار أهل الكتاب.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ أي ما جعلنا الرسل أجسادا غير طاعمين، ووحد الجسد لإرادة الجنس، و﴿لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ صفة لجسد، وفي الآية رد على قولهم: ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾.

﴿وَمَن نَّشَآءُ﴾ يعني المؤمنين. ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي شرفكم، وقيل: تذكيركم.

﴿قَصَمْنَا﴾ أي أهلكنا وأصله من قصم الظهر أي كسره. ﴿مِن قَرْيَةٍ﴾ يريد أهل القرية، قال ابن عباس[1]: هي قرية باليمن يقال لها حضور، بعث الله إليهم

---

(١) أخرجه السيوطي بسند ضعيف كما في الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٤/٦١٧.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٥) * وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠) أَمِ اتَّخَذُوا ءَالِهَةً مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣) أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ (٢٤)

نبيئا فقتلوه، فسلط الله عليهم بختنصر ملك بابل فأهلكهم بالقتل، وظاهر اللفظ أنه على العموم؛ لأن كم للتكثير، فلا يريد قرية معينة.

﴿يَرْكُضُونَ﴾ عبارة عن فرارهم، فيحتمل أن يكونوا ركبوا الدواب وركضوها لتسرع الجري، أو شبهوا في سرعة جريهم على أرجلهم بمن يركض الدابة.

﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ أي قيل لهم: لا تركضوا، والقائل لذلك هم الملائكة قالوه تهكما بهم، أو رجال بختنصر إن كانت في القرية المعينة قالوا ذلك لهم خداعا ليرجعوا فيقتلوهم. ﴿أُتْرِفْتُمْ﴾ أي نعمتم. ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾ تهكم بهم وتوبيخ، أي ارجعوا إلى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسئلون عما جرى عليكم، ويحتمل أن يكون تسئلون بمعنى يطلب لكم الناس معروفكم، وهذا أيضا تهكم.

﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا﴾ الآية اعتراف وندم حين لم ينفعهم.

﴿حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ شبهوا في هلاكهم بالزرع المحصود، ومعنى خامدين موتى وهو تشبيه بخمود النار.

﴿لَاعِبِينَ﴾ حال منفية أي ما خلقنا السموات والأرض لأجل اللعب بل للاعتبار بها، والاستدلال على صانعها.

﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا﴾ اللهو في لغة اليمن: الولد، وقيل: المرأة، و﴿مِن لَّدُنَّا﴾ أي من الملائكة، فالمعنى على هذا لو أردنا أن نتخذ

ولدا لاتخذناه من الملائكة لا من بني آدم، فهو رد على من قال إن المسيح ابن الله وعزير ابن الله، والظاهر أن اللهو بمعنى اللعب لاتصاله بقوله: ﴿لَٰعِبِينَ﴾ وقال الزمخشري: المعنى على هذا: لو أردنا أن نتخذ لهوا لكان ذلك في قدرتنا، ولكن ذلك لا يليق بنا لأنه مناقض للحكمة، وفي كلا القولين نظر. ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ يحتمل أن تكون إن شرطية وجوابها فيما قبلها، أو نافية والأول أظهر.

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى ٱلْبَاطِلِ﴾ الحق عام في القرآن والرسالة والشرع وكل ما هو حق، والباطل عام في أضداد ذلك. ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾ أي يقمعه ويبطله، وأصله من إصابة الدماغ.

﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ يعني الملائكة. ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ أي لا يعيون ولا يملون.

﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ أم هنا للإضراب عما قبلها، والاستفهام على وجه الإنكار لما بعدها، من الأرض يتعلق بينشرون، والمعنى أن الآلهة التي اتخذها المشركون لا يقدرون أن ينشروا الموتى من الأرض، فليست بآلهة في الحقيقة؛ لأن من صفة الإله القدرة على الإحياء والإماتة.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ هذا برهان على وحدانية الله تعالى، والضمير في قوله فيهما للسموات والأرض، وإلا الله صفة لآلهة وإلا بمعنى غير فاقتضى الكلام أمرين:

أحدهما: نفي كثرة الآلهة ووجوب أن يكون الإله واحدا.

والأمر الثاني: أن يكون ذلك الواحد هو الله دون غيره، ودل على ذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وأما الأول فكانت الآية تدل عليه لو لم تذكر هذه الكلمة، وقال كثير من الناس في معنى الآية إنها دليل على التمانع[1] الذي أورده الأصوليون، وذلك أنا لو

(١) التمانع اصطلاح المتكلمين: هو اقتضاء كل من دليلين عدم مقتضى الآخر، وتفسير برهان التمانع: هو=

فرضنا إلهين فأراد أحدهما شيئا وأراد الآخر نقيضه، فإما أن تنفذ إرادة كل واحد منهما وذلك محال؛ لأن النقيضين لا يجتمعان، وإما أن لا تنفذ إرادة واحد منهما وذلك أيضا محال؛ لأن النقيضين لا يرتفعان معا، ولأن ذلك يؤدي إلى عجزهما وقصورهما، فلا يكونان إلهين، وإما أن ينفذ إرادة واحد منهما دون الآخر، فالذي تنفذ إرادته هو الإله، والذي لا تنفذ إرادته ليس بإله، فالإله واحد، وهذا الدليل إن سلمنا صحته فلفظ الآية لا يطابقه، بل الظاهر من اللفظ استدلال آخر أصح من دليل التمانع، وهو أنه لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا لما يحدث بينهما من الاختلاف والتنازع في التدبير وقصد المغالبة، ألا ترى أنه لا يوجد ملكان اثنان لمدينة واحدة، ولا وليان لخطة واحدة.

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ لأنه مالك كل شيء، والمالك يفعل في ملكه ما يشاء، ولأنه حكيم فأفعاله كلها جارية على الحكمة. ﴿وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ لفقد العلتين.

﴿أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ كرر هذا الإنكار استعظاما للشرك ومبالغة في تقبيحه؛ لأن قبله من صفات الله ما يوجب توحيده، وليناط به ما ذكر بعده من تعجيز المشركين وأنهم ليس لهم على الشرك برهان لا من جهة العقل ولا من جهة الشرع. ﴿هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ﴾ تعجيز لهم، وقد تكلمنا على هاتوا في البقرة. ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ رد على المشركين، والمعنى هذا الكتاب الذي معي والكتب التي من قبلي ليس فيهما ما يقتضي الإشراك بالله بل كلها متفقة على التوحيد.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ الآية رد على المشركين، والمعنى أن كل رسول إنما أتى بلا

= أن افتراض وجود إلهين اثنين يعني جواز اختلاف الداعي في تعلق الإرادة بإيجاد مقدور بعينه، أو عدمه، وذلك محال؛ لأنه يؤدي إما إلى اجتماع النقيضين، أو ارتفاعهما، وإما إلى وصفهما أو وصف أحدهما بالعجز، وانظر حواشي على أم البراهين الكبرى للسنوسي لإسماعيل الحاميدي، ص: ٣٠٩ط الحلبي: ١٣٥٤هـ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

ربع

إله إلا الله.

﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ يعني الملائكة وهم الذين قال فيهم بعض الكفار: إنهم بنات الله، فوصفهم بالعبودية لأنها تناقض البنوة، ووصفهم بالكرامة لأن ذلك هو الذي غر الكفار حتى قالوا فيهم ما قالوا.

﴿لاَ يَسْبِقُونَهُۥ بِالْقَوْلِ﴾ أي لا يتكلمون حتى يتكلم هو تأدبا معه.

﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ أي لمن ارتضى أن يشفع له، ويحتمل أن تكون هذه الشفاعة في الآخرة أو في الدنيا، وهي استغفارهم لمن في الأرض. ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي خائفون.

﴿وَمَنْ يَّقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية على فرض أن لو قالوا ذلك، ولكنهم لا يقولونه، وإنما مقصد الآية الرد على المشركين، وقيل: إن الذي قال إني إله هو إبليس لعنه الله.

﴿كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الرتق مصدر وصف به، ومعناه الملتصق بعضه ببعض، الذي لا صدع فيه ولا فتح، والفتق الفتح، فقيل: كانت السموات ملصقة بالأرض ففتقها الله بالهواء، وقيل: كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والأرضون كذلك ففتقهما الله سبعا سبعا، والرؤية في قوله أولم ير على هذا رؤية قلب، وقيل: فتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، فالرؤية على هذا عين.

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي خلقنا من الماء كل حيوان ويعني بالماء المني، وقيل: الماء الذي يشرب لأنه سبب لحياة الحيوان، ويدخل في ذلك النبات باستعارة.

﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿أَن تَمِيدَ﴾ تقديره كراهية أن تميد. ﴿فِجَاجاً﴾ يعني الطرق الكبار، وإعرابه عند الزمخشري حال من السبل لأنه صفة تقدمت على النكرة. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يعني في طرقهم وتصرفاتهم.

﴿سَقْفاً مَّحْفُوظاً﴾ أي حفظ من السقوط ومن الشياطين. ﴿عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ يعني الكواكب والأمطار والرعد والبرق وغير ذلك.

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ التنوين في كل عوض عن الإضافة أي كلهم في فلك يسبحون يعني الشمس والقمر دون الليل والنهار، إذ لا يوصف الليل والنهار بالسبح في الفلك، فالجملة في موضع حال من الشمس والقمر أو مستأنفا.

فإن قيل: لفظ كل ويسبحون جمع فكيف يعني الشمس والقمر وهما اثنان؟ **فالجواب**: أنه أراد جنس مطالعها كل يوم وليلة وهي كثيرة قاله الزمخشري، وقال الغزنوي: أراد الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة وعبر عنهما بضمير الجماعة العقلاء في قوله ﴿يَسْبَحُونَ﴾ لأنه وصفهم بفعل العقلاء وهو السبح.

فإن قيل: كيف قال في فلك وهي أفلاك كثيرة؟ **فالجواب**: أنه أراد كل واحد يسبح في فلكه وذلك كقولهم: كساهم الأمير حلة، أي كسا كل واحد منهم حلة، ومعنى الفلك جسم مستدير، وقال بعض المفسرين: إنه من موج وذلك بعيد، والحق أنه لا يعلم صفته وكيفيته إلا بإخبار صحيح عن الشارع وذلك غير موجود، ومعنى يسبحون يجرون أو يدورون وهو مستعار من السبح بمعنى العوم في الماء، وقوله: كل في فلك من المقلوب الذي يقرأ من الطرفين.

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ سببها[١] أن الكفار طعنوا على النبي صلى الله عليه وسلم بأنه بشر يموت، وقيل[٢]: إنهم تمنوا موته ليشمتوا به، وهذا أنسب لما

---

(١) لم أجده مسندا وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤/٩٨.

(٢) لم أجده مسندا وذكره البغوي في معالم التنزيل: ٥/٣١٨، وابن الجوزي في زاد المسير:=

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ • قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

بعده. ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ موضع دخول الهمزة فهم الخالدون، وقد تقدمت، لأن الاستفهام له صدر الكلام.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ أي كل نفس مخلوقة لا بد لها أن تذوق الموت، والذوق هنا استعارة. ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ أي نختبركم بالفقر والغنى والصحة والمرض وغير ذلك من أحوال الدنيا، ليظهر الصبر على الشر والشكر على الخير، أو خلاف ذلك. ﴿فِتْنَةً﴾ مصدر من معنى نبلوكم.

﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي يذكرهم بالذم دلت على ذلك قرينة الحال، فإن الذكر قد يكون بذم أو مدح، والجملة تفسير للهزء أي يقولون أهذا الذي. ﴿وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ الجملة في موضع الحال، أي كيف ينكرون ذمك لآلهتهم وهم يكفرون بالرحمن، فهم أحق بالملامة، وقيل: معنى بذكر الرحمن تسميته بهذا الاسم لأنهم أنكروها، والأول أغرق في ضلالهم.

﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ خلق شديد الاستعجال وجاءت هذه العبارة للمبالغة، كقولهم: خلق حاتم من جود، والإنسان هنا جنس، وسبب الآية[1]: أن الكفار استعجلوا الآيات التي اقترحوها، والعذاب الذي طلبوه فذكر الله هذا توطئة

= ٥/٣٥٠ قال البغوي: نزلت هذه الآية حين قالوا: نتربص به ريب المنون.

(١) قال البغوي في معالم التنزيل: ٥/٣١٩ نزل هذا في المشركين كانوا يستعجلون العذاب ويقولون: أمطر علينا حجارة من السماء.

لقوله: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾، وقيل: المراد هنا آدم لأنه لما وصلت الروح إلى صدره أراد أن يقوم، وهذا ضعيف، وقيل: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ أي من طين، وهذا أضعف. ﴿سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي﴾ وعيد وجواب على ما طلبوه من التعجيل.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ الآية تفسير لاستعجالهم. ﴿الْوَعْدُ﴾ القيامة، وقيل: نزول العذاب بهم.

﴿لَوْ يَعْلَمُ﴾ جواب لو محذوف. ﴿حِينَ﴾ مفعول به ليعلموا، أي لو يعلمون الوقت الذي يحيط بهم العذاب لآمنوا وما استعجلوا.

﴿بَلْ تَأْتِيهِم﴾ الضمير الفاعل للنار، وقيل: للساعة. ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ أي تفجؤهم. ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ أي لا يؤخرون عن العذاب.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ﴾ الآية تسلية بالتأسي. ﴿فَحَاقَ﴾ أي أحاط.

﴿مَن يَكْلَؤُكُم﴾ أي من يحفظكم من أمر الله ومن استفهامية، والمعنى تهديد وإقامة حجة؛ لأنهم لو أجابوا على هذا السؤال لاعترفوا أنهم ليس لهم مانع ولا حافظ ثم جاء قوله: ﴿بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ بمعنى أنهم إذا سئلوا عن ذلك السؤال لم يجيبوا عنه؛ لأنهم تقوم عليهم الحجة إن أجابوا ولكنهم يعرضون عن ذكر الله، أي عن الجواب الذي فيه ذكر الله، وقال الزمخشري: معنى الإضراب هنا أنهم معرضون عن ذكره فضلا عن أن يخافوا بأسه.

﴿أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا﴾ أي تمنعهم من العذاب وأم هنا للاستفهام، والمعنى الإنكار والنفي وذلك أنه لما سألهم عمن يكلؤهم أخبر بعد ذلك أن آلهتهم لا تمنعهم ولا تحفظهم، ثم احتج عن ذلك بقوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ﴾ فإن من لا ينصر نفسه أولى أن لا ينصر غيره. ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ الضمير للكفار أي لا يصحبون منا بنصر ولا حفظ.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ (٤٥) وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (٤٦) وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ (٤٧) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْراً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٤٩) وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَٰرَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ (٥٠) • وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَٰلِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّٰعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّٰهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧)

ربع

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ﴾ أي متعناهم بالنعم والعافية في الدنيا فطغوا بذلك ونسوا عقاب الله، والإضراب ببل عن معنى الكلام المتقدم أي لم يحملهم على الكفر والاستهزاء نصر ولا حفظ، بل حملهم على ذلك أنا متعناهم وآباءهم. ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ ذكر في الرعد.

﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَآءَ﴾ إشارة إلى الكفار، والصم استعارة في إفراط إعراضهم.

﴿نَفْحَةٌ﴾ أي خطرة وفيها تقليل العذاب، والمعنى أنهم لو رأوا أقل شيء من عذاب الله لأذعنوا واعترفوا بذنوبهم.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَٰزِينَ الْقِسْطَ﴾ أي العدل وإنما أفرد القسط وهو صفة للجمع لأنه مصدر وصف به كالعدل والرضا، وعلى تقدير ذوات القسط ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة له كفتان ولسان وعمود توزن فيه الأعمال، والخفة والثقل متعلقة بالأجسام إما صحف الأعمال، أو ما شاء الله، وقالت المعتزلة: إن الميزان عبارة عن العدل في الجزاء ﴿لِيَوْمِ الْقِيَٰمَةِ﴾ وقال ابن عطية: تقديره لحساب يوم القيامة، أو لحكمة فهو على حذف مضاف، وقال الزمخشري: هو كقولك: كتبت الكتاب لست خلون من الشهر. ﴿مِثْقَالُ حَبَّةٍ﴾ أي وزنها، والرفع[1] على أن كان تامة، والنصب على أنها ناقصة، واسمها مضمر.

(١) ﴿مثقال﴾ قرأ المدنيان برفع اللام، وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢/٣٦٣.

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾
قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾
قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾
قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا
إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا
عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾
قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ
أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾
قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾
قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا
بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا
إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ
إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿الْفُرْقَانَ﴾ هنا التوراة، وقيل: التفرقة بين الحق والباطل بالنصر وإقامة الحجة.

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ﴾ يعني القرآن. ﴿رُشْدَهُ﴾ أي إرشاده إلى توحيد الله وكسر الأصنام وغير ذلك. ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل موسى وهارون، وقيل: آتيناه رشده قبل النبوءة. ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أي علمناه أنه يستحق ذلك.

﴿التَّمَاثِيلُ﴾ يعني الأصنام، وكانت على صورة بني آدم.

﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ اعتراف بالتقليد من غير دليل.

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ أي: هل الذي تقول جد، أم مزاح؟ وانظر كيف عبر عن الحق بالفعل وعن اللعب بالجملة الاسمية؛ لأنه أثبت عندهم!؟.

﴿فَطَرَهُنَّ﴾ أي خلقهن والضمير للسموات والأرض، أو التماثيل وهذا أليق بالرد عليهم.

﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ﴾ يعني خروجهم إلى عيدهم.

﴿جُذَاذًا﴾ أي فتاتا، ويجوز فيه الضم والكسر والفتح وهو من الجذ بمعنى القطع. ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ ترك الصنم الكبير لم يكسره وعلق القدوم في يده. ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للصنم الكبير أي يرجعون إليه فيسألونه فلا يجيبهم فيظهر لهم أنه لا يقدر على شيء، وقيل: الضمير لإبراهيم عليه الصلاة والسلام،

أي يرجعون إليه فيبين لهم الحق.

﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ قبله محذوف، تقديره: فرجعوا من عيدهم فرأوا الأصنام مكسورة، فقالوا من فعل هذا؟.

﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي يذكرهم بالذم وبقوله لأكيدن أصنامكم. ﴿يُقَالُ لَهُۥ إِبْرَٰهِيمُ﴾ قيل: إن إعراب إبراهيم منادى، وقيل: خبر ابتداء مضمر، وقال الأعلم: هو رفع على الإهمال، والصحيح أنه مفعول لم يسم فاعله، فيقال: لأن المراد الاسم لا المسمى، وهذا اختيار ابن عطية والزمخشري.

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أي يشهدون عليه بما فعل أو يحضرون عقوبتنا له.

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ قصد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا القول تبكيتهم وإقامة الحجة عليهم، كأنه يقول إن كان إلها فهو قادر على أن يفعل وإن لم يقدر فليس بإله، ولم يقصد الإخبار المحض لأنه كذب.

فإن قيل: فقد جاء في الحديث[1]: إن إبراهيم كذب ثلاث كذبات، أحدها: قوله: فعله كبيرهم؟ فالجواب: أن معنى ذلك أنه قال قولا ظاهره الكذب، وإن كان القصد به معنى آخر، ويدل على ذلك قوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ لأنه أراد به أيضا تبكيتهم وبيان ضلالهم.

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي رجعوا إليها بالفكرة والنظر، أو رجعوا إليها بالملامة. ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي الظالمون لأنفسكم في عبادتكم مالا ينطق ولا يقدر على شيء، أو الظالمون لإبراهيم في قولكم عنه: إنه لمن الظالمين، وفي تعنيفه على أعين الناس.

(١) البخاري الحديث رقم: (٣١٧٩)، ومسلم الحديث رقم: (٢٣٧١)، والترمذي الحديث رقم: (٣١٤٨)، وأبو داود الحديث رقم: (٢٢١٢)، وابن حبان في صحيحه: ٤٥/١٣، والمسند الحديث رقم: (٢٥٤٦).

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ استعارة لانقلابهم برجوعهم عن الاعتراف بالحق إلى الباطل والمعاندة. ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ أي فكيف تأمرنا بسؤالهم فهم قد اعترفوا بأنهم لا ينطقون، وهم مع ذلك يعبدونهم فهذه غاية الضلال في فعلهم وغاية المكابرة والمعاندة في جدالهم، ويحتمل أن يكون نكسوا على رءوسهم بمعنى رجوعهم من المجادلة إلى الانقطاع، فإن قولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ اعتراف يلزم منه أنهم مغلوبون بالحجة، ويحتمل على هذا أن يكون نكسوا على رءوسهم حقيقة أي أطرقوا من الخجل لما قامت عليهم الحجة.

﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ تقدم الكلام على أف في الإسراء.

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ﴾ لما غلبهم بالحجة رجعوا إلى التغلب عليه بالظلم.

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ أي ذات برد وسلام وجاءت العبارة هكذا للمبالغة، واختلف كيف بردت النار؟ فقيل: أزال الله عنها ما فيها من الحر والإحراق، وقيل: دفع عن جسم إبراهيم حرها وإحراقها مع ترك ذلك فيها، وقيل: خلق بينه وبينها حائلا، ومعنى السلام هنا السلامة، وقد روي[1] أنه لو لم يقل سلاما لهلك إبراهيم من البرد، وقد أضربنا عما ذكره الناس في قصة إبراهيم لعدم صحته، ولأن ألفاظ القرآن لا تقتضيه.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ هي الشام خرج إليها من العراق وبركتها بخصبها وكثرة الأنبياء فيها.

﴿نَافِلَةً﴾ أي عطية، والتنفيل العطاء، وقيل: سماه نافلة لأنه عطاء بغير سؤال، فكأنه تبرع، وقيل: الهبة إسحاق والنافلة يعقوب؛ لأنه سأل إسحاق بقوله: ﴿هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فأعطي يعقوب زيادة على ما سأل، واختار بعضهم على

(١) ضعيف أخرجه أحمد في الزهد، ص: ١٠١، والطبري في جامع البيان: ١٨/٤٦٦، وابن أبي حاتم في تفسيره: ٨/٢٤٥٦، والبغوي في معالم التنزيل: ٥/٣٢٨.

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ الزَّكَوٰةِ وَكَانُوا لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَٰٓئِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

هذا الوقف على إسحاق لبيان المعنى، وهذا ضعيف لأنه معطوف على كل قول.

﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي يرشدون الناس بإذننا.

﴿وَلُوطًا﴾ قيل: إنه انتصب بفعل مضمر يفسره آتيناه، والأظهر أنه انتصب بالعطف على موسى وهارون، أو إبراهيم وانتصب ونوحا وداود وسليمان وما بعدهم بالعطف أيضا، وقيل: بفعل مضمر، تقديره: اذكر. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ أي حكما بين الناس أو حكمة. ﴿مِنَ الْقَرْيَةِ﴾ هي سدوم من أرض الشام.

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ أي في الجنة أو في أهل رحمتنا.

﴿نَادَىٰ مِن قَبْلُ﴾ أي دعا قبل إبراهيم ولوط. ﴿مِنَ الْكَرْبِ﴾ يعني من الغرق.

﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ تعدى نصرناه بمن لأنه مطاوع انتصر المتعدي بمن أو تضمن معنى نجيناه أو أجرناه.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ كان داود نبيئا ملكا، وكان ابنه سليمان حينئذ ابن أحد عشر عاما. ﴿فِى الْحَرْثِ﴾ قيل: زرع، وقيل: كرم والحرث يقال فيهما. ﴿إِذْ نَفَشَتْ﴾ رعت فيه بالليل ﴿لِحُكْمِهِمْ﴾ الضمير لداود وسليمان والمتخاصمين، وقيل: لداود وسليمان خاصة على أن يكون أقل الجمع اثنان.

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ تخاصم إلى داود رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته، فقضى داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم، ووجه هذا

الحكم أن قيمة الزرع كانت مثل قيمة الغنم، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب فأخبراه بما حكم به أبوه فدخل عليه وقال: يا نبي الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع. قال: وما هو؟ قال: يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها حتى يعود زرعها كما كان ويأخذ صاحب الزرع الغنم لينتفع بألبانها وصوفها ونسلها فإذا أكمل الزرع ردت الغنم إلى صاحبها والأرض بزرعها إلى ربها. فقال له داود: وفقت يا بني وقضى بينهما بذلك، ووجه حكم سليمان أنه جعل الانتفاع بالغنم بإزاء ما فات من الزرع، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان، ويحتمل أن يكون ذلك إصلاحا لا حكما، واختلف الناس هل كان حكمهما بوحي أو اجتهاد؟ فمن قال كان باجتهاد أجاز الاجتهاد للأنبياء. وروي[1]: أن داود رجع عن حكمه، لما تبين له أن الصواب خلافه، وقد اختلف في جواز الاجتهاد في حق الأنبياء[2] وعلى القول بالجواز اختلف هل وقع أم لا؟ وظاهر قوله: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ أنه كان باجتهاد خص الله به سليمان ففهم القضية، ومن قال: كان بوحي جعل حكم سليمان ناسخا لحكم داود. وأما حكم إفساد المواشي الزرع في شرعنا: فقال مالك والشافعي: يضمن أرباب المواشي ما أفسدت بالليل دون النهار، للحديث الوارد في ذلك[3] وعلى هذا يدل حكم داود

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان عن ابن عباس بسند ضعيف: ١٨/٤٧٥.

(٢) الراجح عند علماء الأصول جواز الاجتهاد ووقوعه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال ابن عاصم في مرتقى الوصول:

وراجــح أن الرســول اجتهــدا	فــي غيــر مــا الــوحي بــه تأيــدا
وفــي عفــا الله دليــل قاطــع	ومــن لــو اســتقبلت ذاك شــايع

(٣) صحيح.. ففي سنن أبي داود: عن حَرَامِ بْنِ مُحَيِّصَةَ الأَنْصَارِيِّ عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: كَانَتْ لَهُ نَاقَةٌ ضَارِيَةٌ، فَدَخَلَتْ حَائِطًا فَأَفْسَدَتْ فِيهِ، فَكُلِّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيهَا فَقَضَى أَنَّ حِفْظَ الْحَوَائِطِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَهْلِهَا، وَأَنَّ حِفْظَ الْمَاشِيَةِ بِاللَّيْلِ عَلَى أَهْلِهَا، وَأَنَّ عَلَى أَهْلِ الْمَاشِيَةِ مَا أَصَابَتْ مَاشِيَتُهُمْ بِاللَّيْلِ. الحديث رقم: (٣٥٧٠)، والنسائي في الكبرى: ١٤٢/٢، والحاكم في المستدرك: ٤٧/٢، والطحاوي في معاني الآثار: ٢٠٣/٣ قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود: ٦٨١/٢.

وسليمان؛ لأن النفش لا يكون إلا بالليل، وقال أبو حنيفة: لا يضمن ما أفسدت بالليل ولا بالنهار لقوله ﷺ: «العجماء جرحها جبار»[(١)]. ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ قيل يعني في هذه النازلة وأن داود لم يخطئ فيها ولكنه رجع إلى ما هو أرجح، ويدل على هذا القول أن كل مجتهد مصيب، وقيل: بل يعني حكما وعلما في غير هذه النازلة، وهذا على القول بإنه أخطأ فيها وأن المصيب واحد من المجتهدين. ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ كان هذا التسبيح قول سبحان الله، وقيل: الصلاة معه إذا صلى، وقدم الجبال على الطير لأن تسبيحها أغرب إذ هي جماد. ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ أي قادرين على أن نفعل هذا، وقال ابن عطية: معناه كان ذلك في حقه لأجل أن داود استوجب ذلك منه.

﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ يعني دروع الحديد، وأول من صنعها: داود عليه السلام، وقال ابن عطية: اللبوس في اللغة السلاح، وقال الزمخشري: اللبوس اللباس. ﴿لِيُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ أي لتقيكم في القتال، وقرئ[(٢)] بالياء والتاء والنون، فالنون لله تعالى، والتاء للصنعة، والياء لداود أو للبوس. ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ لفظه استفهام ومعناه استدعاء إلى الشكر.

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ عطف الريح على الجبال، والعاصفة هي الشديدة، **فإن قيل**: كيف قال عاصفة وقال في ص: ﴿رُخَآءً﴾ أي لينة؟ **فالجواب**: أنها كانت في نفسها لينة طيبة وكانت تسرع في جريها كالعاصف فجمعت الوصفين، وقيل: كانت رخاء في ذهابه، وعاصفة في رجوعه إلى وطنه؛ لأن عادة المسافرين الإسراع في الرجوع، وقيل: كانت تشتد إذا رفعت البساط وتلين إذا حملته. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ يعني أرض الشام، وكانت مسكنه وموضع

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٦٥١٤)، ومسلم الحديث رقم: (١٧١٠)، وأبو داود الحديث رقم: (٤٥٩٣)، والترمذي الحديث رقم: (١٣٧٧)، والمسند الحديث رقم: (٧٢٥٣).

(٢) ﴿ليحصنكم﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص بالتاء على التأنيث، ورواه أبو بكر ورويس بالنون، وقرأ الباقون بالياء على التذكر. النشر: ٢/٣٦٤.

وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ ۞ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

ربع

ملكه فخص في الآية الرجوع إليها فإنه يدل على الانتقال منها.

﴿يَغُوصُونَ لَهُ﴾ أي يدخلون في الماء ليستخرجوا له الجواهر من البحار. ﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أقل من الغوص كالبنيان والخدمة. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أي نحفظهم عن أن يزيغوا عن أمره، أو نحفظهم من إفساد ما صنعوه، وقيل: معناه عالمين بعددهم.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ كان أيوب عليه السلام نبيًا من الروم، وقيل: من بني إسرائيل، وكان له أولاد ومال كثير، فأذهب الله ماله فصبر، ثم أهلك الأولاد فصبر، ثم سلط البلاء على جسمه فصبر، إلى أن مر به قوم فشمتوا به فحينئذ دعا الله تعالى، على أن قوله: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ليس تصريحا بالدعاء ولكنه ذكر نفسه بما يوجب الرحمة، ووصف ربه بغاية الرحمة ليرحمه، فكان في ذلك من حسن التلطف ما ليس في التصريح بالطلب.

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ﴾ لما استجاب الله له أنبع له عينا من ماء فشرب منه واغتسل فبرئ من المرض والبلاء. ﴿وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ روي: أن الله أحيا أولاده الموتى ورزقه مثلهم معهم في الدنيا، وقيل: في الآخرة، وقيل: ولدت امرأته مثل عدد أولاده الموتى ومثلهم معهم، وأخلف الله عليه أكثر مما ذهب من ماله. ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي رحمة لأيوب وذكرى لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر، ويحتمل أن تكون الرحمة والذكرى معا للعابدين.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ قيل: هو إلياس، وقيل: زكرياء، وقيل: نبي بعث إلى رجل واحد، وقيل: رجل صالح غير نبي، وسمي ذا الكفل أي ذا الحظ من الله، وقيل: لأنه تكفل لليسع بالقيام بالأمر من بعده.

﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ هو يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ والنون، هو الحوت نسب إليه لأنه التقمه. ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً﴾ أي مغاضبا لقومه إذ كان يدعوهم إلى الله فيكفرون حتى أدركه ضجر منهم فخرج عنهم، ولذلك قال الله: ﴿وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ ولا يصح قول من قال مغاضبا لربه. ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي ظن أن لن نضيق عليه، فهو من معنى قوله: ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ وقيل: هو من القدر والقضاء، أي ظن أن لن نضيق عليه بعقوبة، ولا يصح قول من قال إنه من القدرة. ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ قبل هذا الكلام محذوف، لبيانه في غير هذه الآية، وهو أنه لما خرج ركب السفينة فرمي في البحر فالتقمه الحوت، فنادى في الظلمات وهي ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت، ويحتمل أنه عبر بالظلمة عن بطن الحوت لشدة ظلمته، كقوله: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ﴾. ﴿أَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أن مفسرة أو مصدرية على تقدير نادى بأن، والظلم الذي اعترف به كونه لم يصبر على قومه وخرج عنهم.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ يعني من بطن الحوت وإخراجه إلى البر. ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يحتمل أن يكون مطلقا، أو يكون لمن دعا بدعاء يونس ولذلك قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعوة أخي يونس ذي النون ما دعا بها مكروب إلا استجيب له»[1].

﴿لاَ تَذَرْنِي فَرْداً﴾ أي بلا ولد ولا وارث. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ إن لم ترزقني وارثا فأنت خير الوارثين، فهو استسلام لله.

(١) صحيح أخرجه الترمذي في سننه، الحديث رقم: (٣٥٠٥)، والمسند الحديث رقم: (١٤٦٢)، والمستدرك الحديث رقم: (١٨٦٢) قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي...

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ۞ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

ثمن

﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ يعني ولدت بعد أن كانت عقيما واسم زوجته أشياع قاله السهيلي.

﴿يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ والضمير للأنبياء المذكورين. ﴿رَغَباً وَرَهَباً﴾ الرغب الرجاء والرهب الخوف، وقيل: الرغب أن ترفع إلى السماء بطون الأيدي، والرهب أن ترفع ظهورها.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ هي مريم بنت عمران، ومعنى أحصنت من العفة أي أعفته عن الحرام والحلال، كقولها لم يمسسني بشر. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾ أي أجرينا فيها روح عيسى لما نفخ جبريل في جيب درعها، ونسب الله النفخ إلى نفسه؛ لأنه كان بأمره، والروح هنا هو الذي في الجسد، وأضاف الله الروح إلى نفسه للتشريف أو للملك. ﴿ءَايَةً﴾ أي دلالة، ولذلك لم يثن.

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾ أي ملتكم ملة واحدة وهو خطاب للناس كافة، أو للمعاصرين لسيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي إنما بعث الأنبياء المذكورون بما أمرتم به من الدين؛ لأن جميع الأنبياء متفقون في أصول العقائد.

﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم﴾ أي اختلفوا فيه وهو استعارة من جعل الشيء قطعا، والضمير للمخاطبين، قيل: فالأصل تقطعتم.

﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي لإبطال ثواب عمله. ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي نكتب عمله في صحيفته.

﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ قرئ[1] حرم بكسر الحاء وهو بمعنى حرام، واختلف في معنى الآية، فقيل: حرام بمعنى ممتنع على قرية أراد الله إهلاكها أن يرجعوا إلى الله بالتوبة، أو ممتنع على قرية قد أهلكها الله أن يرجعوا إلى الدنيا، ولا زائدة في الوجهين، وقيل: حرام بمعنى حتم واقع لا محالة، ويتصور فيه الوجهان، وتكون لا نافية فيهما أي حتم عدم رجوعهم إلى الله بالتوبة، أو حتم رجوعهم إلى الدنيا، وقيل: المعنى ممتنع على قرية أهلكها الله أنهم لا يرجعون إليه في الآخرة، ولا على هذا نافية أيضا، ففيه رد على من أنكر البعث.

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ حتى هنا حرف ابتداء أو غاية متعلقة بيرجعون، وجواب ﴿إِذَا﴾ ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ وقيل: الجواب ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ لأن تقديره: يقولون يا ويلنا، وفتحت يأجوج ومأجوج، أي فتح سدها فحذف المضاف. ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ الحدب المرتفع من الأرض، و﴿يَنسِلُونَ﴾ أي يسرعون، والضمير ليأجوج ومأجوج، أي يخرجون من كل طريق لكثرتهم وقيل: لجميع الناس.

﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ يعني القيامة. ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ﴾ إذا هنا للمفاجأة، والضمير عند سيبويه ضمير القصة وعند الفراء للأبصار، وشاخصة من الشخوص وهو إحداد النظر من الخوف.

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ هذا خطاب للمشركين والحصب: ما توقد به النار كالحطب، وقرأ علي[2] بن أبي طالب رضي الله عنه: «حطب جهنم» والمراد بما تعبدون الأصنام وغيرها تحرق في النار توبيخا لمن عبدها. ﴿وَارِدُونَ﴾ الورود هنا الدخول.

---

(١) ﴿وحرام﴾ قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿وحرم﴾ بكسر الحاء وإسكان الراء من غير ألف، والباقون بفتح الحاء والراء وألف بعدها. النشر: ٢/٣٦٤.

(٢) ذكره البغوي في معالم التنزيل: ٥/٣٥٦ عن علي بدون إسناد.

﴿زَفِيرٌ﴾ ذكر في هود. ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ قيل: يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئا، وقيل: يصممهم الله كما يعميهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ سبقت أي قضيت في الأزل، والحسنى السعادة، ونزلت هذه الآية[1] لما اعترض ابن الزبعري[2] على قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فقال إن عيسى وعزير والملائكة قد عبدوا، فالمعنى إخراج هؤلاء من ذلك الوعيد، واللفظ مع ذلك على عمومه في كل من سبقت له السعادة.

﴿حَسِيسَهَا﴾ أي صوتها. ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أهوال القيامة على الجملة، وقيل: ذبح الموت، وقيل: النفخة الأولى في الصور، لقوله: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ﴾ السجل الصحيفة، والكتاب مصدر أي كما يطوي السجل ليكتب فيه، أو ليصان الكتاب الذي فيه، وقيل: السجل رجل كاتب، وهذا ضعيف، وقيل: هو ملك في السماء الثانية ترفع إليه الأعمال، وهذا أيضا ضعيف. ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ أي كما قدرنا على البداءة نقدر على

(١) صحيح أخرجه الطحاوي في المشكل: ١٥/٣، والطبراني في الكبير: ١١٨/١٢، والواحدي في أسبابه، ص: ٢٥٦.

(٢) هو عبد الله بن الزبعرى بن قيس السهمي القرشي، أبو سعد: شاعر قريش في الجاهلية، كان شديدا على المسلمين إلى أن فتحت مكة، فهرب إلى نجران، فقال فيه حسان أبياتا، فلما بلغته عاد إلى مكة فأسلم، واعتذر إلى رسول الله ﷺ فقبل عذره، ومدح النبي ﷺ فأمر له بحلة، ثم شهد ما بعد الفتح من المشاهد، ومن قوله بعد إسلامه للنبي عليه السلام معتذراً:

يا رسول المليك، إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور
إذ أجاري الشيطان في سنن الغـ ... ـي أنا في ذاك خاسر مثبور
يشهد السمع والفؤاد بما قلـ ... ـت ونفسي الشهيد وهي الخبير
إن ما جئتنا به حق صدقٍ ... ساطع نوره مضيء منير
جئتنا باليقين والصدق والبـ ... ـر وفي الصدق واليقين السرور
أذهب الله ضلة الجهل عنا ... وأتانا الرخاء والميسور

توفي سنة: ١٥ هـ انظر الاستيعاب: ٢٧٣/١، والأعلام: ٨٧/٤.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجِّ

الإعادة، فهو كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وقيل: المعنى نعيدهم على الصورة التي بدأناها كما جاء في الحديث: «يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا، ثم قرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾»[1] والكاف متعلقة بقوله: نعيده. ﴿فَاعِلِينَ﴾ تأكيدا لوقوع البعث.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ في الزبور هنا قولان:

أحدهما: أنه كتاب داود، والذكر هنا على هذا المعنى: التوراة التي أنزل الله على موسى، وما في الزبور من ذكر الله تعالى.

والقول الثاني: أن الزبور جنس الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء، والذكر على هذا هو اللوح المحفوظ، أي كتب الله هذا في الكتاب الذي أفرد له بعد ما كتبه في اللوح المحفوظ حين قضى الأمور كلها، والأول أرجح؛ لأن إطلاق الزبور على كتاب داود أظهر وأكثر استعمالا، ولأن الزبور مفرد فدلالته على الواحد أرجح من دلالته على الجمع، ولأن النص قد ورد في زبور داود: بأن الأرض يرثها الصالحون.

﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ الأرض هنا على الإطلاق في مشارق الأرض ومغاربها، وقيل: الأرض المقدسة، وقيل: أرض الجنة، والأول أظهر، والعباد الصالحون أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ففي الآية ثناء عليهم وإخبار بظهور غيب مصداقه في الوجود، إذ فتح الله لهذه الأمة مشارق الأرض ومغاربها.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ هذا خطاب لسيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفيه

---

(١) صحيح وهو طرف من حديث ابن عباس الذي سبق تخريجه.

تشريف عظيم، وانتصب رحمة على أنه حال من ضمير المخاطب المفعول والمعنى على هذا: أن النبي ﷺ هو الرحمة، ويحتمل أن يكون مصدرا في موضع الحال من ضمير الفاعل، تقديره: أرسلناك راحمين للعالمين، أو يكون مفعولا من أجله، والمعنى على كل وجه أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد ﷺ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلمهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة، فإن قيل: رحمة للعالمين عموم والكفار لم يرحموا به؟، فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنهم كانوا معرضين للرحمة به لو آمنوا، فهم الذين تركوا الرحمة بعد تعريضها لهم.

والآخر: أنهم رحموا به لكونهم لم يعاقبوا بمثل ما عوقب به الكفار المتقدمون من الطوفان، والصيحة، وشبه ذلك.

﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أي أعلمتكم بالحق على استواء في الإعلام وتبليغ إلى جميعكم لم يختص به واحد دون آخر. ﴿وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ إن هنا وفي الموضع الآخر نافية، وأدري فعل علق عن معموله؛ لأنه من أفعال القلوب وما بعده في موضع المعمول من طريق المعنى، فيجب وصله معه والهمزة في قوله: أقريب للتسوية لا لمجرد الاستفهام، وقيل: يوقف على إن أدري في الموضعين، ويبتدأ بما بعده وهذا خطأ لأنه يطلب ما بعده.

﴿لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ﴾ الضمير لإمهالهم وتأخير عقوبتهم. ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي الموت أو القيامة.

﴿ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ أي أستعين به على الصبر على ما تصفون من الكفر والتكذيب.

تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث

وأوله سورة الحج

فهرس الموضوعات

❁❁ ❁❁ ❁❁